هذه بلادنا (٦١)

قفار

تأليف

الدكتور عبدالرحمن الفريح

الطبعة الأولى
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
وكالة شؤون الشباب
الإدارة العامة للنشاطات الثقافية
الرياض ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريح، عبدالرحمن

قفار - الرياض

٢٤٤ ص ؛ ١٧X ٢٤ سم (سلسلة هذه بلادنا؛ ٦١)

ردمك: ٨-٧٧-٦٩٥-٩٩٦٠

ردمد: ١٣١٩-٢٠٤٣

١ـ قفار (السعودية) ـ تاريخ ٢ ـ المدن والقرى ـ السعودية

أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

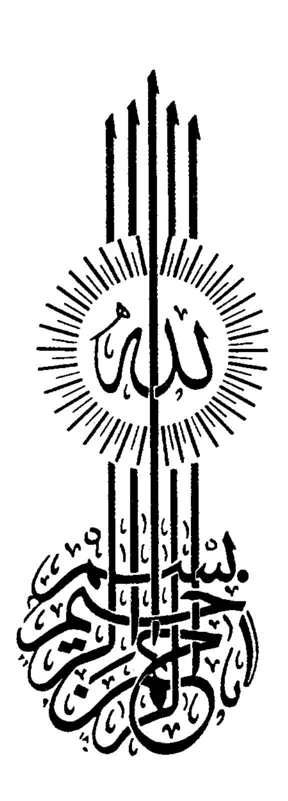
ديوي ٩٥٣,١٤٩٤ ١٩/٤٦٩٦

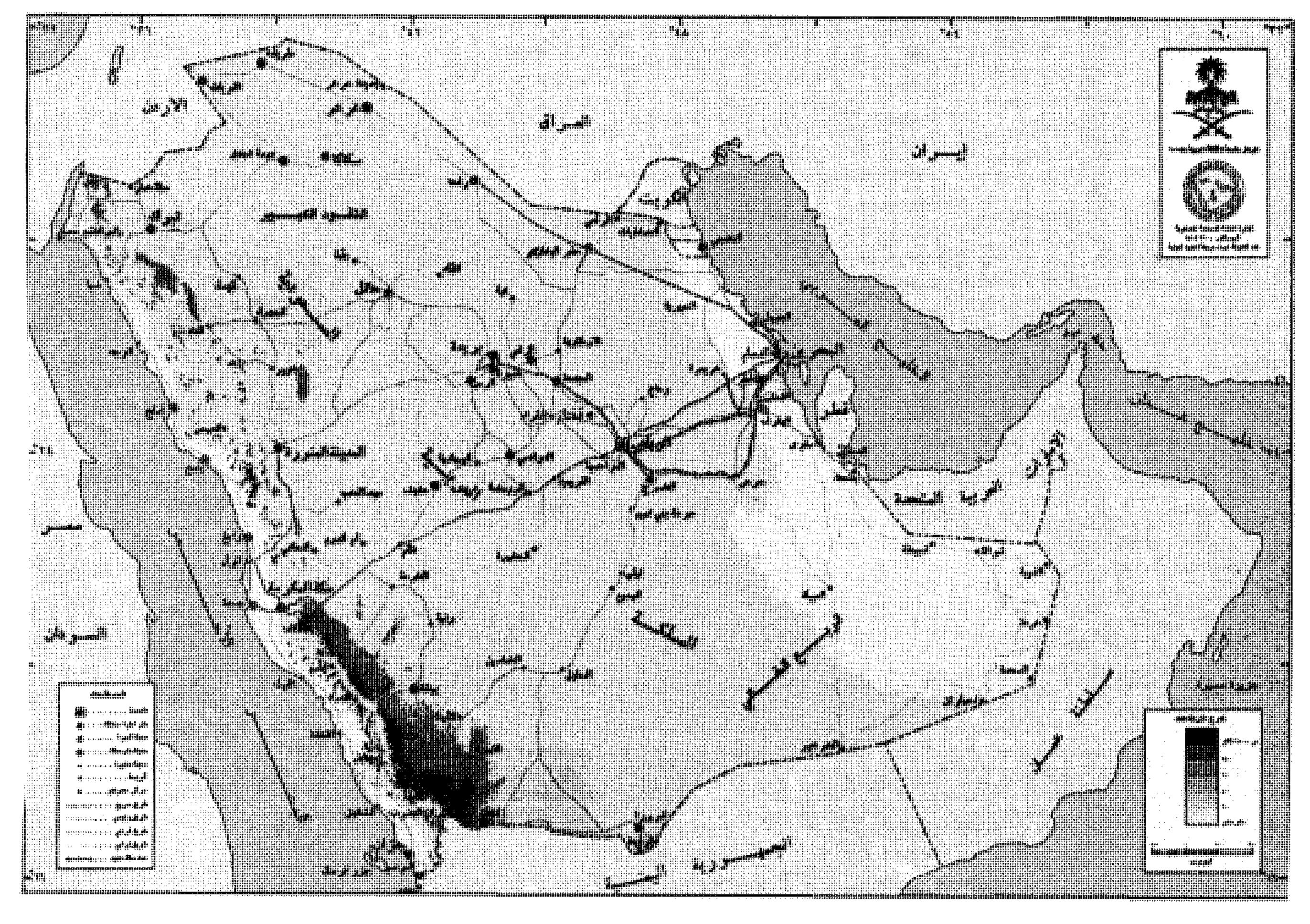
رقم الإيداع: ١٩/٤٦٩٦

ردمك: ٨-٧٧-٦٩٥-٩٩٦٠

ردمد: ١٣١٩-٢٠٤٣

مطابع جامعة الملك سعود ١٤٢١هـ


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



● قفار

تقديم

يُسعدني أن أقدم هذا الكتاب من سلسلة هذه بلادنا التي تهدف الرئاسة العامة لرعاية الشباب من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية وأوعية المعلومات الحديثة بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ هذا البلد العزيز ضمن سلسلة من الكتب العلمية المبسطة ولإبراز صورة ولمحات من الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد، مع إلقاء الضوء على النواحي الثقافية والموروث الفني ولعلنا بهذا العمل نسهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراساً هادياً لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم.

ومن حسن حظ القائمين على البحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم وسهولة الوصول إليها، والتي تساعد على تلمس الطريق وتوفر له الوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد بعكس ما كان عليه الحال في الماضي القريب، حيث إن المؤرخ يجوب البلاد من شرقها إلى غربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلاده وكثيراً ما كان يأخذ الحقائق مشافهة من الشعراء والرواة وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع.

وإنه من الأفضل لأية أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين، الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرفع الدرجات

العلمية، وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب، والبحث والتنقيب في المعاجم، والاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد، نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال الحاضرة والقادمة بإذن الله تعالى على التعرف على تاريخ أمتهم وفي متناول أيديهم دون تعب أو عناء.

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق..

الرئيس العام لرعاية الشباب

سلطان بن فهد بن عبد العزيز

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتداداً طبيعياً لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات. فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم جميع المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها، ويهمه أن يتبين تاريخها. فإن كان صغيراً يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيراً فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعاً لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله.

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين، يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب، وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها، وملامح النهضة العمرانية والزراعية، وأوجه الحياة فيها، وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع، والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات، ودارت حولها المناقشات، ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات، ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص لمراجعته وإجازته.

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات، وتشجيع

ملكة البحث والتأليف، وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية، وإبـراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تُسجل التراث الفكري، الفني في أرجاء الوطن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

المقدمة

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون. وبهذه المواهب تميز الإنسان بجنسه على الحيوان، وبقدر سعة حظ الفرد من هذه المواهب يتفاضل بنو الإنسان. والثمرة العملية لهذه المواهب في السلوك السوي الذي يحقق الراحة والطمأنينة والحياة الطيبة مع السعادة الأبدية؛ ولهذا قرر الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه مداواة النفوس وشتى كتبه: أن العقل هو استعمال النفس والجوارح في طاعة الله، واكتساب الفضائل الدنيوية والأخروية. والصلاة والسلام على هادي الأمة، ونبي الرحمة، ومعلم الأميين الكتاب والحكمة: محمد بن عبدالله، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وهو المبلغ حكم ربه: أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وهذا الحكم ذاته فيه إيماء إلى أن للعرب فضلاً ذاتياً في مواهبهم وصفاء نفوسهم وكريم أخلاقهم. إلا أن هذا الفضل الذاتي فضل دنيوي لا قيمة له إذا فُقد الدين. ومع متانة الدين يبقى للعرب فضلهم الذاتي، ويبقى لهم شرفهم الطارىء منذ كرّمهم الله بحمل الرسالة إلى الناس كافة. والعربي الذي لم يلتزم بدين ربه منحط عن شرف باذخ، ومقام سامق أراده الله له؛ إذ جعله كالإناء الذهبي لأجل فضله الذاتي. لخصائصه الخلقية بفتح الخاء وضمها؛ ليستوعب الحنيفية السمحة تصوراً وسلوكاً.

قال أبو عبدالرحمن: أما بعد فلقد كتبت سفري الضخم بعنوان: «العرب نسباً

وشرفا» الذي يحق له أن يكون مقدمة لكل عمل لي في علم الأنساب. وكل عمل لي في أنساب القبائل وتواريخها فإنما دافعه جمع الشذرات، وتقريب النـاد؛ لاستثمار أي دلاله في هذا الحقل. لعله أن يتيسر في مضمار القبائل وتواريخها أسفار منتظمة بعد انقطاع في عصور الأمية. يكون هذا الإنتظام بالعمل النقلي تارة في جمع الشوارد، وبالعمل الفكري تارة. وذلك بدقة الاستنباط، والتعامل مع هذا الحقل التاريخي الذي استسهله الشُّداة، وتولج فيه أشباه العوام. لعلها تتلاشى الأمية الفكرية والتاريخية في تاريخنا المحلي.

ويحد من هذا الطموح أن النشاط في تحقيق أنساب العرب وتواريخ القبائل - منذ جنّد لها شيخنا حمد الجاسر مجلته ومؤلفاته - استغل استغلالاً رديئاً من أناس لعلهم لا يزنون عند الله جناح بعوضة. صاروا يتباهون بالأنساب، ويفتخرون بالعظم الرميم. مع العلم أن الاتصال المتسلسل أو المنقطع إلى جد جاهلي في هذا العصر: لا يحقق علماً رجحانياً. ودعك من كونه يقينياً، بل حجة أهل الأنساب أضعف من حجة نحوي، وإنما المؤكد عروبة القبائل. فاليقين بعروبة هذه القبيلة شيء واليقين بأنها من عدنان أو قحطان شيء آخر.

والظاهر أن القبائل منذ عصور الجاهلية الأولى إلى القرن الخامس أو السادس تقريباً الأصل فيها الانتساب إلى أبٍ واحدٍ. والامتزاج بالحلف والتناصر هو الحالة المستثناة. ثم بعد ذلك إلى هذا العصر صار التحالف هو الأصل إلا في قبائل قرَّت في أماكنها ولم تزايلها كمعظم قبائل اليمن، وقبائل السراة منذ بلسمر وبلحمر وبني شهر وبني عمرو وبلقرن وغامد وزهران. . . إلخ.

وكذلك ما ألبّ السراة من جهة الشرق كناهس وشهران وخثعم وأكلب وبني سلول. . . إلخ.

ويحد من هذا النشاط أيضاً الحساسية المفرطة عند بعض القبائل في تفريع الأفخاذ الحديثة وإرجاعها إلى قبائلها وشعوبها وعمائرها، وكذلك حرص كل فخذ أن يدّعي بأن شيخة القبيلة فيه، أو انفته من الاعتزاء لمشيخة القبيلة الحقيقية.

لهذا نزعت في مؤلفاتي عن الأنساب وتواريخ القبائل إلى ما يرضي طموحي

في إشاعة تاريخنا العربي، والاعتزاز به، دون أن يكون في هذا العمل موضع قدم لتباهٍ خامل يفاخر بالعظم الرميم ذلك أن عملي تجلية لفضائل الأمة العربية مجتمعة بين الأمم بدافع من الشرع، وآثاره من العلم المدون بين هجمات الأممية والشعوبية، وليس مباهاة بين الأمة العربية ذاتها فيما بينها، فهذا أمر لا يرضاه ديني ومسؤوليتي التاريخية، لا سيما أن الأمة العربية قبل الإسلام لا حضور لها عملياً أو دولياً حتى أصبحت البلاد العربية تركة عربية بهوية الإسلام وفضله، كما أصبحت الأمة الأمية ذات علم وديوان وكتاب وكشف واختراع.

إن الشعور القبلي يكرر مأساة الجاهلية الأولى، فيفتخر التميمي بتميميته، ويفتخر المذحجي بمذحجيته، ولا يحملون هَمَّ أمة واحدة، وهذا الشعور انفصال عن التاريخ العربي المعتبر الذي يبدأ بالإسلام، ويتلاشى بمقدار ما يبعد العربي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

كما أنني حرصت على ما يتعلق بربط القبائل الحديثة بقبائلها القديمة، والبعد عن تفريعات الأنساب الحديثة ما ظللت ألمس في هذا التفريع حرجاً، إلى أن أرتاح إلى تفريع من سبقني من النسابين المعاصرين، وأحيل العهدة عليهم وهذا في النادر.

ولو أهملت هذا الجانب كله ما نقص من طموحي شيء؛ لأن التفريعات الحديثة تتراوح أعمارها ما بين قرنين وثلاثة قرون من عصور العامية والأمية. حيث الاعتماد في الأغلب على المأثور الأسطوري، والذاكرة العامية، والاستفاضة، ودلالات شعر عامي يُستأنس به ولا يكون مصدر ثقة ويقين؛ لأن الشاعر عامي وليس عالماً ولا مؤرخاً ولا متصل السند بالآثار المكتوبة.

واليقيني منها ما بُني على الوثائق والمشافهة المتصلة السند بالآباء والأجداد؛ ولهذا تظل التفريعات الحديثة من مسؤولية المثقفين الواعين من أبناء كل أسرة وبطن؛ لأن الناس مؤتمنون على أنسابهم ما لم يدّعوا الشرف.

وقبائل العرب اليوم على قسمين:

قسم يحمل اسماً قديماً في كتب النسب المدونة المطبوعة والمخطوطة،

مثل: تميم، وعنزة، وهُذيل، وباهلة، وبني شهر... إلخ.

وقسم يحمل اسماً حديثاً توجد الإشارة إليه منذ القرن السابع أو السادس على أبعد تقدير مثل الدواسر، وعتيبة، ومطير، والضفير. والذي استجد إنما هو اسم القبيلة، أما القبيلة ذاتها فلا بد أن تعود إلى إحدى القبائل المعروفة قديماً، أو إلى عدة قبائل معروفة قديماً بطريق الحلف.

وكتب الأنساب منذ ابن الكلبي وأبناء جيله إلى عهد ابن حزم وابن عبدالبر فالجواني فالأشعري ملتحمة السلسلة تذكر القبائل القديمة وتفرعها.

ثم وُجدت كتب أنساب تكميلية تبدأ بالقرن السابع الهجري منذ ابن فضل الله العُمري إلى ابن خلدون والقلقشندي. فهؤلاء هم الذين ذكروا معظم أسماء القبائل الحديثة، فبعضها لم يصلوا نسبه بقبيلة قديمة، وبعضها عزوه إلى قبيلة قديمة دون تفريع كالقول بأن الضفير من بني لام.

ويظل المؤرخ المعاصر المتعطش يتصيد الإفادات عن هذه القبائل الحديثة من كل مصدر يستجد من مؤلفات المتأخرين كإفادات الجزيري في درر الفرائد المنظمة. هذه هي مشكلة الأنساب، وهي أحد ركائز تاريخنا المحلي.

وضمن تاريخنا المحلي البحث في البلدان جغرافياً، وهذا أمر وصفي لموصوف ماثل، وهو أقل إشكالاً.

والركيزة الثالثة في تاريخنا المحلي ذكر الأحداث في تاريخ البلدان وأهل البلدان. ولقد استعرض ابن بسام في كتابه «تحفة المشتاق» أحداثاً تاريخية معظمها نادر، وأقدمها منذ القرن الثامن، والاطمئنان إلى صحة هذه الأحداث يعكر عليه أمران:

أولهما: أنه لا يذكر مصادره عن أحداث سبقته بقرون، لا في الحدث نفسه، ولا إجمالاً في المقدمة، وعلى فرض أنه سطا على كل كتاب ابن عيسى المفقود كما ذكر شيخنا حمد الجاسر: فابن عيسى معاصر أيضاً، فلابد من ذكر المصدر سواءً كان شفوياً أم خطياً.

وثانيهما: أن الصفة واحدة في المناخات التي يذكرها، فكثيراً ما يقول تناوخ

بنو فلان وأحلافهم مع بني فلان وأحلافهم، وبقوا في المناخ شهرين أو ثلاثة أشهر، ثم مشى بعضهم إلى بعض بالسيوف، فانهزم آل فلان، وانتصر آل فلان، وقتل فلان وفلان. ولا تجد شواهد شعرية، وتبحث عند القبيلة عن أكثر الأعلام فتجدهم غير معروفين.

ويعمق الشك لدى الدارس أن فترة القرن الثامن والتاسع والعاشر هي الفترة الأشد غموضاً من تاريخ نجد لا يُعلم لها في المصادر المأثورة تاريخ منتظم.

وإذا تمعنت في تاريخ الجزيرة العربية وجدتهُ على ثلاثة أنحاء من الانتظام:

النحو الأول: تاريخ الحجاز واليمن، فهذا تاريخ متصل منذ التاريخ المدون إلى اللحظة الراهنة.

والنحو الثاني: تاريخ المخلاف السليماني وتاريخ الأحساء والبحرين وعُمان، فهذا تاريخ منتظم في الأغلب ويعتريه كثير من الانقطاع.

والنحو الثالث: تاريخ عسير ونجد، فهذا تاريخ منقطع لم يكد ينتظم إلا منذ قيام الدولة السعودية.

وتتميز نجد بتاريخ ليس بالمنتظم مطلقاً، وذلك بالنسبة للقرن الحادي عشر والثاني عشر، ويساعد على وصل بعض منقطِعه وثائق علماء نجد ومؤلفاتهم ورحلاتهم ودلالة الشعر العامي.

أما ما قبل ذلك فتاريخ المنطقة الوسطى من الجزيرة مطمور، وهو ثري إلا أنه مهمل ويدل على ثرائه أن الهجري لما عرّج على هذه المنطقة في فترة وجيزة جداً شحن كتابه النوادر والتعليقات بمعارف في التاريخ والأنساب والأعلام والأدب واللغة لا تكاد تجدها عند غيره، ولا يخالجك شك في صحتها.

والدليل على أنه مطمور أن شيخنا حمد الجاسر - وهو من هو؟ متابعة وجلداً وتخصصاً مع طول أمدٍ - لما كتب عن والي اليمامة ابن العربي لم يجد ما يبل الغلّة سوى دلالات الشعر الفصيح.

وفي مناسبات محدودة الأمد يجد الدارس بعض الدلالة التي يُفرح بها كالكلام عن دولة الأخيضريين؛ لأن المؤرخين خارج الجزيرة ذكروهم.

وهكذا تُلتقط النتف عن نجد غير المنتظمة من مصادر غير محلية في مناسبة الحديث عن تولية والٍ اليمامة، أو تجهيز غزوة، أو مرور رحالة كناصر خسرو، أو كلمة تتعلق بالبلدان (وقلما تعلقت بأهل البلدان) كنصوص الحازمي ولـغـدة والهمْداني والبكري وياقوت. . . إلخ، أو ترجمة شاعر نجدي كما فعل الأستـاذ عمران العمران في كتابه من أعلام الشعر اليمامي.

وحاول الدكتور صالح الوشمي ـ رحمه الله ـ في كتابه عن اليمامة، والدكتور عبدالله السيف في كتابه أن يتصيدا الإفادات المبددة، ولكن مهما بلغ جهد هؤلاء فلن يوجدوا معدومـاً إلا أن تظهر مصادر خطية لا تزال تحت طي الخـفـاء، او تستجدَّ دلالة من الحفريات والآثار.

أما التاريخ المصنوع المزيف كإمتاع السامر وما يصدر معه من بالوعة واحدة: فإن ذكاء الباحث ووقته أجلّ من أن يُشغل بالأساطير.

وحاول الدكتور عبداللطيف ناصر الحميدان أن يصل ما انقطع من تـاريـخ العصفوريين والجبريين فأتى بالجديد الممتع.

ومن المعاناة لتاريخنا المكتوب لا سيما منذ مطلع القرن الثامن الهجري التي نسميها بعصور العامية: وجدنا أن تاريخنا المحلي غير مكتمل في تصوره لنقص مصادره، ومن ثم ضعُف فيه الجانب التفسيري والتعليلي.

ومن الممكن أن يعود لتاريخنا المحلي ألقه إذا استفيد من المصادر التالية:

١- تدقيق المراجعة للتاريخ المحلي المطبوع، وتكملته بالتاريخ المحـلـي الكثير الذي لم يطبع.

٢- استيعاب الوثائق المحلية.

٣- الإفادة من رسائل العلماء ومؤلفاتهم سواء أكانت مطبوعة كالـرسـائـل والمسائل النجدية، أم مخطوطة ككتب ابن عمرو وردود ابن سحمان.

٤- استيعاب الوثائق الخارجية عن بلادنا في الهند وتركيا ومصر والبرتغال.

٥- مراجعة التاريخ المحلي للبلدان المجاورة والبلدان ذات العلاقة كالعراق وفارس.

٦- استيعاب دلالة الشعر العامي القديم، لا سيما القصائد التاريخية التي لم تطبع.

٧- الإفادة من كتب الأجانب ورحلاتهم.

٨- استيعاب الإفادة من النقوش والحفريات والآثار.

قال أبو عبد الرحمن: ومراعاة لظاهرة فقر تاريخنا المحلي اهتمت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بهذه السلسلة عن تاريخ البلدان ووصفها جغرافياً وبيئياً، راسمة في منهجها تجاوز التفريعات في الأنساب تجنباً لحساسية هذا الموقف.

ولقد بذل أخي الدكتور عبدالرحمن الفريح غاية الوسع في ارتياد مجاهل التاريخ عن المدينة الأثرية الحافلة «قفار» إلا أن التاريخ القديم المجهول لهذه المدينة مرتبط ارتباطاً وثيقاً لا انفكاك منه بالتاريخ التميمي في المنطقة، والتقاط شذرات التاريخ غير المتصلة عن تميم في المنطقة أضاف إلى مشروع الفريح عن قفار عبئاً ثقيلاً تحمّله برحابة صدر الباحث الدؤوب وجلده.

وإن كان لي من ملاحظة على عمل أخي الدكتور عبدالرحمن فهو أنه نقل عن شيخنا حمد الجاسر أن حماداً الذي ينتسب إليه كثير من الأسر التميمية من رجال القرن الثالث الهجري، ونقل عن تاريخ ابن ماضي أن مزروعاً من ذرية حماد انتقل من قفار إلى سدير عام ٦٣٠هـ، وعن الأزهري أن ذلك عام ٦٠٠هـ.

ونقل قول الشيخ حمد الجاسر: إن مزروعاً من أهل القرن السابع الهجري، قدم من قفار، وهو الأب التاسع لماضي المقتول في عام ١٠٧٥هـ.

وقال: «وترجم الأستاذ أحمد العريفي لرميزان بن غشام التميمي المتوفى عام ١٠٧٩م، ونقل ما أورده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه علماء نجد من أن مزروعاً (جد رميزان) هو مزروع بن حُميد بن حمّاد، ينتهي نسبه إلى عبدة من بني عدي بن جندب من بني العنبر من بني عمرو بن تميم، ونقل تعليق الأستاذ حمد على ما ذكر ابن بسام عن مزروع، وأن مزروعاً هذا غير المذكور في نسب آل ماضي؛ إذ ليس بين هذا وبين عدي بن جندب الفخذ المعروف قبل الإسلام سوى ستة أباء، أي قرنين من الزمان.

وقال الأستاذ أحمد: «قال ابن عيسى وابن بشر وغيرهما: وفي سنة ١٠٧٥هـ سار الشريف زيد بن محسن شريف مكة المشرفة إلى نجد وقتل أمير روضة سدير ماضي بن محمد بن ثاري. وماضي هذا هو جد ماضي بن جاسر بن ماضي بن محمد بن ثاري بن محمد بن مانع بن عبدالله بن راجح بن مزروع بن حميد بن حماد الحميدي التميمي. جاء جده مزروع التميمي هو ومفيد جد آل مفيد من قفار».

قال أبو عبدالرحمن: كل من نقل عنهم الدكتور معاصرون، فإن كانت دعوى أن حماداً من أعيان القرن الثالث الهجري مستندة إلى نقل فيجب أن يُبين، وإن كان عن اجتهاد فيجب بيان أن التحديد اجتهاد معاصر، وليس نقلاً عن مصدر قديم، ثم يُبين وجه الاجتهاد.

وهكذا دعوى انتقال مزروع من قفار سنة ٦٠٠ أو ٦٣٠، فلا يقبل هذا التحديد من معاصر دون مستند، ولا بد من تمريض الخبر، أو بيان وجهة النظر الاجتهادية المعاصرة فيه[١].

وإذا ثبت أن مزروعاً الأب الثامن لماضي المقتول في عام ١٠٧٥هـ، فسيكون من أعيان آخر القرن الثامن وأول التاسع؛ لأن ثمانية آباء يمثلون ثمانية أجيال محسوبة ب ٢٤٠ مطروحة من ١٠٧٥. وهذه القاعدة في حساب الأجيال، وتقدير عصور الأعلام قاعدة استقرائية مطردة غير منخرمة، وقد أقمت براهينها في كتابي العرب نسباً وشرفاً.

وإذا كان حماد الجد الثالث المباشر لمزروع فهو من أعيان آخر القرن الثامن. ومن جهة ثانية فيمتنع حينئذ أن يكون عدي بن جندب أباً سادساً لحمّاد. وتعيين الآباء القدماء أجداداً للأسر الحديثة لا يقبل إلا بنقل محقق عن مصادر متصلة، أو ضرورة استنتاج.

وتحدث الدكتور عن الشيخ عثمان بن منصور، وذكر الثناء العاطر عليه، ثم

(١) خبر انتقال مزروَع جد المزاريع من قفار تمَّ الاعتماد فيه على ما ذكره ابن لعبون وابن بشر وابن عيسى، ولم يكن الاعتماد على من ذكرهم الشيخ الظاهري وحسب (المؤلف).

أورد ما ذكره القاضي من المآخذ عليه في كتابه فتح الحميد الذي شرح به فتح المجيد للإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وذكر في موضع آخر هجاء ابن مشرّف له، وما ذكره الهندي في زهر الخمائل من ردود عليه.

قال أبو عبدالرحمن: لابن منصور ترجمة حافلة في كتاب صدر عن هذه السلسلة وهو كتاب الحوطة لأبي محمد عبدالله بن معجل رحمه الله، وكتاب ابن منصور فتح الحميد موجود مخطوطاً، وقد تعددت صوره، ووزع بين طلبة العلم، وليس فيه أي مأخذ عقدي وحبذا لو تتبع الدكتور ما كتبه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في الرد عليه؛ ليعرف وجه الخلاف.

وكنت أود من الدكتور عبدالرحمن لو زاد البحث تمحيصاً وتدقيقاً من التاريخ التركي والوثائق التركية وراجع أهل الاختصاص من أمثال الأستاذ سعيد صابان وغيره عن حقيقة الحملة التركية التي قيل إنها قبل حملة إبراهيم باشا، وأنها بقيادة الدجيني.

ونقل الدكتور عبدالرحمن عن كتاب القهوة لعبدالرحمن السّويدا أن قفاراً من القرن التاسع الهجري إلى النصف الأخير من القرن الثالث عشر قاعدة الشمال. وهذا مصدر معاصر عن واقع قديم، فلا بد من الاجتهاد في البحث، فإذا انقطع الجهد دون معلومة فلا بأس من الإحالة إلى السويدا على أن يقول في الحاشية: «والمؤلف الفاضل معاصر، ولم يسند معلومته إلى مصدر».

ومن النصوص التي أوردها الدكتور ـ وهي تحتاج إلى تعقب منه ـ نقل فالين عن كوسال دي بريسيفال أن عدنان ولد حوالي سنة ١٣٠ ق.م. وهذا غير مقبول بأي احتمال تاريخي؛ لأن من ذريته بني حنيفة وقد تشكلوا ووجدوا قبيلة قبل المسيح عليه السلام بقرون، ووردوا باسم حنفايا في التوراة، وقد وردت أحداث العدنانية في التاريخ العربي القديم في عهد موسى بن عمران، كما أن الأجداد الجاهليين تبعد أنسابهم إلى عدنان بعداً يستغرق قروناً قبل المسيح عيسى عليه السلام.

إن قفاراً بلا ريب المقر الأخير لمتحضرة تميم وريفييها بعد أن دخلت باديتها في بوادي الجزيرة وخارجها، ولهذا لما ذكر الدكتور منازل تميم في أرض الجبلين قال: «ومما تقدم يفهم أن استيطان بني تميم في قفار إن لم يكن نزوحاً من الديار الحنظلية - حزن يربوع - فهو بلا شك مما يلي الحزن في شرقيه الشمالي من الحفر، وماوّية، وأم العُشر، والطُّنيب، والصّليعاء. وهذه بلاد عنبرية ومازنية تحدث عنها الأستاذ حمد الجاسر في معجم شرق الجزيرة العربية باستفاضة، ونقل عدداً من روايات الإخباريين القدماء وأصحاب المعاجم التي تتحدث عن أولئك القوم».

قال أبو عبدالرحمن: لو علمنا بداية انضواء تميم في الحواضر، واختفاء اسم تميم علماً على بادية معينة لكنا نعلم شيئاً عن تاريخ قفار. وحسبنا القول ها هنا أن لقفار تاريخاً حافلاً بلا شك قبل العصور التي لامسها بحث الدكتور الفريح؛ لأن تجمع أشتات الحواضر من قبيلة مثل تميم كثيرة العدد جهورية الصوت إلى حاضرة مثل قفار في سعتها وخصبها سينتج ولا بد تاريخاً حافلاً. ولعله يظهر من طي الخفاء ما يزيد علمنا التاريخي بقفار امتداداً من دلالة حفريات، أو وثائق، أو إشارة مؤرخ لم تلتقطها لماحية المعني بقفار بعد. والله الموفق والمعين. وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده المرسلين.

وكتبه لكم
أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
- عفا الله عنه -

الفصل الأول

الموقع والطبيعة

١- موقع قفار
٢- جبل أجـــــا
٣- وادي حـائل
٤- قفار والهيـيماء
٥- الأحياء القديمة في قفار والآثار
٦- المنـــــــاخ
٧- شهرة قفار التاريخية
٨- قفار في اللغة
٩- جيولوجية قفار

١ ـ الموقـع

تقع قفار في سفح أجأ الشرقي، وأجأ ليس جبلاً واحداً بل هو سلسلة جبال تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بما يقرب من ١٠٠ كم في عرض بين ٢٥ و ٣٥ كم، وتتخلل هذه السلسلة شعاب كثيرة، وفي داخلها بعض القرى الصغيرة والنخيل والعيون.

وهواء أجأ من أطيب الأهوية، وارتفاع أعلى قمة فيه ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر.

وأشهر الممرات في أجأ التي تخترق الجبل «السّلف» الذي يُفضي إلى قفار، وغربيه (صيحان) يفضي إلى موقق غرب جبل أجأ، وقد نشأت في أعلى بلدة قفار في جنوبها الغربي بلدة حديثة هي «الوُدي» تقترب الآن من مدخل السلف، جنوب مخطط قفار السكني.

ومن الممرات في أجأ أيضاً (بيْض) وهو يشق الجبل من الشرق إلى الغرب، و(المختلف) يشق الجبل من الشرق إلى الجنوب، بمقابلة بزاخة مغرباً فيخرج إلى بلدة (جفيفاء).

وأجأ في اللغة بوزن فعل بالتحريك، مهموز، مقصور، والنسبة إليه أجيء وهو علم مرتجل لاسم رجل سمي به الجبل، ويجوز أن يكون منقولاً ومعناه: الفرار، يقال: أجأ الرجل إذا فر.

قال جرير:

رعان (أجأ) مثل الفوالج بينهم ورمل خبت أنقاؤه وخمائله

٢- جبل أجـــأ

وفي سبب التسمية أورد الأستاذ حمد الجاسر - يرحمه الله - في المعجم رواية هشام بن محمد الكلبي عن أبيه: أن سلمى بنت حام بن حي من عمليـق أحبها أجأ بن عبدالحي من بني عمليق والرسول بينهما حاضنة يقال لها العوجاء فهرب بها وحاضنتها إلى الجبلين قوم من عاد فلحق بهما قومها وصلبوا أجأ على الجبل الذي عرف باسمه، وسلمى على الجبل الذي عُرف باسمها إلى الشرق من جبل أجأ بما يقرب من ٨٠ كم، وصلبوا العوجاء على جبيل في جنوب جبـل مُحجّر الذي يعرف الآن باسم جبل المُسمى في غرب منطقة حائل.

ورواية ابن الكلبي في أصل التسمية وردت في عدد من معجمات البلـدان كياقوت، والبكري، وعلق الأستاذ حمد الجاسر عليها بقوله: إن هذه الـروايـة يكفي أنها عن ابن الكلبي الذي لم يكتف بالتأليف عن أنساب العرب حتى ألف كتاباً عن أنساب البلدان[1].

وابن الكلبي، وأبوه، والهمداني، وابن أعثم الكوفي، والهيثم بـن عـدي الطائي من المتهمين بتلفيق بعض الأخبار تعصباً لليمن.

وعُرف في بني أسد - وهم من أهل الجبلين قديـمـاً - بطن يقال له بنـو سلمى، وفيهم قال الشاعر:

إنّ بـنـي سـلـمـى قـوم جُـلّـه ... شـم الأنـوف لـم يـذوقـوا الـذلـة

وفي أجأ وسلمى قال زيد الخيـل الطائـي:

ونحـن الجالـبـون سـبـاء عـبـسٍ ... إلى الجبلين مـن أهـل الـقـصـيـم

فـكـان غـدوّهـا لـلـحـي كـعـب ... وكـان رواحـهـا لـبـنـي تـمـيـم

وأورد الأصمعي في «الأصمعيات» لأوس بن غلفاء التميمي قوله:

جلبـنـا الـخـيـل من جنبـي أريـك ... إلـى (أجـأ) إلـى ضـلـع الـرجـام

---

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة أجأ.

جانب من آثار قفار بالقرب من أجا

ومنها:

وإنك من هجاء بني تميم كمزداد الغرام إلى الغرام
هم تركوك أسلح من حُبارى رأت صقراً وأشرد من نعام[1]

وقال الحطيئة يمدح بني رياح من بني حنظلة من تميم:

كأن المضلعات علون سلمى فصبن على البواذخ من ذراها
وكانوا العروة الوثقى إذا ما تجرّدت الأمور إلى منتهاها[2]
إذا اعوجت قناة القوم يوماً أقاموها لتبلغ منتهاها

وقال قيس بن جروة الطائي:

ومن أجأ حولي رعان كأنها قنابل خيل من كميتٍ ومن ورد

والرعان: جمع رعن وهو أنف الجبل، والقنابل: الجماعات من الخيل جمع قنبل، والكميت والورد من صفات الخيل.

وهذا البيت من قصيدة يخاطب بها قيس بن جروة عمرو بن هند ملك الحيرة، والمعنى: ألم تنظر يابن هند ما بيني وبينك من الهضاب التي تشبه الخيل في كثرتها؟ وكان عمرو بن هند أوقع بالطائيين في الجبلين، بمشورة في بعض الأقوال من زُرارة بن عدس التميمي، ثم أوقع بتميم في يوم مشهور من وقائع العرب هو يوم «أوارة». وترتب على هذا يوم آخر من أيام الجاهلية هو يوم «الهييماء» في موقع «قفار» الحالي بين بني تميم وطيء وقد يقال ليوم «الهييماء» يوم طيء، وفيه قُتل بشر كثير، وذكره علقمة الفحل التميمي[3] بقوله:

---

(١) الأصمعيات، ص ٢٣٢.

(٢) ديوان الحطيئة.

(٣) علقمة من شعراء الجاهلية، غلب امرأ القيس على امرأته أم جندب الطائية فلقب بالفحل، بعد أن غلبه في الشعر، وحكمت له أم جندب بذلك. وأنكر كليمان هوار هذه القصة غير أن الدكتور الطاهر أحمد مكي أثبتها وبين فساد استدلال هوار على بطلانها، ويرى الدكتور المعيني أن علقمة هو رأس مدرسة الصنعة، صنعة الشعر التميمية، وكان الباحثون قبله يقفون بها عند أوس بن حجر.
أحمد الطاهر مكي: امرؤ القيس حياته وشعره ص٤٧، المعيني، شعر بني تميم، ص١٥.

أصبن الطريف والطريف بن مالك وكان شفاء لو أصبن الملاقطا(١)

وكان عمرو بن ملقط الطائي قد فرَّ من وجه عمرو بن عمرو بن عُدس - فارس تميم - وابن مُلقط هو الذي أغرى الملك ببني تميم(٢).

أما قيس بن جروة فهو «عارق الطائي» وعُرف بذلك لقوله:

لأنتحين للعظم ذو أنا عارقة

و(ذو) تحل محل اسم الموصول في لغة طيء، قال أحد الطائيين في بني تميم:

فإن بيت تميم ذو سمعت به به تنمّت وأرست عزها مضر(٣)

أي بيت تميم الذي سمعت به.

وفي جبل سلمى ورد قول جرير في مهاجاته مع الأعور النبهاني الطائي:

وأطلعت القصائد طود سلمى وجدّع صاحبي شعبى انتقامي

وقال:

تبلّغ بني نبهان مني قصائداً تُطالع من (سلمى) وهن وعور(٤)

وقال الفرزدق:

على أن حدث لو أنّ(سلمى) أصابها بمثل بنيّ أرفضَ منها هضابها

وقال:

أصبنا بما لو أن (سلمى) أصابها لهدت ولكن تحمل الرزء دارم(٥)

وقال النمر بن تولب العكلي التميمي:

زبنتك أركان العدو فأصبحت (أجأ) و(جبّة) من قرار ديارها

---

(١) أصبن: الضمير يعود إلى الخيل.

(٢) أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، يوم أوارة. وأوارة هو جبل وارة بالكويت.

(٣) وفاء السنديوني: شعر طيء.

(٤) ديوان جرير.

(٥) دارم بطن من حنظلة من تميم ومنهم آل زُرارة بيت من البيوتات الأربعة (بيوت الأرستقراطية العربية) في العصر الجاهلي.



قصور آل عيادة وجبل أجأ

وأورد أبو تمام في الحماسة قول أحدهم:

لنعـــم الفتـــى بأكنـــاف حائـــل غداة الوغى أكل الردينيـة الـسـمـر

٢- وادي حائل

حائل هو الوادي الذي تقع «قفار» على ضفته الغربية، بينه وبين جبل (أجأ) وقيل: أن هذا الوادي إذا سال حال بين أجأ وسلمى، ومنه أخذت حائل اسمها، وكان يُقال لها قديماً: قُريّة حائل نسبة إلى الوادي، ومع مرور الزمن أغفل الناس اسم القُريّة، وأخذت اسم الوادي الذي تقع عليه، وقال الهجري عن حائل: إنه وادٍ يفلق بين الرمل وأجأ ليس ثم وادٍ غيره يصب في الحزن - حزن بني يربوع[1].

وقال الأستاذ حمد الجاسر بعد أن تحدث عن هذا الوادي أن اسم حائل لم يطلق على حائل المدينة إلا في عصر متأخر، وكانت الشهرة إلى ما قبل قرنين من الزمان لبلدة قفار[2].

ويُعرف الجبلان؛ أجأ وسلمى - في الأشعار - بالجبلين، وبالجبل.

قال عبيد بن رشيد:

حضـر الجبل والبـدو ناتي صليبين يتلننـا جمـلات سـود الجدايـل

وقال العزى راعي البرّة:

حضـر الجبـل ردّوا لهندٍ عجيبة هنـد مفاتيـح الفـرج عند الأكراب

وقال منصور الناصر من أهل قفار:

يـوم الجبـل لابه وكلـه قرابـه وحنـا العدا لـو هـي بعيـد نـزوره

وقال ابن صقيه:

علّم على التسعيـن وانظر بالاعيـان تشـوف منقـاد الجبل لا تضاحيت

انحـر تمـيم مـذبّحة قـرّح الضان أصل الكرم فرعه ليوث عـنـاتـيـت

---

(١) قال الأستاذ حمد: قد يكون هذا قبل تراكم الرمال الحاجزة بينـه وبـين الحَزْن. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة حائل، وبنو يربوع بطن شهير من تميم.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة حائل، والحزن من أشهر بلاد تميم.

وقال العوني:

يحسب أنه قضت واسوا بنا الظنا ... ما دروا بالجبل عيّالها فيها

وقال زيد الدعجاني العتيبي في بني تميم:

يوم ضرب المدافع بالجبل له رزيم ... مدفع (الترك) حطمتوه فوق الصفاة

وقال العوني:

وضفى على عكّاش مثل الهماليل ... وردت لصبيان الجبل والنحايل

وقال أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري:

كلها دار الجبل ما هي خفيه ... نفحة التاريخ يا فرحة وطنا

وقال سعدون العواجي:

لاجيتهم في ربعةَ الشيخ جلاّس ... قل بالجبل جتنا قفارٍ وحايل

وقال حسن بن طليحان الشمري:

أهل الجبل عموم حضر وبدوان ... فازوا وحازوا طيبهم بالجداره

بني تميم وشمر طيبهم بان ... مشاعل توضي بليل ونهاره

أهل العصام أجا وسلمى ورمان ... وأهل القرى واللي سكن في مداره

ورمان هو الجبل الثالث بعد أجأ وسلمى. وفي جبل رمان أمواه مشهورة الذكر في الشعر العربي القديم، منها (غَضْور) في الطرف الجنوبي الغربي من رمان، ويقال لماء (غَضْور) الوشل، قال أبو القمقام الأسدي:

أقرأ على (الوشل) السلام وقل له: ... كل الموارد مذ هجرت ذميم

وماءة غضور في جبل رمان وقد يقال لأرضه: برقة «غضور»، وبها يوم جاهلي من أيام العرب لغطفان، وأسفل الماء بلدة عامرة الآن لتميم من أهل قفار، والبلدة تقع إلى الشمال من وادي (الثلبوت) الذي يعرف الآن باسم (الشعبة)، وهو من أعظم روافد وادي الرمة الشهير.

وفي أوائل عصر صدر الإسلام كان «الثلبوت» لغطفان لبني جُحاش، قوم

الشّماخ بن مُزرّد الشاعر، وقد أكثر الجحاشيون من التغني بما يطلقون عليه اسم (أحزة الثلبوت)[1].

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من رمّان خارج الجبل يوجد ماء «فرتاج» شرق وادي (الرحبة)، الذي تقع عليه بلدة وسيطاء الحفن، وهي من البلدان المتفرعة من قفار، بل لقد قيل: إنها «قفار الثانية»[2]. وفي ماء فرتاج قال بشير بن خليفة العنبري التميمي:

كأنما نظرت دوني بأعينها   عين الصريمة أو غزلان فرتاج

وقيل: إن أرض فرتاج ملتقى بلاد الحليفين، والحليفان هما: أسد وغطفان، وإذا عُدّت معهما طيء قيل لهذه الثلاث مجتمعة الأحلاف، أو الأحاليف، قال أوس بن حجر التميمي:

كأننا والأحلاف هؤلاء   في حقبة أظفارها لم تقلم

وقد قاد حصن بن حذيفه الفزاري الأحاليف - وهو غطفاني[3] - لحرب عامر وتميم في «النسار» بعالية نجد، وفي ذات الشقوق بـ«حزن يربوع» أوقع ضُمرة النهشلي التميمي[4] بالأحاليف هؤلاء.

---

(١) قال الشّماخ:

أنا الجحاشي شمّاخ وليس أبي   بنخسة لدعي غير موجود

ابن الأثير: المرصع، ٨٥. قال ابن السكيت في شرحه لبيت لبيد:

بأحزة الثلبوت يَرْبأ فوقها   قفر المراقب خوفها آرامها

الثَلَبَوت ماء لذبيان ـ من غطفان ـ ديوان لبيد، ص ٢١٢.

(٢) السويداء: رمّان، ص٨٥.

(٣) حصن من آل بدر أحد بيوتات الأرستقراطية العربية في الجاهلية والإسلام قُتل أبوه في حرب داحس والغبراء، أما هو فقتله بنو عامر في الحاجر في جنوب شرق حائل.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، مادة النون وفي الأحاليف قال دريد بن الصمة:

وقلت لهم إن الأحاليف أصبحت   مخيمة بين الستار وثهمد

وقال زهير بن أبي سُلمى في سيد الأحاليف حصن بن حذيفة:

إذا حلَّ أحياء الأحاليف حوله   بذي لجب هداته وصواهله

وقيل لعبدالملك: إن الناس يوم النِّسار أطوع لحصن بن حذيفة من بعض غلمانك لك.

أمّا جبل أجأ فإن أعلى قمة فيه هي الفرع في مقابل قفار، وصفها «ألويس موزل» فيما نقل عنه حمد الجاسر بقوله: ثم اختفت جبال الفرع المهيبة التي يلفها شعاع ذهبي بين الماردية والكشرية، فيما وراء بساتين قفار.

والماردية: كأنها منسوبة إلى المارد، شعب من شعاب أجأ الشرقي، يمر بشمال قفار، وينتهي إلى وادي حائل (الأديرع).

والكِشرية: بكسر الكاف، وإسكان الشين المعجمة، بعدها راء مكسورة، فياء النسبة فتاء مربوطة، أحد شعاب أجأ فيه بئر ونخيلات، تقع جنوب عُقدة بجوارها، وفي هذا الشعب غار واسع، كأنه منحوت وسيله ينتهي إلى وادي حائل (الأديرع).

وإلى الجنوب من الكشرية يوجد (الرصف) وهو من أجمل المنتزهات الطبيعية في جبل أجأ، وسيلُهُ يُفضي إلى وادي حائل (الأديرع) شمال قفار.

وإلى الجنوب من الرّصف، في مقابل قفار من الغرب شمال السّلْف، يقع شعيب العُميري أو شعيب آل سُلمي، الذي يخترق قفار من الغرب إلى الشرق، ويقسمها إلى نصفين شمالي وجنوبي، وينتهي سيلُهُ إلى وادي حائل (الأديرع)، وهو في أعلاه يعرف باسم «الحذيفيات» شعاب بين الرصف والسلف.

ويعرف جبل أجأ باسم مناع، وقيل مناع هضبة في جبل أجأ ويقال المناعان، وهما جبلان، ومناع بوزن نزال، وفي القاموس مناع كقطام، أي امنع، معدول عنه، أنشد أبو عبيدة في كتابه أيام العرب لرجل من بني تميم:

أما ترى الموت لدى أربـاعـها ... مناعِها من إبل مناعها

وزعم الكسائي: أن بني أسد يفتحون مناعها ودراكها، وما كان من هذا الجنس.

ونقل الأستاذ حمد الجاسر ما أورده البكري عن مناع، كما نقل عن «موزل» قوله: إن جبال أجأ مشهورة بمناخها الصحي وكانت ملجأ لقبيلة طيء من هجمات ملوك الحيرة والفرس. وكان لممر عُقدة شهرته من هذه الناحية فهو يقع إلى الغرب من حائل، ومدخله محصن بالبناء بطريقة تمكن رجالاً قليلي العدد من صد الأعداء من الدخول فيه.

وبعد هذا رجح الأستاذ حمد أن مناع يطلق على جبل أجأ لمنعته[1].

٤- قفار والهييماء

قال الأستاذ حمد الجاسر عن قفار: إنها قديمة جداً ولكنها مجهولة التاريخ، جاء ذلك في تعليق له على حديث للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي عن قصيدة (أُنيف النهشلي التميمي) أو أنيف بن زبان الطائي في مجلة العرب، ورجح أن تكون قفار هي «المنتهب» الواردة في أخبار العصر الأموي.

وورد في المصادر القديمة من كتب البلدانيات أن (الهييماء) التي أصابت فيها تميم طيئا مورد قديم في الجبلين، وقال البكري: إن الهييماء مويهة لبني أسد، ونقل الأستاذ حمد تعريف البكري وعلق عليه بقوله: إن الأسديين يخالطون الطائيين في المنازل وأن بني تميم يجاورونهم، أي يجاورون الأسديين مشيراً بذلك إلى بلاد تميم في شرق وشمال شرق الجبلين[2].

وقد وردت (الهييماء) في شعر متمّم بن نويرة التميمي، ومن هنا أراد الأستاذ حمد أن يوفق بين ورودها في شعر متمّم، وهو تميمي، وما أشار إليه البكري من أنها لبني أسد فأشار إلى ما سلف ذكره من تجاور تميم وأسد.

على أن كل ما ورد عن الهييماء، قديماً وحديثاً، لا يعين على الجزم بتحديد مكانها، وأنها هي قفار، سوى ما يفهم من خبر الإغارة (إغارة التميميين على طيء) أن (الهييماء) داخل الجبلين، وأن تميمـاً أصابوا الطريفين: طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، ومنازل هؤلاء في جبل أجأ في طرفه الجنوبي، وما ورد في مفاخرات الشعراء من تميم كالفرزدق، والبُعيث، وأنهم حدروا طيئاً من بلادها وأن طيئاً اعتصمت بالجبل.

ويحسن هنا إيراد خبر الوقعة موجزاً لكي تتضح الصورة التي تعين على تحديد موقع (الهييماء)، فقد ورد أن عمرو بن هند ملك الحيرة، أصاب نسوة

---

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة مناع.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة الهييماء.

وأذواداً لطيء مع أنهم أحلاف له، وقيل إن ذلك تــمَّ بتدبير من زُرارة بن عُدس التميمي، وأن طيئــاً حفظت ذلك لزرارة، فأغرت عمرو بن هند بالإيقاع ببــنــي تميم، وفتلت له في الذروة والغارب، واستغل عمرو بن ملقط الطائي مقتل ابن الملك على يد بني دارم من تميم وقال:

من مبلغ عمــراً بأن المرء لم يخلق صبــاره
وحوادث الأيام لا يبقى لها إلا الــحــجــارة
فاقتل زرارة لا أرى في القوم أوفى من زرارة

وعند ذلك غضب الملك وعزم على الفتك ببني دارم، قــوم زُرارة، وأوقع بهم في «أوارة» بأرض كاظمة، وهتف الطائيون لذلك.

وحين أدركت المنية زُرارة قال قبل أن يموت - في رواية أبي الفرج الأصفهاني، التي ينقلها الدكتور «حــنّا» -: إنه لم يبق لي عند أحد من العرب ثأر إلا وقــد أدركته غير تحضيض الطائي ابن ملقط الملك علينا حتى صنع ما صنع، فأيكــم يضمن لي ذلك من طيء؟ فقال عمرو بن عمرو بن عُدس - وهو فارس تميم - أنا لك بذلك يا عم[1].

وما أن هلك زُرارة حتى قاد عمرو الخيل، والتقى بالطائيين في (الهييمــاء) وظفر بالطريفين الطريف بن مالك، والطريف بن عمرو، وفرّ من أمامه عمرو بن ملقط، والعرب تُسمي ذلك اليوم يوم (الهييماء) ويوم (طيء). . . وورد في كتاب الأيام أن تميمــاً قتلت بَشَــرا كثيــراً من الطائيين، وفي ذلك قال علقمة الفحــل التميمي وكان ممن حضروا الوقعة:

ونحــن جلبنــا مــن ضريــة خيلنا   نجـنـبـهـا حـد الآكـام قـطـائـطـا
سراعــاً يزل المــاء عــن حجباتــهــا   نـكـلـفـهـا غـولاً بطيـئـاً وغائطـا

---

(١) عمرو بن عمرو بن عُدس فارس تميم في الجاهلية وزوج دختنوس بنت لقيط بن زُرارة بن عُدس، أغار على عبس في ثنية أقرن فأصابهم، وفي منصرفه من الغزو أدركه العبسيون، وقتلوه، وكان له ابن أمه عبسية فقتل الابن خاله العبسي بأبيه التميمي، انظر أبو عبيدة، أيام العرب.

تحـت يبيس المـاء عن حجباتهـا ... ويشكون آثار السيـاط خـوابـطـا
فأدركهـم[1] دون (الهييمـاء) مقصرا ... وقد كـان شـأواً بالغ الجهد باسـطـا
أصبن[2] الطريف والطريف بن مالـك ... وكان شفاء لو أصبـن الـمـلاقـطـا
إذ عرفوا مـا قـدمـوا لـنـفـوسـهـم ... مـن الـشـر والـشـر مـرد أراهـطـا
فلـم أر يـومـاً كـان أكثر باكيـا ... وأكـثـر مـغـبـوطـاً يحل وغـابـطـا

يقول الدكتور «حنّا» مقدم ديوان علقمة، بشرح الأعلم الشنتمري: إن عمرو ابن عمرو بن عُدس أدرك الطائيين، وإنه في البيت ما قبل الأخير يبدي الخلـق العظيم فهو لا يبدأ الآخرين بالعداء، ولكن الويل لهم إذا ما اعتدوا ويقول - أي علقمة - إن الشر يهلك صاحبه، وإن الطائيين بأيديهم عذبوا، واستحقوا الجزاء نكالاً لما قدموا، ويقول في البيت الأخير: إن القتل والأسر استمـر فـي ذلـك اليوم، وكثر الغنم والسبي، فمن حزين لما أصابه، ومن فرح مسرور بما صار إليه حاله، ومن يتمنى حال المسرور[3].

وتعود شهرة هذا اليوم، وهو ملحق بيوم (أوارة) كما في كتاب أبي عبيدة، إلى شدته فالغزاة يطلبون ثأراً لا مغنماً، إضافة إلى أنه تنفيذ لوصية زعيم هالك، هو زُرارة، وهو صاحب مكانة مرموقة عند قومه وعند العرب، وقد أعدّت تميم لهذا اليوم بجلب الخيل من (ضريّة) يتقدمها الفرسان والشعراء.

والمصادر تقول إن (الهييماء) مورد قديم في الجبلين، لا خارجها، وسبقت الإشارة إلى أن طيئاً تتحصن بالممرات في أجأ كما ذكر «مـوزل» عن (عقدة)، و(عقدة) إلى الشمال الغربي من قفار داخل الجبل، وورد أيضاً أن (السّلف) من الأمكنة الحصينة عند الطائيين، والـسّلف ريع في الجبل، يقابل أعلى قفار فـي جنوبها الغربي، وقيل عـن الـسّلف إن ذا الحصيرين، وهو طائي قديـم، كـان يتحصن به، هو وقومه، وذكره الشعراء بذلك.

---

(١) يقصد أدركهم عمرو.
(٢) أي أصابت الخيل.
(٣) ديوان علقمة الفحل.

ثم إن آل طريف الذين أُصيبوا في غزوة تميم طائيون، من أهل أجأ، ودارهم في ذي القصة، وذي القصة في أعلى وادي سقف في الحضن في أجأ.

يضاف إلى هذا أن وقعة الهييماء جاهلية قديمة قبل أن يتفرق فرعا طيء: الغوث وجديلة[1]، والذين أُصيبوا في الوقعة هم أجداد أوس بن حارثة بن لأم زعيم جديلة، حينما أصبح لجديلة زعامة، وحين انقسمت طيء إلى قسمين، وانتشرت في الجبلين، مع ملاحظة أن ليس للطائيين وقائع خارج بلادهم إلا أن يكونوا مع الأحاليف.

فالذي يفهم مما تقدم أن وقعة (الهييماء) داخل الجبلين، وأنها بالقرب من أجأ، حيث منازل الطريف، وبالقرب من الأمكنة الحصينة في بلاد طيء، وهي الممرات الضيقة في أجأ، وأن أقرب وصف للهييماء هو (قفار) حيث أدركت تميم الطائيين عصراً كما في قصيدة علقمة. وليس بالقرب من أجأ في السهل أمواه جاهلية إلا (بُزاخة)، ولو كانت الوقعة في بزاخة لعُرفت باسمها، أما قول البكري: أن الهييماء مويهة لبني أسد فلا يصطدم بكونها قرب جبل أجأ لأن للأسديين حق الاختصاص ببعض الأمواه في سفح أجأ الشرقي كـ «بُزاخة» وفي سفح سلمى الغربي كـ «السّبعان»، حتى بعد انتشار الطائيين في الجبلين، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ حمد الجاسر في حديثه عن وقعة بُزاخة في حروب الردة[2].

وبقي مما يؤيد أن وقعة الهييماء بقرب الجبل ما أشار إليه شعراء تميم، كقول البَعيث المجاشعي:

ونحن حدرنا طيئاً عن بلادها ونحن رددنا الحوفزان مكلّما

وكفخر الفرزدق على الطرماح بن حكيم الطائي حيث يقول: لا عز لطيء

---

(١) والغوث أشهر والنسبة إليهم غَوثي، قال الفرزدق في قصة له مع طائية بالمدينة المنورة:

تقول ابنة الغوثي مالك هاهنا وأنت تميمي من الشرق جانبه
ومازرت (سلمى) أن تكون حبيبة إلي، ولا دين بها أنا طالبه

ديوان الفرزدق.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة بزاخة، وفي بزاخة حدث يوم جاهلي من أشهر أيام العرب، قتل فيه زيد الفوارس التميمي المحرّق الغساني، وهو من أيام تميم على الغساسنة.

تلوذ به إلا الجبل تندس به، وأنها متى تهبط منه تغير عليها خيل تميم «العناجيج التي تعض على الشكيم»[1].

هذا وتجدر الإشارة إلى أن ياقوتاً الحموي قد خلط بين (الهييماء) و (اللهيماء) وظنهما وقعة وموقعاً واحداً مع أن الأول في بلاد الجبلين، والثاني في شرق الجزيرة حدثت به وقعة بين بني مجاشع من - تميم - وبكر بن وائل[2]، وورد في معجم ما استعجم للبكري أن هناك موقعاً آخر يعرف بـ (الهييماء) حدثت به وقعة بين كنانة وهُذيل، وهذا الموقع في الحجاز حيث بلاد هاتين القبيلتين واسمه الصحيح (الدهيماء) كما في كتاب الخيل للغرناطي[3]، ولعله ورد مُصحفاً في معجم البكري[4] كما ورد مصحفاً عند أبي عبيدة[5].

٥- الأحياء القديمة في قفار والآثار

تقع قفار جنوب غرب مدينة حائل، وتكاد تلتحم بها في سفح جبل أجأ الشرقي، في مقابل طريق السّلف أشهر الممرات الأجئية الأربعة المتقدم ذكرها،

---

(١) ديوان الفرزدق.. وقد اشتهرت تميم قديما بالخيل المعروفة بالنجابة والفراهة، وكان أكثم ابن صيفي التميمي يقول لطيء: عليكم بالخيل فإنها حصون العرب، وقال جرير:

إن الجياد يبتن حول قبابنا ... من آل أعوج أو لذي العُقّال

وآل اعوج وذو العقال فحلان قديمان: الأخير منهما لبني حنظلة من تميم، وقال بشر بن أبي حازم أو الطرماح الطائي:

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

أما أبيات الفرزدق فمطلعها:

تقول الأرض إذا غضبت عليهم ... أطائي يسب بني تميم؟

(٢) ياقوت: معجم البلدان، مادة اللهيماء.

(٣) الغرناطي: الخيل، ص٥٨.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، مادة اللهيماء.

(٥) أبو عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، يوم أوارة، وانظر اللهيماء والهييماء في معجم شمال المملكة ومعجم شرق الجزيرة (البحرين).



السير آلن مونرو السفير البريطاني السابق في زيارة لقلعة غيّاض في ٢٠/ ٤/ ١٤١٢هـ (٢٧ أكتوبر ١٩٩١م)

والوارد ذكره في كثير من الأشعار القديمة والحديثة قال حُميّر بن فريح بن عيادة، من أمراء قفـار:

لا غاب عنكم مير التميمـات ليله   جيتوا مـع الـسّلف مثل هافي نسوره

وينخزل من (السّلف) طريق يؤدي إلى (جو) على يمين المتجه من قـفـار غرباً، في وسط جبل أجأ، وحول (جو)، وهو من أبهى المناظر الطبيعية، فـي حائل تدور أخبار حادثة مفادها أنّ أهل قفار القدامى سكنوه، قبل أن ينزلوا السهل شرق جبل أجأ في أرض فسيحة رحبة، لم تعرف بلاد الجبلين مثلها فـي وفـرة المياه، وجودة المزروعات حتى شبهها الشعراء ببلاد الشام. قال القضاعي، وهو من أهل الروضة بحائل:

أعز عنـدي مـن مجالـس فلسطيـن   وإلا قفار بـعـتـرتـه يـوم حـيـنـه

و (جو) الذي نزله المتقدمون من أهل قفار له ذكر في الشعر العربي القديم، قال عبدة بن الطبيب التميمي[1]:

وأرحلنـا بـالـجـوّجـوّجوادة   بحيث يصـيـد الآبـدات الـعـسـلّقُ

نقل هذا الأستاذ حمد الجاسر عن ياقوت الحموي، وقال جو أكبر أودية أجأ وأشهرها، ينحدر من أعلى الجبل متجهاً نحو الشمال، وترفده شعاب أخرى[2].

يوجد في قفار عدد من المحلات الشهيرة، وورد في كتاب نبذة من تاريخ نجد أن لكل قبيلة محلة تُعرف بها في قفار[3]، وأشهر هذه المحلات:

١- محلة سَدِيس، وسديس في الأصل جبيل شمال قفار[4]، وجنوب مدينة حائل، ومما هو شائع لدى الرواة، من حُفّاظ العامة، أن الأرض الواقعة غـرب

---

(١) عبدة من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وقيل أن مرثيته لقيس بن عاصم المنقري تعد من أجود المراثي العربية القديمة، ومطلعها:

عليك سلام الله قيس بن عاصم   ورحمته ما شاء أن يترحما

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة جو.

(٣) ضاري الرشيد، نبذة في تاريخ نجد، ص٣٥.

(٤) وسديس هو الهضبة السفلى الواردة في قول ابن ماضي.

من الضبط العالي اليا السلف حدها   إلى الهضبة السفلى تدارج نهورها

سديس كانت محل استيطان قديم، وأن أهل قفار اضطروا ساكني هـذه الأرض إلى النزوح عنها. وأضافوا بأن نزاعاً حصل على سديس فيما بعد، وفي ذلك ورد قول أحد أهالي قفار:

ثـــار الطوب من جرعـــا سديـس   ألا يا ويل مـن هـو فـي نـحـرهـا

٢- الهيزعية: وتقع إلى الجنوب من سديس، وهي قفار القديـمـة، ذات أطلال توحي بتعاقب الشهور والأيام، وإن كانت ذات نخيل نامية إلى الآن، أما في سالف العصور فقد كانت خضرة نضرة، بل هي مضرب المثل في النمـاء، وجودة الثمار، والظلال الوارفة، والمياه الوافرة، ومن شعر العامة في الهيزعيـة قول أحدهم يشيد بها مفاخراً ومتباهياً:

كل النبـــق تنعـــاف غيـــر نبقتنا   يفضخ هميم القلـب زيـنـه ولـيـنـه

تلقـــى خطـــاة البنــت اليا ذواقتنا   تلقى خطاة البنت تذهـل جـنـيـنـه[1]

٣- غيّاض: وتقع محلة غيّاض إلى الجنوب من الهيزعية مباشرة، وهي بلدة مستقلة بأسوارها الضخمة، وقلاعها الشهيرة التي لا يكاد يوازيها شيء من الحصون المنيعة في الجزيرة العربية، في جودة البناء، وضخامة الحوامي.

قال أحد المتخصصين في الآثار من أبناء حائل في دراسة عن غيّاض[2]: «إن هذه القلاع والحصون في قفار تشبه المباني الحصينة في القاهرة وبكين، وأشار إلى براعة التصميم التي تظهر من خلال الأسوار الثلاثة، والأول منها يحيط بقلعة غيّاض الرئيسة ذات البرج العالي حيث مقر الأمير والخاصة وبها دور عند كل دار بئر أما الثاني فيحيط بالمساكن الكثيرة الواقعة خارج القلعة الرئيسة، وبه آثار مبان مهدمة، ومقابر لا تحصى، والسور الثالث الذي لا تزال آثاره تشاهد في شـرق قفار يحيط بالمزارع، وهو مشرف على وادي حائل «الأديرع».

وهذه الأسوار في محلة غيّاض تعد عند أهل قفار، بل عند أهل الجبليـن عموماً، مفخرة من مفاخر التاريخ، تدور حولها أحاديث المجد، والعزة، والمنعة

(١) كانت الهيزعية لآل عيادة من تميم وآلت إلى غيرهم بالشراء، والنبـق هـي الـنّبك فـي العربية، ومعناها القور.

(٢) هو الأستاذ خالد الصالح من منسوبي إدارة التعليم بحائل متخصص بدراسة الآثار.

في وقت كانت تسيطر عليه الفوضى والاضطرابات، وتبقى القوة، والقوة وحدها، السبيل الوحيد للاستقرار والاطمئنان.

ومحلة غياض للحمران من تميم[1]، وفي الطرف الجنوبي الغربي من غيّاض توجد محلة (البُديّعة) وهي لآل مفيد، ولا تزال البديعة حية عامرة تشاهد من الطريق المتجه من حائل إلى المدينة المنورة على طريق قفار المنخزل منه شرقاً. أما غياض فهو أطلال مهجورة تماماً.

٤- الغفيلية: وهي محلة لا سكن بها تكاد تتوسط قفار على طريق يقسم البلدة إلى نصفين شمالي وجنوبي، والغفيلية لآل عمير وآل عمران الذين نزحوا من قفار إلى الروضة في جبل رمان، وبسبب الغفيلية نشب نزاع دام بين أهلها قبل انتقالهم منها وفي ذلك قال أحدهم:

بنت الصويرية عوى دونه الذيب | لا واحلولا يا منايح بناتي
حطيت من دونه عقاد ولهابيب | وصكيت دونه يا عطيب الهواتي

والصويرية نوع من أنواع النخيل تشتهر به قفار قديماً، والعقاد جمع عقدة وهي: الأسوار المحكمة، واللهبوب المرتفع الشامخ.

وقد آلت الغفيلية إلى أحد أمراء حائل من آل الرشيد، أما أهلها فكانوا قد انتقلوا منها إلى الروضة قبل ذلك وفيهم قال الشاعر:

عميرات عدّوا بتميم وتناسلوا | من زارهم تمسح عليه قبور

٥- محلة آل حمَّاد: وهذه المحلة تنسب إلى آل حماد، أشهر البطون التي عُرفت قفار في تاريخها القديم بها، وتعد أملاكهم من أوسع الأملاك، وأغناها، في قلب البلدة وشرقها، وقدر الأُستاذ حمد الجاسر في كتابه جمهرة أنساب الأسرة المتحضرة في نجد أنَّ (حماداً) الذي ينتسب إليه كثير من تميم قد عاش في

---

(١) لأبناء علي الأحمر من تميم.. وقيل لآل غيّاض من تميم. ويبدو أن محلة غياض هي منزلة قفار وهي عامة لتميم وسميت المحلّة باسم القصر.

القرن الثالث الهجري[1]، أما ذريته في قفار فقد كانوا أصحاب صولة وجولة بحيث غدا لفظ (أولاد حماد)[2] عزوةً للمنتسبين إلى هذا الجد في قفار، وغيرها من البلدان النجدية، وأشار تركي بن فواز بن ماضي في قصيدة له إلى هذا الجد قائلاً:

تـر فرعهـم يـاذا حسيـن ومرشـد   والأصل (حماد)لكل الـحـمـايـل[3]

وقبل هذا كان عبد العزيز بن جاسر بن ماضي قد بعث بقصيدة تربو على التسعين بيتاً إلى أهل قفار، ذكر فيها تفريعاتهم، وإنّ(آل حمَّاد) في الذروة والسنام منهم، فقال في عام ١٢٣٥هـ:

واختص لي مجنى حميد ومرشـد   (أولاد حـمـّاد) لمثلي ذخورها

ورد هذا في تاريخ آل ماضي للأمير تركي بن ماضي المطبوع في عام ١٣٧٩هـ، ونص مؤلفه فيه على أن مزروعاً (جد المزا ريع) وهو من ذرية حمَّاد، قد انتقل من قفار إلى سدير في عام ٦٣٠هـ، لكن الأزهري حدّد رحلة مزروع بعام ٦٠٠هـ، وقد أنجب مزروع أربعة أولاد أصبح كل واحد منهم جد قبيلة[4].

٦- الضَّبَط: في جنوب غرب قفار، وهو من أحدث المحلات التي عرفت في قفار القديمة، وقد سمَّاه عبدالعزيز بن ماضي الضبط العالي لارتفاعه في أعلى البلدة، وقال في قصيدته[5]:

---

(١) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، مادة الحاء.. ويرى الدكتور رشيد العمرو أن آل حمّاد أهل قفار غير آل حمّاد أهل سدير وغيرها وإن كان البطنان من تميم.

(٢) قال ابن صقيه:

منهم بواد (بريك) جند عرفناه   أولاد حماد الأسود العنايف

(٣) تركي بن ماضي: تاريخ آل ماضي، ص١٩. والقصيدة في عام ١٢٥٨هـ.

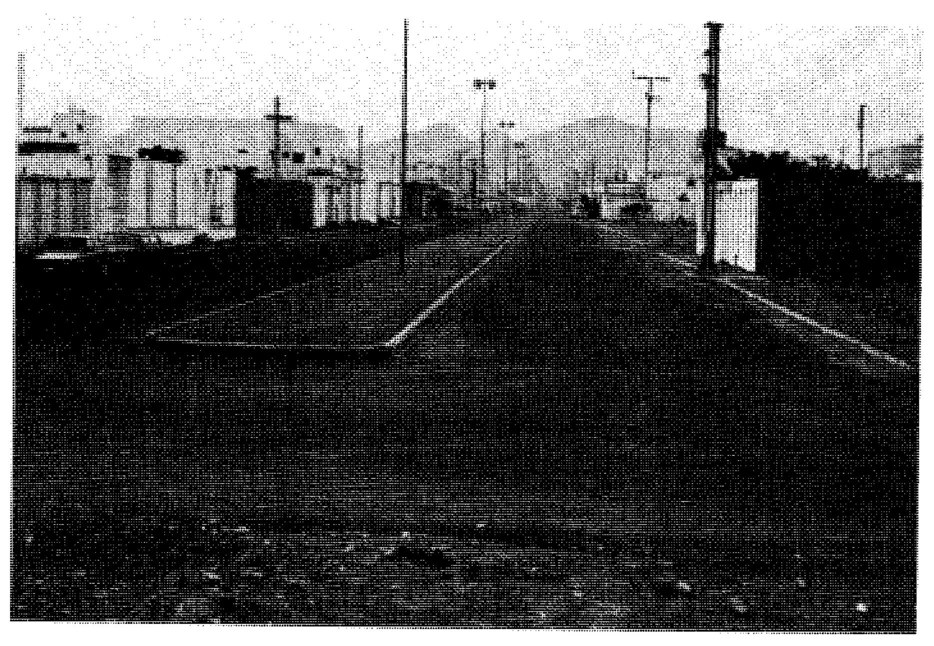
(٤) عبدالعزيز الأزهري: بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، ص٤٨.

(٥) وهي الملحمة القفارية وفيها يقول:

وغب أربـع تـبـهـش بـقـرب الـرفـاقـة   تـمـيـمـيـة دم المـعـادي طـهـورهـا
عسى الحـيـا بـالـوسـم يـعـتـاد دارهـم   بـنـو حـقـوق مـن المـاء نـشـورهـا
إذا أصبحـت فـي بـدلان كـسّابة الـشـنـا   وطالعـت فـي نـادي تـمـيـم صـقـورهـا

من (الضَّبط العالي) إلـى الـسَّلْف حدّها إلى الهضبة السفلى تدارج نـهـورهـا

وحين نضبت آبار قفار كان هذا الموقع من بين مواضع قليلة لم يشح ماؤها، وقد أشارت شاعرة من شواعر الجبلين، هي مزنة بنت فراج بن سُلمي التميمي، إلى الضَّبط في قصيدة مثيرة فقالت:



أحد شوارع قفار الحديثة بقرب سلسلة جبال أجأ

المـاء غدوا به عـن عمامي خوالـي ... يا لعن أبوكم اذبحوهـم ولو بـوق[١]
المـاء غـدوا به متعبـين المحالـي ... مثل العساكر (بالضبط) لجتـه فـوق

٧- محلة آل عيادة: وتقع في الطرف الغربي من قفار على ضفة شعيب قفار الجنوبية، الذي يقال له شعيـب آل سُلمي وقد يقال له شعيب الـعُميري، وهو ينطلق من جبال أجأ مخترقاً قفار من الغرب إلى الشرق حتى يصب في وادي حائل (الأديرع) فيُقسم قفار إلى نصفين: شمالي وجنوبي، ومحلة آل عيادة تقع فيما يعرف باسم (الضَّبط) الوارد في قصيدة عبدالعزيز بن ماضي، وتكاد مباني هذه المحـلـة تقترب من جبل أجأ، وتُرى بعض أطلالها على يمين المتجه من حائل جنوبـاً مع طريق حائل - المدينة المنورة، أما أكثريتها فهي يسار الطريق، وهي أسوار شامخة تشبه إلى حد كبير أسوار غياض، ويوجد بداخلها آبار كثيرة دارسة ودور وأشجار أثل ضخمة، وهي مهجورة تماماً ما عدا بئر ومزرعة في طرفها الجنوبي.

وإلى الجنوب من محلة آل عيادة في «الـضَّبط» نفسه توجد محلة الخشيم وهي «الفرعة» في أعلى قفار القديمة، إلى الشمال من قفار الحديثة[٢].

٨- محلة آل سُلمي: وتقع هذه المحلة على ضفة شعيب قفار الشمالية وهو الشعيب الذي ينسب لهم، وهي في مقابل محلة آل عيادة، يفصل بينهما الوادي، وإلى الشرق من محلة آل سُلمي توجد محلة البُدِيّعة التي سبق الإشارة إليها، أما الضفة الجنوبية فتقع عليها محلتا الغفيلية، والركدة إلى الشرق من مـحـلـة آل عيادة، والركدة لآل بكر من تميم.

٩- محلة آل خوير: وهذه المحلة في الطرف الجنوبي الشرقي من قفار وإلى الغرب منها أملاك آل عفيصان وهم من آل خوير، وإلى الشمال منها أمـلاك آل عفنان توازيها من الغرب إلى الشرق متصلة بمحلة آل حماد الكبيرة.

---

(١) أعمامها آل سُلمي وأخوالها آل عيادة، والعشيرتان من بني عمرو بن تميم وآل عيادة في (الضبط) جنوب وادي آل سُلمي، وآل سلمي شمال الوادي.

(٢) ذكر الدكتور رشيد العمرو بعد اطلاعه على مسودة هذا الكتاب أن أملاك الخشيمات أكثر من أملاك غيرهم في محلة الضبط وذكر لذلك نسبة مئوية، والضبط حي واحد من أحياء قفار الكثيرة ومن الصعب الوقوف عند كل حي لمعرفة توزيع الأملاك فيه.

وفي طرف هذه الأملاك الشرقي مما يلي ملك آل يعقوب دويرات الجص وهذه نزلها أناس من آل بقار ثم ارتحلوا.

٦- المناخ

تقع قفار في منطقة ترتفع عن سطح البحر «٩١٥» متراً وتشتهر باعتدال مناخها، فنادراً ما ترتفع درجة الحرارة فيها عن ٣٧ درجة مئوية.

وتنزل الأمطار في فصلي الشتاء والربيع بكميات جيدة تسيل من الجبال والمرتفعات إلى الأودية والسهول، كما تسقط أحياناً الثلوج في فصل الشتاء.

وتقع قفار على ضفة وادي حائل الغربية، والوادي يعرف الآن باسم الأُديرع، ويبلغ طوله ١٦٠كم، وتمتد فروعه من جبل حضن الواقع جنوب أجأ، ثم تجتمع فيه جميع سيول أجأ التي تنحدر إلى الشرق، وترفده أودية صغيرة تأتي من الجنوب وتجتمع كلها على مقربة من مدينة حائل شرقها ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي.

ويقع وادي حائل من أعلى فروعه إلى حيث ينتهي قرب بقعاء بين خطي الطول ٠٠- ٤١ درجة و ٤٠-٤٢ درجة وخطي العرض ٠٠-٢٧ درجة و ٠٠-٢٨ درجة.

٧- شهرة قفار التاريخية

لقفار مكانتها التاريخية المرموقة منذ الجاهلية وزادت هذه الشهرة خاصة من القرن التاسع الهجري حتى القرن الثالث عشر عندما كانت قاعدة الشمال، ومعظم سكان مدينة حائل والقرى التابعة لها قد انتقلوا إليها من قفار، وقد انتزعت منها مكانتها مدينة حائل في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري[١].

قال فالين الفنلندي: إنّ الكتاب العرب يقولون إن جميع العدنانيين - باستثناء قريش في مكة - عاشوا عيش بداوة وظلوا وحدهم يملكون نجداً إلى حين أخذت

(١) السويداء: القهوة العربية.



منظر الثلوج في منطقة حائل

القبائل القحطانية بالهجرة من اليمن إلى هذه الديار.

وفي منتصف القرن الثالث نلقى بني أسد العدنانيين - ويظن أن جدهم هو أسد بن خزيمة المولود سنة ١٠١م - يقيمون في هذه المنطقة، ولا يذكر الشمريون بني أسد بين الذين سكنوا ديارهم في القديم، غير أن قبائل كثيرة كبني ربيع - وسمعت عرباً يقولون: أنهم يرجعون بنسبهم إليهم - وكبني قيس وتميم وهلال، الذين عرف عنهم أنهم نزلوا الجبلين، وتعاقبوا على امتلاك المنطقة كانوا من أنسباء بني أسد العدنانيين.

وقال فالين: إن الكتب العربية لا تشير أية إشارة إلى منطقة الجبلين في الزمان الذي سبق الميلاد حين بدأ العدنانيون بالهجرة من الحجاز إلى نجد، ويحسب «كوسال دي بريسفال» أن جدهم عدنان ولد حوالي سنة ١٣٠ ق.م[١]، وأشهر العدنانيين تميم، وأسد، وغطفان.

قال ابن صقيه في (أجأ) و(سلمى):

وبلّغ سلامي من سكن ذيك الأطلال — أجأ وسلمى اللي باهلها مصانه
بني تميم وشمر الشم الأبطال — وأولاد عبس أهل الظفر والرزانه
من كان نزّال ومن كان رحال — الكل منهم باخنينه بخانه

ومنها:

وياما وياما من جديدات وأسمال — لاعن صياد الفوارس حصانه[٢]

وصياد الفوارس هو عتاب بن الحارث بن شهاب التميمي، فتك بالهرماس الغساني وأخيه في يوم كنهل في شرق الجزيرة، وله وقائع كثيرة، وغدر به ذؤاب الأسدي في «خو» بأرض سميراء، في جنوب شرق حائل[٣].

ويقال لصياد الفوارس: الماغث، ونقل الأستاذ أحمد العريفي في كتاب

---

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ص١١٤.
(٢) ديوان ابن صقيه.
(٣) أبو عبيدة: الأيام، وابن عبدربه: العقد الفريد.



منظر آخر للثلوج

الألقاب، الجزء الأول أن صيّاد الفوارس يقال له سم الفرسان، وأن العرب تقول: لو سقط القمر من السماء لما التقطه إلا صياد الفوارس[1]، وعند أهل عكاظ أن فرسان العرب ثلاثة: صياد الفوارس، وعامر بن الطفيل، وبسطام بن قيس الوائلي[2].

وقال أحد عشيرة السبعة من عنزة[3]:

في دارنا نصبح لك الله مقيمين   في دارنا لو كان مامن صمايل
وان عاضبن الحيل نذبح بعارين   ونردها لأهل قفارٍ وحايل[4]

وفي جبل أجأ ورد قول العجاج[5]:

فإن تصر ليلى بسلمى أو أجا   أو باللوى أو ذي حسا ويأججا
أو حيث كان الولجات ولجا   أو حيث رمل عالج تعلجا[6]
أو حيث صار بطن قو عوسجا   او ينتهي الحي نباكا فالرجا

وتمتد سلسلة جبال سلمى من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي نحو ٦٠ كم وعرضها نحو ١٣كم، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها نحو ١٢٠٠ م فوق سطح البحر.

---

(١) أحمد العريفي: الألقاب، ص٩٨.

(٢) وقالت آمنة بنت صياد الفوارس ترثي أباها:

وكان أبي عتيبة شمرياً   فلا تلقاه يدخر النصيبا

وشمري هنا صفة وليس علماً، فالشاعرة تنعته بالمضاء في العزيمة، وكانت أسد أغارت على تميم فأتى الصريخ الحي فلم يتلاحقوا إلا مساء في «خو». وورد في بعض المصادر سمهري بدلا من شمري، والسمهري الصلب من الرماح. انظر الغرناطي: الخيل، ص١١٧.

(٣) من أهل الحليفة الواقعة في جنوب منطقة حائل على بعد ٢٠٠كم من حائل على طريق حائل المدينة.

(٤) هذان البيتان من ضمن قصيدة يعارض بها قصيدة ابن حمدان من أهل بلدة المستجدة الواقعة جنوب جبل رمّان بحائل.

(٥) العجّاج وابنه رؤبة ملوك الرجز عند العرب، وهما من بني سعد من تميم عاشا في العصر الأموي. ولرؤبة ديوان حققه المستشرق «وليم البرسي».

(٦) رمل عالج في شمال منطقة حائل وهو الذي تقع به بلدة «جبة» قال أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري:

من رمل عالج إلى هضبة طمية   شهوة الناظر وصيتٍ يستسنا

قال الفرزدق:

تثاقل أركان عليه ثقيلة كأركان سلمى أو أعز وأكثف[1]

وقد يقال للجبلين (أجأ و سلمى) الحجاز، والعرب تسمي كل جبل حجز بين أرضين حجازاً، قال حُريث بن عنّاب النبهاني الطائي:

حماهن من نبهان جمع عرمرم وصُم العوالي والحجاز الممنع

على أن العرب كثيراً ما فخرت بنزولها الأرض البراح وبحماية سيوفها لها لا كهوف الجبال، قال سويد العكلي التميمي[2]:

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا نلوذ به إلا السيوف القواطع

ولم يبق منَّا للقتل إلا عصابة تطاعن عن احسابنا وتقارع

وقال عكلي آخر:

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا نلوذ به إلا السيوف البواتر

أي أنهم مصحرون لا يخافون أحداً، يكونون مع الغيث حيث أغن، ومع الغلب حيث عنّ[3]. وقال لبيد بن ربيعة في معلقته:

مُرية حلت بـ «فيد» وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها

واشتهرت قفار بكثرة من هاجر منها من الأسر والبطون، ولها في نفوس أحفاد اولئك ذكريات طيبة باعتبارها محلهم الأقدم، ومركز بيضتهم الأول، قال الأستاذ حمد الجاسر في الجمهرة: إن كثيراً من الأسر التميمية تتناقل من تاريخها أن أوائلها انتقلوا من قفار البلدة الواقعة في سفح جبل أجأ، ومن هؤلاء آل حماد، الذين هم أصل فروع كثيرة من بني تميم في سدير، وحوطة بني تميم، وغيرهم ممن ينتسب إلى بني العنبر بن عمرو بن تميم[4].

---

(١) وذلك في فائيته الفخرية الشهيرة.

(٢) عكل: قبيلة من الرِّباب من تميم.

(٣) أدب الخواص، ص٩٤.

(٤) حمد الجاسر: الجمهرة، مادة تميم.

وعن آل حماد هؤلاء قال الأستاذ فؤاد حمزة مؤلف كتاب «في قلب جزيرة العرب»: أن آل حماد هم أكثر الموجودين من تميم في نجد عدداً[1].

وتحدث الأستاذ عبدالعزيز الأزهري في كتابه «بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب»: عن بعض الهجرات المتقدمة من قفار، وقال إن المزاريع وهم من آل حماد خرجوا من قفار في عام ٦٠٠هـ وسماها «قفار بني تميم»[2].

وذكر الأستاذ عبدالله أبا بطين في كتابه «روضة سدير» وهو من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب أن روضة الحازمي في سدير ظلت أعواماً طوالاً لا تعرف إلا باسم «روضة الخيل» حتى نزلها مزروع بن رفيع عام ٦٣٠هـ، قدم إليها من قفار[3].

وذُكرت قفار والجبلان في كثير من الأشعار الفصيحة والنبطية، قال محمد آل الشيخ مبارك:

فما قفار سوى أنموذج لبني ... عمرو تميم نماهم للعدو وجا

وقال ابن مشرف الأحسائي:

تميمية حلت بتيماء ودونها ... من الجبل الطائي قفار فحائله

وقال جلعود بن لافي الشمري:

سلمى ورمان وأجا مع سهالها ... له نصف طيب ونصف للنفود
تقاسموا هذا تميم وشمر ... لا هانوا كرام اللحى بالكود

وفي جبل (سلمى) قال عبيد بن الأبرص الأسدي، وهو من شعراء المعلقات:

أنبئت أن بني جديلة أوعبوا ... نُفراء من (سلمى) لنا وتنكبوا
ولقد أتانا عن تميم أنهم ... ذئروا لقتلى عامر وتغضبوا

---

(١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب.

(٢) الأزهري: بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، ص١٢٠.

(٣) أبا بطين: روضة سدير، ص٣٥، قال الشَّمردل بن شريك التميمي:

دار الجميع بروضة الخيل اسلمي ... وسقيت من بحر السحاب مطيرا

وقال ابن جمهور من الشعراء العاميين:

هذا فعـل سكـان حايـل قفـارا ظنك بهم ماكملوا دشـن الأكـوار[1]

وقال الشرعبي: لا شك أن تميماً تؤلف اليوم مع أخواتها من القبائل العربية في منطقة حائل تجمعاً سكانياً، وائتلافاً هائلاً وقد زرتهم هناك، لقد زرت شمراً وتميماً، ويمكنك قارئي العزيز أن تطلع على ما تمكنت من جمعه عن قبلية شمر العربية، أما ونحن الآن في صدد الحديث والبحث عن قبيلة تميم فلا بد أن نقف على ما تمثله هذه القبيلة في صنع تاريخ المنطقة قبل توحيد المملكة العربية السعودية، وما بعدها، ولنبدأ بالتعرف على عاصمة تميم في الجبلين ألا وهي (قفار)[2].

قال الأستاذ حمد الجاسر: إن مؤرخي نجد ذكروا أن كثيراً من الأسر التميمية المعروفة الآن في إقليم سدير كانت في بلدة قفار الواقعة في سفح جبل أجأ، ثم انتقلت إلى سدير.

وقال بعد أن عرض لبعض النصوص التاريخية إن تلك الأسر التي تنتمي إلى هؤلاء الرجال معروفة، يتناقل أفرادها خبر الانتقال من قفار إلى سدير[3].

٨- قفار في اللغة

الإقفار في اللغة هو الخلو، وقفار مورد قديم[4] أقفر من أهله فعرف بهذا الاسم، قال عبيد بن الأبرص الأسدي، وهو من شعراء المعلقات يصف بعض الأمكنة:

---

(١) وقال:

تقول ما يطـري علينا انحـدارا تبون حايل مـع قفار لكـم دار

وقال ابن صقيه

من هموم كنـها سـود الجبـال مثل أجا وجبال سلمى يا معين

مثل أجا اللي رسيت غربي قفار الجبـال اللي عليـها البازمـين

(٢) الشرعبي: البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر، ص١٠٦٩.

(٣) حمد الجاسر: الجمهرة، ص٧١.

(٤) قال الأستاذ حمد الجاسر أن بلدة قفار قديمة جدا ولكنها مجهولة التاريخ، ذكر ذلك في حديث عن (المنتهب) في مجلة العرب.

درست من الأقفار أي دروس.

وقال:

لـمـن الـدار اقـفـرت بـالـجـنـاب   غـيـر نـؤي ودمـنـة كـالـكـتـاب

وقال في المعلقة:

اقـفـــر مـن أهـلـه مـلـحـوب   فـالـقـطـبـيـات فـالـذنـوب

وقال أيضاً:

لمـن دمنـة اقفـرت بحرة ضرغـد   تلوح كعنوان الكتـاب الـمـجـدد[1]

وورد في معجمات اللغة: القفر: مفازة لا ماء فيها ولا نبات والجمع قفار يقال: أرض قفـر، وقفرة أيضاً، ومقفار، وقفرت المرأة بالكسر تقفر قفراً، فهي قفرة قليلة اللحم، والقفار بالفتح، الخبز بلا أدم، يقال: أكل خبزة قفارا، وقفرت أثره أقفره بالضم، أي قفوته، واقتفرت مثلـه، قال أعشى باهله:

لا يغـمـزُ الساق من أين ولا وصب   ولا يـــزال أمـام الـقـوم يـقـتـفـر

وكذلك تقفرت، وأقتفرت الدار خلت، وأقفر الرجل: صار إلى الفقر، وفي الحديث، ما اقفر بيت فيه خل، والقفّور: مثل التنور كافور النخل، وهو وعاء الطلع.

والقفور: نبت ترعاه القطا، قال ابن أحمر:

ترعـى الـقـطـاة الـبـقـل قـفّـوره   ثم تـعـــر الـمـا فـيـمـن يـعـر[2]

أما الهييماء فقد ورد في المعاجم اللغوية التعريف التالي: هام فلان هيمـا وهيمانا: خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه.. وفي الأمر تحيّر فيه واضطرب. وذهب كل مذهب، وفي القرآن الكـريـم ﴿**ألم تر أنهم في كل واد يهيمون**﴾ يتناولون كل نوع من أنواع الكلام فيغلون فيه مدحاً أو ذماً.

وهام فلان هياماً اشتد عطشه، وبفلانة هياماً، وتهياماً شغف حباً بها فهو

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عَدَرة، وضرغد بلدة في منطقة حائل، أهلها من قفار، تابعة لمحافظة الغزالة.

(٢) الجوهري: إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار.

هائم، والجمع هُيام وهُيم، قالوا: هيّم الحب فلاناً جعله ذا هُيام، واهتام فلان لنفسه احتال لها، واكتسب، وتهيم فلان، أحسن المشي، وتهيمت المرأة الرجل جعلته يهيم بها واستهيم فؤاد فلان: هام، والأهيم من الرجال، ومن الإبل: العطشان أشد العطش، وهي هيماء، جمعه (هيم) قال تعالى ﴿**فشاربون شرب الهيم**﴾ وليل أهيم لا نجوم فيه.

والهيام من الرمل ما كان تراباً دقاقاً يابساً لا تستطيع أن تمسك به لدقة ذراته.

والهيام أشد العطش، وداء يصيب الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى، والجنون من العشق، والهيمان، العطشان أشد العطش، والمحب الشديد الوجد، والهيوم المتحير[1].

وفي معلقة لبيد بن ربيعة ورد قوله:

بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها   قفر المراقب خوفها آرامها

والثلبوت من أشهر روافد وادي الرمة جنوب جبل رمان وكان لبني نصر من بني أسد في الجاهلية ثم أصبح لبني ذبيان من غطفان[2].

وقال المرقش الأصغر الوائلي:

أضحت قفاراً وقد كان بها   في سالف الدهر أرباب الهجوم

قال المسعودي في مروج الذهب: وقد تنازع الناس في الهواتف والجان، فذكر فريق منهم أن ما تذكره العرب، وتنبىء به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في (القفار)، والتفرد في الأودية، والسلوك في المهامة، والمروراة الموحشة.

والمتفرد في القفار، والمتوحد في المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف، متوقع للحتوف، لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها في نفسه فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له.

وقال في زجر السوانح والبوارح: حدّث المنقري عن العتبي، قال: وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب (بفيفاء قفر) وكانوا يريدون استقصاد رجل من

(١) المعجم الوسيط.

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة الثلبوت.

تميم إذ سنحت ظباء سود منكرة، ثم اعترضت الركب مقصرة في حصرها، واقفة على شأنها فأنكر ذلك عبيد الراعي، ولم ينتبه له أصحابه، فقال عبيد:

ألـم تـدر ما قـال الظباء السوانح؟ أطفن أمام الركـب والـركـب رائـح

فكر الذي لم يعرف الزجـر مـنـهـم وأيـقـن قـلـبـي انـهـن نـوائـح

ثم شارفوا مقصدهم، فألفوا الرئيس قد نشهته أفعى فأتت عليه. قال أبو عبيدة: وهذا من غريب الزجر، وذلك أن السانح مرجو عند العرب، والبارح هو: المخوف.

وقال الأصمعي: أرض قرواح، وقرياح وقرحياء (قفراء) وقرحياء لم تأت إلا عند الأصمعي:

وقال عميرة التغلبي الوائلي وهو جاهلي قديم:

ألا يـا ديـار الـحـي بـالـسّبعان خلت حجج بعـدي لـهـن ثـمـان[1]

قفـار مـروراة يحـار بهـا القطـا يظل بـهـا الـسـبـعـان يـعـتـركـان

وقال الأخطل:

تربعنـا الجزيـرة بعـد قيـس فأضحت وهـي مـن قـيـس قـفـار

وقال المهلهل يرثي أخاه كليباً:

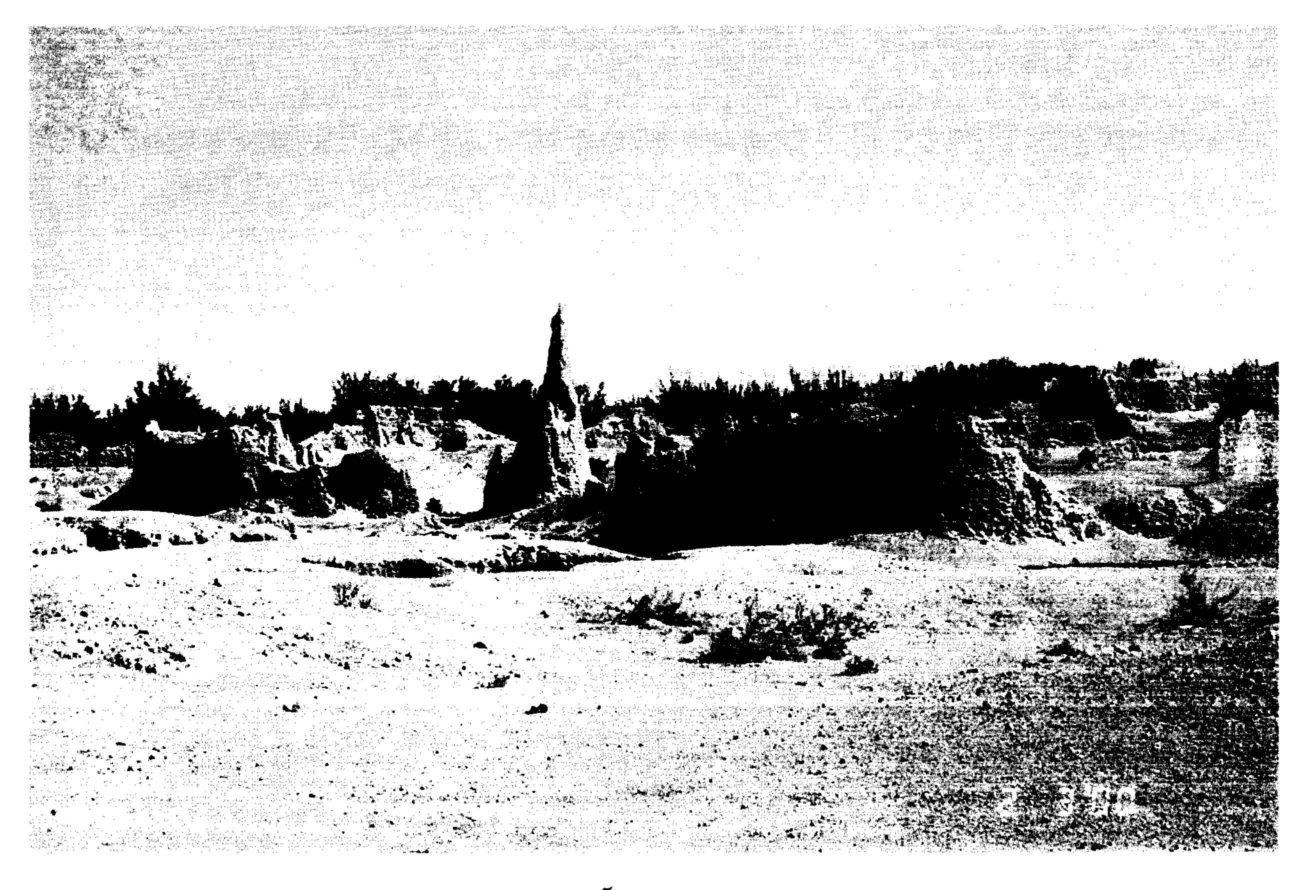
دعوتـك يـا كليـب فلـم تجبني وكيف يجيبـنـي الـبـلـد الـقـفـار

٩- جيولوجية قفار[2]

تغطي قفار السهول المتكونة من الرواسب الوديانية التابعة للعصر الرباعي. وتخترق هذه السهول بعض الأودية، والشعاب التي تشكل روافد مهمة لوادي الأديرع المشهور، وأهم هذه الأودية الـرَّصف، والـسّلف، التي أقيمت عليها سدود لتخزين المياه، والسيطرة عليها، وتنحدر هذه الشعاب من جبال أجأ أحد

(١) وفي رواية البردان بدل السّبعان، والسَّبْعان، في الأصل واد بين الجبلين، وهو الآن بلدة عامرة، أهلها من قفار، وتنسب هذه القصيدة لشاعر من بني عقيل، والأصح أنها للتغلبي يهجو بها قوماً وصفهم بأنهم عبيد في جبل رمّان. انظر المفضليات، ص ٢٥٨.

(٢) من بحث للمهندس مبارك فريح السلامة مدير عام شركة حائل للتنمية الزراعية (سابقاً)، وعضو مجلس منطقة حائل، ورئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بحائل.



منظر عام لبعض آثار قفار

أهم سلاسل الجبال في منطقة نجد، وتتكون هذه الجبال في معظمها من الجرانيب الأحمر، والوردي، تخترقه بعض الصدوع العمودية وهو تابع للعصر ما قبل الكمبري حيث يتراوح عمره الأيزوتوبي ٥٣٥ مليون سنة، وتتبعثر بعض الجبال المتكونة أيضاً من الجرانوديورايت، والانرسايت التابع لمتكون حلبان، وتقطع المنطقة باتجاه الشرق بعض القواطع من صخر الرايوليت الدييبيسي.

ويتراوح سمك الرواسب الوديانية بين ٣٠ و ٥٠ متراً، ويتجه نظام صرف المياه في هذه المنطقة باتجاه الشمال الشرقي، والمياه تعتمد اعتماداً كبيراً على الأمطار، وتعاني هذه المنطقة من نقص المياه نتيجة التوسع الزراعي، علماً بأنها كانت من أكثر المناطق ازدهاراً لتوفر المياه في السابق، ونوعية المياه تتدرج من ٣٠٠ جزء في المليون إلى أكثر من ٥٠٠٠ جزء في المليون[١].

وتقع قفار في السهول الوسطى في منطقة حائل، وهي السهول المحصورة بين جبل أجأ وجبل سلمى من الشرق، وتنحدر هذه السهول من الغرب إلى الشرق، وتتميز هذه السهول بخصوبة تربتها، ومن أهم المحاصيل فيها التمور حيث تنمو النخيل بكثرة[٢].

---

(١) مبارك السلامة: جيولوجية قفار.

(٢) منصور الفايز: حائل، ص ٢٨.

الفصل الثاني

قفار في الدراسات التاريخية والبلدانية

١- قفار في تاريخ ابن لعبون
٢- الهجرة من قفار
٣- قفار وأهل قفار في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
٤- أهم الحوادث التاريخية في قفار
٥- قفار في بعض المصنفات الحديثة
٦- قفار وتعشار

١- قفار في تاريخ ابن لعبون[١]

ابن لعبون من أوائل المشتغلين بالدراسات التاريخية في نجد، فـي رأس القرن الثاني عشر الهجري، وقال في حديثه عن تميـم: إن الصريح منهم المجتمعين على أنسابهم وأحسابهم ثماني قبائل:

الأولى: أهل قفار الذين انخزل منهم المزاريع أهل روضة سدير، فمنهم راجح جد آل ماضي، وسعيد جد رميزان، وهلال جد آل أبي هلال، ومنهم آل مفيد.

الثانية: أهل القارة وبلدانها في سدير.

الثالثة: آل عُرينة.

الرابعة: المنيعات.

الخامسة: العناقر.

السادسة: الوهبة.

السابعة: النواصر.

الثامنة: أهل الحوطة درجوا من قفار إلى قارة سدير ثم درجوا بعد ذلك إلى مقرهم الذي هم فيه.[٢] واستدرك تركي بن ماضي على ابن لعبون فعدد بعض البطون التي تنضوي في معظمها تحت التفريعات الواردة في كتاب ابن لعبون، وحدد تاريـخ انخزال المزاريع من قفار بأنه في عام ٦٣٠هـ في ضوء رسالة النسابة عثمان بـن إبراهيم أبو حيمد إمام جامع عودة سدير إلى عبد الكريم أبو حيمد في الزبير[٣].

(١) هو حمد بن محمد بن لعبون، طُبع قسم من كتابه في عام ١٣٥٧هـ بمكة المكرمة، وقسم لا يزال مخطوطاً.

(٢) حمد الجاسر: الجمهرة ص٤٥.

(٣) ابن ماضي: تاريخ آل ماضي، ص١٧ وأشار الدكتور رشيد العمرو إلى أن رواية النّسابة عثمان أبو حيمد إنما هي من الأخبار غير الموثقـة. وأيـاً كان الأمر فإن خبر هجرة مزروع من قـفـار اعتمدت فيه على عدد من المصادر: كابن لعبون وابن بشر.

وقد أحصى الأستاذ حمد الجاسر في الجمهرة عـدداً من الذين خرجوا من قفار إلى البلدان النجدية وغيرها وعدَّ منهم: آل مبارك في الأحساء، ونقل عن الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك أن أسرته تنتسب إلى عمرو بن تميم، ثم مـن بـنـي جندب بن العنبر، ممن كان يسكن في قفار أشهر بلدة في الجبل قبل مـديـنـة حائل، وأنها من آل مزروع الذين استقر بعضهم في روضة سدير، وبعضهم في القارة حتى عام ١٠٨٧هـ حيث اضطرتهم الحوادث مع أبناء عمومتهم إلى مغادرة سدير فمنهم من قصد حوطة بني تميم ومنهم من قصد الأحساء ومن هؤلاء قاسم بن حمد جد آل مبارك(١).

وقد أنجبت هذه الأسرة علماء، وأدباء، وشعراء منهم الشيخ مبـارك بـن على المتوفى في عام ١٣٢٠هـ والشيخ عبداللطيف بن مبارك المتوفى في عـام ١٢٨٥هـ والشيخ راشد بن عبداللطيف المتوفى في عام ١٣٤٠هـ وغيرهم، وفي كتاب (تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء) وكتاب (شعراء هجر) تراجم مشاهير علماء هذه الأسرة الكريمة وشعرائها.

٢- الهجرة من قفار

تحدث الأستاذ حمد باستفاضة عن المزاريع، وقال: إن مزروعاً من أهل القرن السابع الهجري، قدم من قفار، وهو الأب التاسع لماضي المقتول في عام ١٠٧٥هـ وأن المزاريع أكبر الفروع التي تنتمي إليها الأسر التميمية في نجد، وهو غير المزروعَيْن الذين ذكرهما ابن الكلبي في جمهرة النسب في بني سعد، إذ إن هذين من أهل الجاهلية كعب بن سعد وابنه مالك بن كعب.

وإن لمزروع أربعة أولاد: سعيد، وسليمان، وهلال، وراجـح فـمـن آل (أبوراجح) آل ماضي، ومن آل (أبو سليمان) المزاريع في الزبير ومنفوحة والأحساء وجلاجل وعشيرة، ومن (آل بو سعيد) رميزان، والفارس في سدير، والكويت، ومن آل (أبو هلال) الكلابا وآل دامغ وآل بو حيمد.

(٢) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص٧١٦.

وعد حمد الجاسر من المنتمين إلى المزاريع وغيرهم من بني العنبر ممن نزحوا من قفار:

١- آل عبداللطيف بن سيف في روضة سدير.

٢- آل عبدالوهاب من آل (أبو هلال).

٣- آل سُلمي ومنهم العُبيد في البدايع والخبراء والبكيرية من أبناء رشيد بن رشود بن سُلمي من بني العنبر.

٤- آل عثمان في الرياض من الهلالات (آل أبو هلال) من المزاريع (آل مزروع) من آل حمّاد.

٥- آل عساف في المجمعة من آل (أبوسعيد) من المزاريع[١].

٦- العصاما وأحدهم عصيمي في قفار ثم الزلفي والأحساء والكويت والشام.

قال الأستاذ حمد: كتب لي الأخ محمد الفريح رئيس هيئة الأمر بالمعروف في البكيرية بتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٤٠٦هـ يقول: وأما العُقلا فهم من تميم الجبل من ذرية فرج الحميضي، هم من قبيلة السّلامة في الخبراء، والسُلمي بالبكيرية، والعصاما في الزلفي، ولهم فخوذ وفروع كثيرة في القصيم[٢].

٧- آل عُطية في سدير من آل (أبو سعيد) من المزاريع.

٨- آل عيبان في سدير من الحمران من آل رحمة من النواصر.

٩- آل غيث في قفار ثم في بريدة من النواصر.

١٠- الفداغم في سدير والمذنب من بني العنبر.

١١- الفريح من آل سلمي من بني العنبر أبناء فريح بن فواز بن حمد بن فواز بن سُلمي في البكيرية.

١٢- آل فوزان في روضة سدير من المزاريع.

١٣- آل قاسم في روضة سدير من المزاريع.

١٤- القفارات واحدهم قفاري في قفار، ثم في بريدة من بني العنبر.

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٠

(٢) المرجع السابق ص ٥٤٦.

١٥- آل قُميع في الخبراء والبكيرية من آل رشيد بن رشود من آل سُلمي من بني العنبر.

١٦- آل كنعان في الزلفي من آل (أبو سعيد) من المزاريع.

١٧- آل ماضي أمراء روضة سدير من آل (أبو راجح) من المزاريع، قال الأستاذ حمد نقلاً عن المؤرخ ابن عيسى صاحب تاريخ بعض الحوادث في نجد: جاء جدهم مزروع من قفار، أولاده أربعة صار كل واحد منهم جد قبيلة. وتناول الشيخ حمد خبراً مطولاً في الجمهرة عن ذلك.

١٨- آل مانع سكان قارة سدير القدماء من (آل حمَّاد)[١].

١٩- آل مجماج في الأثلة من آل (أبو هلال) من المزاريع[٢].

٢٠- آل مديميغ في الرياض وسدير من آل (أبو هلال) من المزاريع.

٢١- آل موسى في الزبير من آل (أبو راجح) من المزاريع.

٢٢- النواصر: قال الشيخ حمد واحدهم ناصري قبيلة تميمة تتفرع منها أسر كثيرة ونقل عن الشيخ ابن بسام أن النواصر من بني الحارث بن عمرو بن تميم، ونقل عن الشيخ ابن زاحم أنّهم من ذرية عبّاد بن الحصين بن عباد، وبعبّاد هذا سمي عبّادان بدولة بني تميم بالبصرة منهم آل عيادة وآل رحمة والرومي وَالحمران وَباديتهم في برّ فارس ولهم عالية شط (كارون) في الأهواز ومنهم نواصر نجد الحميضات أهل المذنب وأهل قفار[٣].

٢٣- آل بُدير في العلا، وهم من آل حمّاد من قفار، نقل الدكتور عبدالله نصيف أن بدراً وبديراً من تميم كانا ملوكاً لتيماء، وأنهما نزحا منها إلى العلا بعد طوفان اجتاحها في قصة أسطورية. أشار المؤلف إلى أن كلا من حمد الجاسر ومحمد السمير[٤] ذكراها في حديثهما عن تيماء، وقال نصيف: إنَّ

---

(١) قال الدكتور عبدالعزيز الخضيري: إن آل مانع هؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة بطون، انظر حمد الجاسر: الجمهرة، مادة الخضيري.

(٢) من هؤلاء الشاعر الشعبي المعروف فهيد بن مجماج.

(٣) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة، مادة النواصر.

(٤) حمد الجاسر: شمال غرب الجزيرة، ومحمد السمير: تيماء.

ظاهر بن بدير التميمي كان شيخاً لمشائخ الشقيق[1] في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وأن الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي، نزل في ضيافته عندما زار العلا في بداية عام ١٨٧٧م. وتولى المشيخة من بعده ابنه عبدالرحمن ثم ربيع بن بدير في عام ١٣٣٣هـ وهو الذي أصبح رئيساً لبلدية العلا[2] وهجرة آل بدير إلى تيماء أقدم الهجرات من قفار.

٢٤- المعايطة والمجالي وهؤلاء من آل أبو سعيد من مزروع من آل حمَّاد نقل الدكتور العبادي[3] أنهم من ذرية رشيدان ورميزان وللشيخ ممدوح المعايطة[4] بحث في نسبهم وهم من عشائر الكرك بالأردن.

٢٥- آل حمّاد، وهؤلاء أصحاب وادي حماد شرق الكرك. ومنه نزحوا إلى الشمال، ومركز ثقلهم الآن في (هام) جنوب إربد، منهم الشيخ محمد سعيد الهامي الشافعي مذهبا، التميمي نسبا، التيجاني مشربا[5]، وله ابن اسمه خالد، وأبناء خالد هم: تميم، والقعقاع، والأحنف، وأحمد، ومن مشاهيرهم الآن الشيخ ساري بن سالم الساري التميمي من آل حمَّاد من بني العنبر[6].

٣- قفار في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

تحدث الأستاذ حمد الجاسر في معجم شمال المملكة عن قفار الواقعة في سفح جبل أجأ الشرقي والقرى المتفرعة عنها في جبل رمَّان وجنوبه وعن البطون التي تسكنها فقال:

إنَّ سكنى هذه البطون يظهر أنه قديم إذ كانت بطون من تميم تسكن بعض

(١) أهل العلا مجموعتان رئيسيتان هما: الشقيق والحلف.

(٢) عبدالله نصيف، العلا ص٦٨.

(٣) العبادي: العشائر الأردنية ٦٠٢ ، ٧٤٠.

(٤) صاحب مكتبة الجاحظ في عمان ـ رحمه الله.

(٥) كما ورد في كتب خطبه المنبرية.

(٦) ويلاحظ كثرة ورود اسم القعقاع في تميم، وأشهرهم القعقاع بن معبد «تيار الفرات»، والقعقاع بن ضرار، والقعقاع بن محمد بن عمير، والقعقاع بن سويد، والقعقاع بن شبرمة، والقعقاع بن عمرو، والقعقاع بن عُمارة.

الأماكن التي احتلتها قبيلة بني أسد في صدر الإسلام كما يفهم مما أورد صاحب كتاب «بلاد العرب» في كلامه عن الأجفر فقد ذكر أنه كان لبني يربوع - من تميم - فانتزعته منهم بنو جذيمه من أسد، وهذا يدل على قرب منازل بني تميم من بلاد الجبلين، وهناك نصوص أخرى تدل على ذلك لاداعي للإطالة بذكرها[1].

وقال في المقدمة أيضاً: يسكن مواضع هذه الإمارة - يقصد إمارة عرعر، الحدود الشمالية - فروع من بني تميم في جنوبها وفي الدهناء، والحَزْن (التيسيَّة) إلى قرب سهول الفرات.

وقال عن وادي حائل الذي تقع قفار على ضفته الغربية بينه وبين جبل أجأ: إنه وادٍ يفلق بين الرمل وأجأ ليس ثم وادٍ غيره يصب في الحزن -حزن يربوع من تميم - نقل هذا عن الهجري وأشار إلى أن أعلى وادي حائل (الأديرع) تمتد فروعه من جبل حضن الواقع جنوب أجأ ثم تجتمع فيه جميع سيول أجأ التي تنحدر إلى الشرق، وترفده أودية صغيرة تأتي من الجنوب، وتجتمع كلها على مقربة من مدينة حائل شرقها ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي حتى تلب به رمال النفود فتصرفه نحو الجنوب الشرقي حيث تلتقي معه سيول شرقي جبل سلمى وما دونها من أودية وبعد اجتماعها تفيض على مقربةٍ من بقعاء حيث تحجزها الرمال.

قال الأُستاذ حمد: وقول الهجري بأن هذا الوادي يفلق بين الرمل وأجأ ليس ثم وادٍ غيره يصب في الحزن، إن هذا قد يكون قبل تراكم الرمال الحاجزة بينه وبين الحزن، ووجود مناهل أحناء تلك الرمال وأرض جلد يؤيد رأي الهجري.

وأشار الأستاذ حمد إلى ما ذكره ياقوت من أن سيل حائل ينتهي إلى قاع يسمى قراقر تسيل إليه أودية ما بين الجبلين في حق أسد وطيء، وقال إن وادي حائل من أعلى فروعه إلى حيث ينتهي قرب بقعاء يقع بين خطي الطول ٠٠-٤١ درجة وبين ٤٠و٤٢ وخطي العرض ٠٠-٢٧ وَ ٠٠-٨٢.

وبعد هذا العرض قال: إن هذا عن حائل الوادي، فماذا عن حائل البلدة، وأجاب عن هذا التساؤل بقوله: لم يطلق اسم حائل على البلدة - فيما أعلم - إلا

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مقدمة المعجم.

بئر زرود (الجاشعية)

في عصر متأخر وكانت الشهرة إلى ما قبل قرنين من الزمن لبلدة قفار[١].

أما عن أهل قفار القدماء من تميم فإن المعجم مليء بتحديد الأماكن الجاهلية التي كانوا يحلونها في شمال شرق منطقة حائل، قال الأستاذ حمد عن حزن يربوع الذي ينتهي إليه سيل وادي حائل نقلاً عن ياقوت: هو قرب فيد وهو من جهة الكوفة، وهو من أجلّ مراتع العرب، فيه قيعان، وكانت العرب تقول: من تربّع الحزن، وتشتّى الصمان، وتقيظ الشرف فقد أخصب، وقيل حزن يربوع ما شرع من طريق الحاج المصعد، قال جرير:

ساروا إليك من السهباء ودونهم　　　فيحان فالحزن فالصمان فالوكف[٢]

وقال السكري: الحزن بلاد يربوع، وهو أطيب البادية مرعى ثم الصَّمان، وقال الأصمعي حزن بني يربوع قف غليظ مسيرة ثلاث ليال في مثلها، وخياشيمه أطرافه[٣].

ونقل الأستاذ حمد ما ورد في كتاب بلاد العرب من أن الغبيط، وإياد، وذا طلوح، وذا كريب، أودية بحزن يربوع، وأن بالغبيط وقعة تميم وبكر بن وائل[٤]، ودار يربوع الحزن، ومياههم أعشاش، والفردوس، وأنصاب، ونقل عن ياقوت قوله: حزن مليحة وهو حزن بني يربوع إذ مُليحة من مواضعه وبها وقعة لبني تميم على بكر بن وائل، واستشهاده بأبيات جرير:

ولو ضاف أحياء بحزن مليحة　　　للاقى جواراً صافياً غير أكدرا

فهم ضربوا آل الملوك وعجلوا　　　بورد غداة الحوفزان مبكرا

وبعد ذلك قال الأستاذ حمد أن حزن يربوع من أوسع الحزون يبدأ من

---

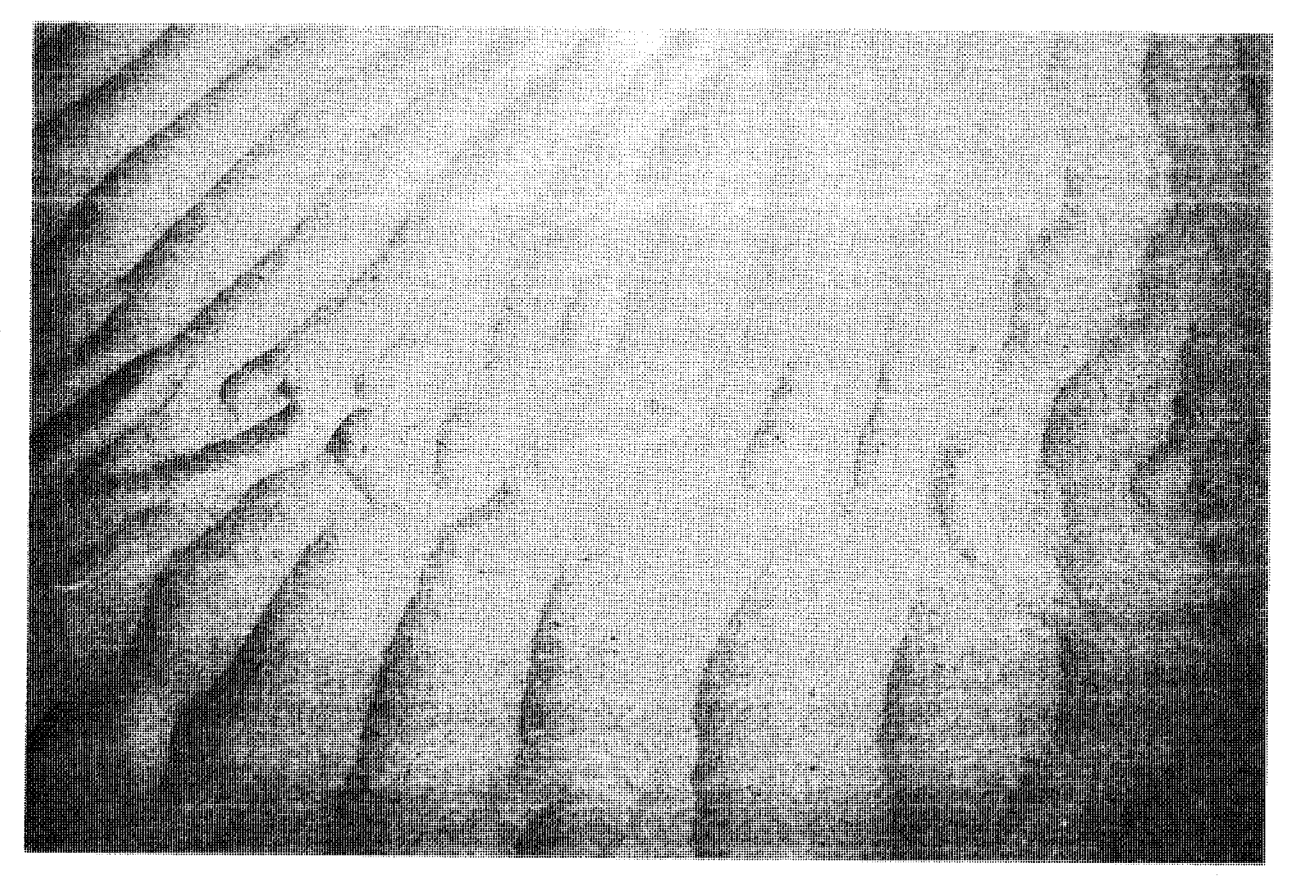
(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة حائل.

(٢) وقال غيلان ذو الرّمة:

حتى نساء تميم وهي نازحة　　　بقلة الحزن فالصمّان فالعقد

(٣) سئلت بنت الخس أي بلاد أحسن مرعى؟ فقالت خياشيم الحزن، وجواء الصمّان، وإنما جعلته أمرأ وأعذى لبعده عن المياه فليس ترعاه الشاء ولا الحمير.

(٤) تعد أيام هاتين القبيلتين فيما بينهما من أكثر أيام العرب، وأبعدها شهرة، ومعظمها وقع في الحزن والدهناء والصمّان. انظر حمد الجاسر: معجم المنطقة الشرقية، ومعجم شمال المملكة، وأحمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية.



عرق المظهور بين زرود والتيسية في حزن يربوع

الطرف الشمالي للصمان يفصل بينهما وادي الحفر، المعروف قديماً باسم فلْج، ويمتد شمالاً مسيرة ثلاثة أيام للإبل، ومن الغرب إلى لينة حتى يقرب شرقاً من الشّجي، والرّحيل غرب البصرة، وشمالاً شرقياً غرب الكوفة، ومن مناهله: أنصاب، وأعشاش، والفردوس، والقيصومة، وحومانة الدراج بطرف رمل الدهناء، أي أنه يمتد غرباً إلى الدهناء، وتقع فيه (التيسية) ومياهها وأوديتها[1].

وقال عن التيسية: إن من أوديتها: وادي الأجردي في شرقيها ووادي الفويلق الذي يخترقها من الجنوب إلى الشمال، وشعيب أبا الجرفان في شمالها، وشعيب البدع يخترقها بقرب طريق الحج، وشعيب أختال (ختال) في شمالها، ووادي الحسيان.

ومن مناهلها: الطرّاق، والعبيد، وقبة، وعكيرشة، والطليحي، والبعيثة، والزبيرة، (في شمال شرق حائل) وسدحة، وأم الذيابة، والحفنة بقرب الزبيرة، والثعلبية (البدع وخضراء)، وقليب شيحان (شمال تربة بحائل)، وبركة العرايش، والحسيكي، وأختال.

ومن جبالها: روية، وجال الطليحي، وجال الضبيب، وجبلة وجبيلة (شمال حائل)... وتقع التيسية بين درجتي الطول ٣٠-٤٢ وَ ٣٥-٤٤ ودرجتي العرض ١٠٠-٢٧ وَ ٥٠-٢٨.

ونقل عن البكري خبر وقعة التيسية حيث أصابت بنو تميم طيئاً، وأصابت أسد بني ضبّة وقال: التيسية أرض واسعة ممتدة ذات جبال، وأودية، ومناهل في حزن بني يربوع[2] - من تميم.

هذه خلاصة موجزة لبلاد تميم القديمة التي ذكر الأستاذ حمد في المعجم أنها قريبة من قفار التي استوطنها التميميون، وإن كان من إضافة لما تقدم فهي تتعلق بـ «زرود» في شمال شرق منطقة حائل إذ ورد في المعجم أخبار تتصل بها وببني تميم، جاهلية وإسلاماً، وقد حشد الأستاذ حمد معلومات كثيرة عن

---

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة ص ٤٢٨.

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة ص ٢٧٠.

تسميتها، وأنها مجاشعيـة، خُزيمية، نسبة لبني مجاشع بن حنظلة في جاهليـة العرب، ولخزيمة بن خازم الدارمي الحنظلي في عصر بني العباس.

وناقش ما ورد في بعض المصادر من أن لاماء في البادية لبني مجاشع إلا وقيط، وزرود وبيَّن أن أمواه هؤلاء القوم أكثر من ذلك.

قال الأستاذ حمد جاء في كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته: كان هذا المنزل يُسمى زَرَوُد فسُمي الخزيمية لأن خزيمة بن خازم صير فيها بركاً، وسواني للآبار، يستقى منها بالإبل، وربما لم يوجد في بركها ماء، فيوجد بالقرب منه في محلة بني تميم، والموضع رمل أحمر، والمتعشى العين على ١٤ ميلاً، ومن الخزيمية إلى الأجفر ٢٤ ميلاً.

ونقل عن كتابيْ (نهاية الأرب) و (الروض المعطار) خبر يوم زرود الثاني، وانتصار تميم على تغلب، وقول الْكَلْحَبَة اليربوعي «فارس العرادة»[(١)]:

فقلـت لـكـأس ألجـمـيـهـا فـإنمـا ... نزلنا الكثيـب مـن زرود لـنـفـزعـا

وأن سعد بن أبي وقاص لما خرج لحرب العراق نزل فيد، فأقام بها شهراً ثم كتب له عمر أن يرتفع إلى زرود فأتاها فأقام بها، وأتاه من حولها من بني تميم، بنو حنظلة، وأتته سعد، والرِّباب، وعمرو، وكان ممن أتاه عطارد، والزِّبرقان، وحنظلة بن الربيع، وهلال بن علقمـة[(٢)] التميمي، والمنذر بن حسان الضبـي، فقالت رؤساء حنظلة: يا بني تميم قد نزل بكم الناس وهم قبائـل الـحـجـاز، واليمن، وأهل العالية، وقد لزمكم قراهم فشاطروها الرسل، ففعلوا فمن كانت له لقحتان فض إحداهما عليهم، ومن كان له أكثر فعلى حساب ذلك، فقروهم شتوة بـ (زرود)، وتفرقوا فيما حولها وأقام سعد ينتظر اجتماع الناس[(٣)].

---

(١) انظر ترجمته في شعر بني تميم في العصر الجاهلي للدكتور المعيني، ولفارس العرادة أخ هو واقد ابن عبدالله نزل فيه قوله تعالى ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه...**﴾.

(٢) هو: هلال بن عُلّفة، وهو قاتل رستم في القادسية.

(٣) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة الخزيمة، وزرود، ولمزيد من التفاصيل انظر من المصادر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، حوادث العام الرابع عشر للهجرة، ومن المراجع الحديثة أحمد عادل كمال: القادسية، ص٤٨.



جانب من بئر زرود (الخزيمية)

وفي الحديث عن «جلدية» الواقعة على بعد ٥٠ كم شرق مدينة حائل الحالية أورد الأستاذ حمد أبيات عبدالعزيز بن زُرارة العامري:

فلما بدت جلدية من أمامنا ... و(فتك) وجاوزنا بلاد تميم[١]

على أن الذي يلاحظ هنا هو أن هذه الديار التميمية القديمة التي ذكرها الشيخ حمد في (الأجفر) وَ(زرود) وما والاها شمالاً ونقل جميع ما يتعلق بها من الوقائع والأيام وما ورد عنها في المصادر بتحديدها، والفروع التي كانت تحلها من بني حنظلة، وما تحويه من مناهل، وأمواه، وأودية وجبال.. هذه الديار وإن كانت قريبة من قفار فإنها ديار حنظلية وأهل قفار القدماء الذين تحدث الأستاذ حمد عن هجرتهم من قفار إلى وسط نجد بدءًا من أوائل القرن السابع الهجري غالبيتهم - إن لم يكن كلهم - مَن بني العنبر والنواصر، وهؤلاء عمريون لا علاقة لهم بيربوع، وليسوا من بني مجاشع وإن كان الجميع من تميم.

إذن فأين كان بنو عمرو الذين عُرفت بهم قفار في عصورها الأولى وقال فيهم محمد آل الشيخ مبارك:

فما قفار سوى أنموذج لبني ... عمرو تميمٍ نماهم للعدو وجا

قال الأستاذ حمد في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد: «بنو عمرو بن تميم من بطون بني تميم الكبار»، قال ذو الرمة:

يعد الناسبون إلى تميم ... بيوت المجد أربعة كبار
يعدون الرِّباب وآل سعد ... وعمراً ثم حنظلة الخيارا

وقد انحدر بنو عمرو إلى شرق الجزيرة على ضفاف وادي (فلْج) (وادي الحفر) حتى ساحل البحر وأطراف العراق منذ ظهور الإسلام.

وقد تحضرت أسر كثيرة منهم فبقيت في نجد، في إقليم سدير وفي القصيم. ومنهم أفخاذ كثيرة في منطقة حائل[٢].

وقال في معجم شمال المملكة في رسم «فلْج» و فلْج بفتح الفاء وإسكان

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة جلدية، وفتك.

(٢) حمد الجاسر: الجمهرة، ٥٧٧.

اللام ثم جيم، هو الوادي الواقع شرق الدهناء يخترق طرف الصمان الشمالي، ويظن أنه كان امتداداً لوادي الرمة وأن الرمال قطعته ويعرف باسم الباطن.

ويمتد وادي فلج (الباطن) من شرقي الدهناء، من قرب منهل الثمامي، الواقع غرب أم عُشر، وهذه من مناهل الطريق البصري القديم، ويتجه نحو الجنوب حتى المنخفضات الواقعة قرب بلدة الزبير شماله على مقربة من الأهوار التي هي امتداد لشط العرب، ويمر به قديماً الطريق إلى البصرة ويسير بموازاته إلى الدهناء حيث يجزعها ماراً بأم العشر، ثم المجازاة، ثم الينسوعة، ثم السمينة، ثم النّباج.

وأحال الأستاذ حمد إلى كتاب المناسك للحربي، وأشار إلى ما نقله ياقوت عن أبي عبيده من أنَّ وادي فَلْج مابين الـرُّحيل إلى المجازة وهي أول الدهناء، والرحيل غرب البصرة بـ٥٩ ميلاً على ما في المناسك.

وقال: إن أقوال المتقدمين عن «فَلْج» كثيرة معروفة لاداعي للإطالة بذكرها، وكان من منازل (بني العنبر من بني عمرو من تميم) قال الراجز:

إنَّ بني العنبر احموا فلجا[1]

فالذي يفهم في ضوء ما ورد من الأقوال في معجم شمال المملكة ومناقشة الأُستاذ حمد لها، أن ديار حنظلة من تميم هي القريبة الصلة ببلاد الجبلين في الجاهلية، وأن هذه الدِّيار الحنظلية تحول بين بني عمرو (أهـل فَلْج) وبين قفار التي عرفت بهم وعرفوا بها فيما بعد.

على أنّ مما تجب ملاحظته أن العشائر التميمية قد اختلطت منازلها في صدر الإسلام، يدل على ذلك ما أورده الطبري في حوادث العام الرابع عشر للهجرة من أنَّ سعد بن أبي وقاص قائد جيش القادسية رحل من فيد - شرق جبل سلمى - ونزل بأرض (زرود) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لجمع المقاتلة من بني تميم وأسد وورد في الخبر أنه اجتمع لسعد ألف من بني عمرو من تميم، وألف من حنظلة، وألف من سعد، وألف من الرِّباب، وكان الجيش برمته في

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، ومعجم المنطقة الشرقية، مادة فَلْج.

ضيافتهم وقد أمر الخليفة سعداً بأن يرتحل بالناس من (زرود) إلى ما بين الحزن والبسيطة[1].

ولاشك أن عصر صدر الإسلام قد شهد تحولات كبرى في أرض الجزيرة العربية خاصة فيما يتعلق بأرض الجبلين فقد أزاحت غطفان أسداً وطيئاً عن جبل رمَّان، وحل (بنو جحاش) وهم غطفانيون فـي وادي الـثَلبَوت، كما ذكر ذلـك الطبري، وورث الطائيون أراضي تميم على حد تعبير السويدي صاحب سبائـك الذهب، وانتزعت أسد الأجفر من تميم، وهاهو أحد الأسدين يصور هذا الأمر في بلاد الجبلين بقوله[2]:

أرى الـثَـلـبـوت يـأنـف نـبـتــه   قـوم كـأنـهـم أولـو سـلـطـان
ولهـم بـلاد طـالمـا عـرفـت بـهـم   صحن المـلا، ومـدافـع الـسّـبُعـان
ومـن الحـوادث لا أبـا لأبـيـكـم   أنَّ الأجـيـفـر قـسـمـة شـطـران

ثم إنّ اشتراك تميم في فتوحات العراق وَ فارس بأعداد كبيرة جداً قد جعل من بقي من فروعها تتداخل في المنازل في شمال شرق حائل وفي أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية[3].

ولعل الأقرب من هذا ما ذكره ياقوت عن (فيد) الواقعة في سفح جـبـل سلمى الشرقي، جنوب غرب (زرود) وَ (الأجفر) وأنها بليدة في نصف طريق مكة إلى الكوفة، وأنها أثلاث، ثلث للعمريين، وثلث لآل أبي سلمة، وثلث لنبهان[4].

وقد أضاف الأُستاذ حمد الجاسر إلى هذا ما ذكره «الويس موزل» الـذي زار فيداً عام ١٩١٥م، وأنها تتألف من ثلاثين كوخاً أكثرها لأفراد من قبيلة تميم

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث العام الرابع عشر للهجرة.

(٢) الشاعر هو: حبيب بن خالد بن المضلل الأسدي.
والملا هو المنطقة الممتدة بين بقعاء والأجفر، يفضي إليها سيل وادي السبعان المعروف الآن باسم وادي العدوة، قيل لمتمم بن نويرة: يموت أخوك في الملا وتبكي على قبر بالعراق؟

(٣) قال حمد الجاسر في الجمهرة: إن تميماً تحل أوسع رقعة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، مادة الفاء.

زعيمهم يُدعى ناصر[١].

وذكر ياقوت أنّ منهل (أبضة) لبني العنبر من بني عمرو من تميم، ولعل ما ورد في أيام العرب من وقائع تميمية جاهلية في (الأجول) قرب فيد حيث قتلت تميم ابن الجوين الطائي، وفي (أبضة) حيث أوقعت تميم ببني بحتر وبني فرير الطائيين يؤيد ما أشار إليه ياقوت، يضاف إلى هذا أنّ بطوناً عمرية من بني أُسَيِّد - قوم أكثم - لم تكن بعيدة عن أرض الجبلين في العصر الجاهلي فقد كانت تحل ما بين شَرْج وَ ناظرة[٢].

ومما تقدم يفهم أن استيطان بني تميم في قفار إن لم يكن نزوحاً من الديار الحنظلية - حزن يربوع - فهو بلا شك مما يلي الحزن في شرقيه الشمالي من الحفر، وماويّة، وأم العُشر، والطنيب، والصليعاء، وهذه بلاد عنبرية ومازنية[٣]، تحدث عنها الأُستاذ حمد الجاسر في معجم شرق الجزيرة العربية باستفاضة، ونقل عدداً من روايات الإخباريين القدماء وأصحاب المعاجم التي تتحدث عن أولئك القوم.

---

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة فيد. وفي مرويات العامة من أهل الجبلين أن تميماً أهل فيد استوطنوا بقعاء ولم أجد من يذكر تاريخاً لذلك غير أن موزل فيما نقل عنه حمد الجاسر ذكر أن بقعاء في عام ١٩١٥م قسمان أحدهما لتميم وشمر. حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة بقعاء.

(٢) شرج هي شري أبدلت جيمها ياء وهي لغة تميم وعند شري وناظرة يلتقي رعي تميم وأسد وعبس، وقيل هي لبني أسيّد، وفي أرضها سقط أوس بن حجر من ناقته فقال:

خذلت على ليلة ساهرة بصحراء شرج إلى ناظرة

وفي أرض شرج وناظرة هلك عنترة بن شداد كما نقل ابن قتيبة عن أبي عبيدة. وانظر عن أبضة والأجول وفيد نقائض الفرزدق والطرماح.

(٣) مازن والعنبر من بني عمرو من تميم.

مدفن الجاسوس التركي في سور قلعة عَيّاض

٤- أهم الحوادث التاريخية في قفار

كانت قفار من أكبر بلدان منطقة حائل، وكان أهلها على جانب كبير من القوة والمنعة، ولا يستطيع اقتحامها لقوتها، وعلو شانها أي غاصب مهما كانت قوته.

وبعد سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا، وبقوة وعتاد الدولة التركية التي كانت تبذلها سخيةً لحاكم مصر (محمد علي باشا) في سبيل تحطيم الحكام العرب في قلب الجزيرة العربية الذين لايدينون لها بالولاء والطاعة، أرسل محمد علي حملة للقضاء على بلاد الجبلين وما يتبعها من قرى وبوادي.

وقد اضطرت هذه القوة للبقاء على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات في جنوب شرق قفار، وبنوا قصراً لاتزال آثاره قائمة يسمى (القصير) وجلسوا ينتظرون حصول ثغرة في صفوف أهالي قفار يستطيعون من خلالها الولوج والسيطرة، لكن وجود العدو لم يزد أهل قفار إلا التفافاً وتلاحماً، والوقوف صفاً واحداً، وقلباً واحداً للدفاع عن شرفهم وكيانهم، وأخذت القوة المعادية ترسل المتسللين إلى قفار لاستطلاع الأمر.

وكانت هذه العيون تتسلل إلى قفار، ويكتشف الأهالي أمرها فيقبضون عليها.

ومن القصص المعروفة أن أهل قفار كانوا وقت اشتداد الحملة يتعاونون لبناء السور الشرقي لقفار ويقيمون الأبراج ومن بينها «برج غيّاض» المعروف فتتسلل أحد عيون الحامية، فعرفه أحدهم وصاح هازجاً: (عدوا لبن.. هاتوا طين.. هاتوا حدا الرجاجيل).

وكان أحد الرجاجيل المقصود هو هذا الغريب الذي يتجسس عليهم فما كان منهم إلا أن حملوا هذا الجاسوس ووضعوه على ظهر السور، ووضعوا فوقه اللبن، والطين، وبنوا فوقه، ولا تزال آثار عظامه باقية في برج غياض بقفار في الجهة الشرقية المقابلة لحصن (القصير) - تصغير قصر - إلى اليوم.

وبعد أن تسلل اليأس إلى نفوس هذه القوة الغازية انسحبت تحت جنح

الظلام وغادرت المنطقة مهزومة خاسرة[1].

هذا ما ذكره الأستاذ فهد العريفي، وهو من المهتمين بمنطقة حائل تاريخاً، وأدباً، ودراسات بلدانية، وهذه القصة التي أوردها عن الجاسوس التركي وبناء أهل قفار عليه في الجدار مشهورة معروفة لكن الأستاذ العريفي حدد ذلك بغزوة إبراهيم باشا لنجد في عام ١٢٣٤هـ وهناك من يقول أنها متقدمة على هذا التاريخ بسنين عديدة، وأنها إبان الغزوات التركية الأولى، وبهذا علق أمير قفار عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير التميمي وقال: إن وضع أهل قفار الجاسوس في سور (غياض) قد تم إبان حملة تركية على بلاد الجبلين بقيادة (الدجيني).

وقال ابن صقية عن الحادثة في كتابه «بنو تميم في بلاد الجبلين»: إنه شاهد قصر غياض ورأى بقايا معالمه الشامخة الرائعة، وكان له أساس تمشي على ظهره السيارة الصغيرة.

وقال: إن لهذا القصر قصة، فقد كان بنو تميم حين علموا بظهور الدولة العثمانية قد أتى إليهم رسل تلك الدولة، فلما وقفوا عندهم وهم منهمكون في ترديد الأهازيج: (هيا طين هيا رجاجيل) فأمسك البناؤون رجلاً من الرسل، وأضجعوه على ظهر الحامي (جدار السور) ووضعوا فوقه الطين وتركوا واحداً ليخبر من أرسله بما صنعه أهل قفار برفيقه فلما أخبر الرسول زعيم الجند الذي أتى للحرب بما جرى هرب وترك حرب مدينة قفار.

وأضاف ابن صقية: إن لقفار دوراً كبيراً في التاريخ، وأكبر دليل على قدمها أن جميع من في قرى الجبل من بني تميم.. وكثيراً من بني تميم في منطقة سدير وجل الأسر التميمية المنتشرة في نجد انتقلت من قفار، كالنواصر، وسكان حوطة بني تميم[2].

---

(١) فهد العريفي: حائل، ص ٥٨.

(٢) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين.

والذي يلاحظ هو أن ابن صقيه لم يحدد زمناً لوقعة غياض التي تم بناء السور فيها على رسول الحملة التركية، إلا أنه يُستنتج أنها من الحملات التركية الأولى.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن غزوة إبراهيم باشا لم تخفق في قفار بل إنها قد لاقت عنتاً شديداً وعادت - كسابقتها - خائبة مهزومة.

ومن خبر حملة إبراهيم باشا أن أمير حائل محمد بن علي حثَّ بني تميم أهل قفار على تحصين البلدة استعدادا للتصدي للغزو، وقد تصدى أهل قفار للجيش الغازي وهزموه بعد أن قتل ابن علي في حي الزبارة بحائل(١).

أما وقعة غياض وانهزام جيش الدولة العثمانية فقد بلغت من الشهرة بحيث وردت على ألسنة كثير من الشعراء قديماً وحديثاً ومن ذلك ما قاله الشاعر زيد بن غازي بن عضيب الدعجاني العتيبي في قصيدة بعنوان:

جدكم في جبل حايل شجاع وكريم

مرحباً يا حرار طويق عزوة تميم	يا رجال لكم بالجود شهرة وجاه
وكل رجل حليم وفي المهمة حكيم	مرحباً به عدد ما هل وامطر سماه
قالها مخلصٍ من فيض قلب سليم	فاهم فالرموز وفعلكم ما خفاه
جدكم في جبل حايل شجاع وكريم	يا هلا عد نبت الوسم لا ارواه ماه
لازبنكم غريبٍ موجسٍ جور ضيم	طاب كيفه ونزحتوا سرايا عداه
يوم ضرب المدافع بـ «الجبل» له رزيم	مدفع الترك حطمتوه فوق الصفاه
حقكم عندنا معلوم والله عليم	يوم زرتوا سدير اللي يونس نباه
مرحبا يا زحولٍ تقهرون الخصيم	والصديق بطرفكم معلنين غلاه

(١) الظاهري: آل جرباء، ص٦٥ وفي قتل ابن علي قال الشاعر:

يا حيف راس الشيخ تلعب به الروم   متقابلين بينهم يجزرونه

وقال الشاعر عبدالرحمن بن طلق بن خويتم العصيمي العتيبي[1] في محاورة شعرية بينه وبين الشاعر سعيد بن عبدالله الأحمري[2]:

يالتاجر اللي تبيع وتشتري في قـفـار　　قفار ديرة تميم وديـرة أصـحـابـهـا
الدار لله وللي فـعـلـهـم بـالجـدار　　(الترك) تدفن مع الجدران بثيـابـهـا

وكان مما قال الأحمري:

بعنا وشرينا وزينا البلـد بـالـعـمـار　　تميم ما أنتم دوانيـهـا ولا اقـرابـهـا

وروى أمير قفار عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير التميمي رحمه الله أنه خاصم عبدالله بن موسى بن مليحان التميمي - رحمه الله - على أرض غياض عند قاضي حائل الشيخ حمود بن حسين الشغدلي، قال عبدالعزيز: وكان من بين من حضروا الخصومة سعود بن جلعود الراوية المشهور، وأن ابن جلعود تمثل بقول الشاعر:

كل دار عند أهـلـهـا حـفـايـظـهـا　　إلا غياض سيوف هنـد حـفـايـظـه

ودعا الشيخ سالم بن محمد آل مفيد التميمي مجموعة من أبناء عمومتـه لزيارته في قفار، وكان ممن شارك في الترحيب الأمير عبدالمحسن بن حـمـود الهذيلي التميمي[3] بقصيدة منها:

حنا هزمنا الترك من غير تـكـذيـب　　خلوا(قفار) وشدوا الـفـجـر هـراب
حافوا وخافوا عقب ذبح المـنـاديـب　　وهذا جزى الصايل وجرار الأسبـاب

ومن أهم الأخبار المتعلقة بـ (قفار) ما ورد في كتاب «نبذة من تاريخ نجد» لضاري بن فهيد بن رشيد:

وضاري جلا عن نجد على إثر محاولته الاستيلاء على إمارة حائل، فانتهى به الطواف إلى البصرة، حيث ظهر به مرض عضال شخصه حكـيـم الـبـصـرة الإنجليزي، وأشار بفتح البطن لاستئصاله على يد جراح إنجليزي شهـيـر فـي «بمباي» فقدمها لهذا الغرض ونزل على عين أكارمها الشيخ عبدالـرحـمـن بـن

(١) مدير جوازات منطقة حائل سابقاً.
(٢) من منسوبي إدارة المباحث العامة بمنطقة حائل.
(٣) رئيس مركز العظيم بمنطقة حائل، وأمير مدينة الروضة القبلي.

إبراهيم التميمي النجدي[1] ملك اللؤلؤ في زمنه.

قال وديع البستاني كاتب النبذة: وكنت عند الشيخ عبدالرحمن الذي كان من حسن رفده وإكرامه للشيخ ضاري أنه استأجر له قصراً يقيم فيه بحاشيته، وكانوا أربعة ومن خصص له من خدم طيلة المدة اللازمة لعلاجه وابلاله، وكنت جليسه الملازم له طوال تلك المدة، وفي أثنائها وبطلب مني أملا علي هذه الصفحات، فكنت أدون عباراته بلفظه، ومثلاً لعربية نجدي على الفطرة والسليقة[2].

قال ضاري في نبذته اتى عيسى الجبل وامتنع عليه بعض أهل قفار، وأما أهل حايل فقالوا له: إنا لما سمعنا بقدومك أجلينا عبدالله - يقصد عبدالله بن رشيد.

وضاري يشير هنا إلى ما حدث في عام ١٢٥٢هـ حينما استولى خالد بن سعود وإسماعيل أغا وعسكر الترك على الرياض لما نزح الإمام فيصل بن تركي إلى الإحساء، وما حدث من إرسال قوة من الذين استولوا على الرياض مع عيسى بن علي إلى حائل لكي يستعيد بها إمارته من آل رشيد.

يقول ضاري: نزل عيسى والعسكر على قفار لمحاربة بعض أهل قفار المسمين بآل عبادان[3].. وذلك أن أهل الجبل ساروا مع عيسى وعسكر الترك يطاردون عبدالله بن رشيد مقدار يومين، إلا المذكورين من أهل قفار فقد امتنعوا لأن فيهم رئيسهم المسمى حميّد[4] رجل عاقل، وذكر ضاري مقولة حُمير الشهيرة وهي:

(ناكل من قرّينا، ونشرب من جوابينا، ونقتل الذي في ظلم يأتينا)

وهذه المقولة تدل على مدى اعتداد حُمير بنفسه وبعشيرته، وبقوة بلدته،

---

(١) الشيخ عبدالرحمن من العناقر من بني سعد من تميم.

(٢) نشرت النبذة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.

(٣) آل عبادان تصحيف آل عيادة وهم أهل قفار آنذاك وفيهم الزعامة، وقد سبقت الإشارة إلى أنهم من النواصر من الحبطات، من ذرية الفارس المشهور عباد بن الحصين الذي سُميت به مدينة عبادان بفارس.

(٤) حُميِّد هو ابن عيادة والصحيح أن اسمه حُمّير بالراء لا بالدال.. وقال الدكتور رشيد العمرو إن اسمه عبدالله ولقبه حميّر.

ومنعتها، وعدم اكتراثه بمن يأتي لحرب قفار سواء ابن علي والترك أو غيرهم.

يقول ضاري أن عيسى رجع من مطاردة عبدالله بن رشيد وأعلن الحرب على حُمير وجماعته ثم أن عبيداً أخا عبدالله - وجد ضاري المؤلف - تسلل إلى قفار ونزل على الرئيس المذكور يقصد حُمير بن عيادة وأن ابن عيادة أكرم عبيداً (وخرج به وأخفاه) وأرسل لجماعته وهكذا يفعلون إذا أتاهم أمر حادث.

إذن فقد دخل ابن رشيد على حُميِّر في قفار، فآواه حُمير ودعا جماعته لنصرته، يقول ضاري:

إن ابن عيادة أخفى عبيداً في المخزن الذي فيه أواني القهوة وطلب رأي أهل قفار وعبيد يسمعهم ولا يرونه، وكان هذا في الليل فلما أصبحوا وعبيد ما يزال مختبئاً قال ابن عيادة: أخرج يا الذي في المخزن فلما خرج قال ابن عيادة للذين قالوا: لا نريد عبيداً. لا يخرج أحد منكم إلا وقد عاهد على السمع والطاعة (رضي من رضي وغضب من غضب) أما الذين أعلنوا وقوفهم مع أميرهم ومع عبيد فهم سامعون مطيعون أصلاً[1].

وتمضي رواية ضاري فتقول إن عسكر الترك أوقعوا بأهل سوق من أهل قفار من الموالين لهم، وصار بينهم بعض اللجاج فقتلوا من أهل السوق خمسة أنفار، فعند ذلك انحاز أهل ذلك السوق إلى القسم المعادي للعسكر، أي انحازوا إلى حُميّر بن عيادة ومن معه من تميم، ونقل ضاري أن قفار محلات كل محلة تنسب إلى قبيلة ولم يلبث عسكر الترك - حسب رواية ضاري - إلا أياماً قلائل، رجعوا بعدها من قفار إلى حايل، وتبعهم أهل قفار و (أرجفوا فيهم) عندها تغير موقف أهل حايل تجاه عسكر الترك وابن علي لما رأوا من تصميم أهل قفار على منازلتهم وإجلائهم فجعلوا إذا (تطرفوا) بواحد من العسكر قتلوه غيلة حتى يقال إنه مات، فلما رأى العسكر ذلك رحلوا رحلة أخت الهزيمة وعيسى معهم.

وبعد هذا يقرر ضاري أن عبدالله بن رشيد رجع إلى حائل وأن الأمر

(١) مخزن أواني القهوة، غُريفة صغيرة جداً يوضع بها الدلال والأباريق والقهوة والهيل ولا تتسع لرجل واحد إلا بكل صعوبة.

استتب له. وأن أمر الجبل لا يزال مستتباً في العائلة الرشيدية[1] أما عيسى فلم يلبث أن هلك في الإحساء[2].

وخلاصة هذه الحادثة من حوادث التاريخ في قفار في ضوء رواية ضاري هي: أن منطقة الجبل استسلمت لابن علي وعسكر الترك ما عدا ابن عيادة ومن معه من تميم في قفار وأن هذا الزعيم أو الرئيس كما يسميه ضاري كان عاقلاً معتداً بقوته المعنوية والمادية وبقدرته على قتل من يأتي لحرب قفار وأن إمارة الرشيد قد زالت من حائل بحيث فر عبدالله بن رشيد يطارده العسكر أما عبيد فقد لجأ إلى قفار فأكرمه حُميّر وأخفاه إلى أن أحكم بقوة دهائه ونفاذ بصيرته خطة حربية عرف بها أولاً من هو معه، ثم أجبر البقية على السمع والطاعة وأنه بأهل قفار تمَّ المسير إلى حائل وطرد ابن علي وعساكر الترك منها فعاد الأمر إلى آل الرشيد.

ويبقى أمران مهمان يتعلقان بهذه الحادثة لا بد من الوقوف عندهما: الأول هو: أن الدكتور عبدالله العثيمين قد حرص على استقصاء كل الأخبار المتعلقة بالإمارة الرشيدية وجعل روايات ضاري من أهم مصادر كتابه المعروف باسم (نشأة إمارة آل رشيد).

وقال: إن في نبذة ضاري معلومات جيدة غير موجودة في غيرها من المصادر وأن أهميتها تأتي من كون ضاري حفيداً مباشراً لعبيد بن رشيد الذي كان الساعد الأيمن لأخيه عبدالله مؤسس تلك الإمارة وكونه نشأ في قاعدتها حائل

(١) كان هذا الكلام في عام ١٣٣١هـ أي قبل نهاية الإمارة الرشيدية بما يقرب من عشرة أعوام.

(٢) قال ضاري: وتزوّج عبيد ابنة عيسى وجاءت منه بولدين وبنتين، الولدان هما: سليمان وفهيد، سليمان لم يخلف أما فهيد فهو أبو ضاري صاحب النبذة ومن المعروف أن سليمان هو الابن الأكبر لعبيد وبه يُكنى قالت شاعرة من أهل الجوف:

جونا هل السبعان وأهل طوية   جرارة المدفع مع أبو سليمان
هل الهلال وصار مثل الحنية   وأنا أترجى فزعتك يابن شعلان

والسبعان بلدة من القرى المتفرعة عن قفار.

مما جعله قريباً مكاناً وزماناً من مسرح الأحداث على أن الدكتور العثيمين لم يشر إلى ما أورده ضاري عن حُميّر بن عيادة، واستقباله لعبيد، وإخفائه له وما تلى ذلك من تخطيط محكم أسهم في تكوين قوة سارت إلى حائل وأرجفت بالعسكر حتى رحلوا منها.

لم يشر الدكتور العثيمين إلى هذه الحادثة كما وردت عند ضاري، ولا يمكن أن يكون قد غفل عنها، أو أنها قد غابت عن ذهنه لأنه ألمح إلى طرف منها فذكر انسحاب العسكر من حائل إلى قفار ولم يعرض لمطاردة أهل قفار لهم وإرجافهم بهم بل قفز إلى أن أهل حائل قاموا بقتل الجنود وأن عبدالله بن رشيد عاد ظافراً كما أنه لم يتطرق للجوء عبيد إلى حُميّر بن عيادة وإحكام حُميّر الخطة لمحاربة العسكر، ومن العجيب أن الدكتور العثيمين قد أخذ على (وايندر) أنه أخطأ في نقله عن ضاري ولم يبين الدكتور وجه الخطأ فيما نقله هذا الرحالة بل لم يعرض نصا منقولا يمكن المقارنة بينه وبين الأصل المنقول منه.

أما الأمر الثاني فهو هاتان القصيدتان المتبادلتان بين عبدالله بن رشيد وحُميّر بن عيادة، واللتان تنذران بالوعيد والتهديد بالرغم مما بين الاثنين من الألفة والوئام وقد بدأهما عبدالله بقوله:

يا سعيّد اركب فوق حمرا معفاه كنك غرابٍ نازلٍ في ظهرها

ورد عليه حُميّر بقصيدة أقوى مطلعها:

يا راكب من فوق حمرا سبنتاه ما ضرب أبوه كود يعرف مهرها

فهل حدث بين الاثنين ما يكدر صفو العلاقة أم ماذا؟

يُجيب الراوة العاميون على ذلك بعدة إجابات منها أن عبدالله بن رشيد قد هدف إلى جس نبض حُميّر وجماعته من تميم في وقت بدأ يتوسع فيه نفوذ إمارة حائل، ومنها أن عبدالله، وأخاه عبيداً تنكرا لصنيع ابن عيادة والتمايمة، ومنها أن أموراً قد جدت اضطرت عبدالله وعبيد لحرب أهل قفار وأن رواية منديل التي تذكر أن عبدالله طلب من شعيب بن حمدان وصديان بن عيادة الشمري مساعدته على حرب بني تميم في قفار تؤيد ذلك!

على أن هناك من يرى أن الأمر لا يعدو أن يكون سجالاً شعرياً لا ينطوي على ضغينة بدليل قول عبدالله بن رشيد في قصيدته:

سـرّه يا ما تجـي دار الـتـمـيـمـات   نعم الحمايل عـنـد مـيـلـة دهـرهـا

وهذا البيت قمة المدح، أما الموقف الذي وقفه حُميّر وبنو تميم في قفـار ضد عسكر الترك وابن علي بالرغم من تسليم أهل الجبل جميعاً فهو ينبع من أن آل الرشيد هم أهل البيعة الشرعية إذ إن عبدالله بن رشيد قد عُين أميراً لحائل من قبل الإمام فيصل بن تركي، ثم إن هذه القوة التركية التي استولت على نجد أجنبية غازية رأى أهل قفار أنه لا بد من مقاومتها والتصدي لها وهو ما حـدث فـعـلاً فأخفق الترك في حائل بسبب أهل قفار(١)، وانسحبوا يجرون أذيال الخيبة والفشل، كما أخفقوا في جنوب الرياض في وقعة تعتبر من أشد الوقائع النجدية إيـلامـاً وأبعدها ذكراً (٢).

أما قبل أن يصبح ابن رشيد أميراً في حائل فإن أهل قفار قد وقفوا ضده فقد ذكر الدكتور عبدالله العثيمين نـقـلاً عن «بلجريف» أن عبدالله بن رشيـد كـان طموحاً في وقت إمارة ابن علي فانقسم سكان حائل إلى مؤيدين له، ومؤيديـن لحاكمها من آل علي وكان أنصار عبدالله أكثر من أنصار ذلك الحاكم لكن أهل قفار وقفوا مع آل علي فاضطر عبدالله ومؤيدوه إلى مغادرة حائل وكان ذلك في

---

(١) قال الدكتور العثيمين: أن عيسى بن علي محسوب على ممثلي حاكم مصر، وقال أنه يوجد شعور بوجوب مقاومة التابعين لحاكم مصر لدى فريق من أهل قفار بدرجة تفوق ما كان عند غيرهم من سكان الجبل. العثيمين، ص ١٤٥ ، ١٥٣.

(٢) قال ابن خميس يذكر اندحار الترك في وادي بريك، في الوقت الذي هُزموا فيه بقفار، فجرد أولاد حماد سيوفا أبت يوم الوغي أن تهزم واسترحلت نفوسـاً لا تقبل الدنية ولا تبقـي دون العقيدة والوطن بقية فجعلت جند خالد بن سعود ومن معه من الغزاة الغاصبين من جنود الأتراك جعلتهم في هذه جزراً وأدبت بهم غيرهم، فمن سلم منهم ولى الأدبار إلى غير رجعة وبقيت هذه وسام شرف في أعناق أبناء حماد. ابن خميس: معجم اليمامة، ص ٣٣٥.

حوالي سنة ١٨٨٨م (١٢٣٣هـ)[١].

وبلجريف يشير هنا إلى ارتحال عبدالله بن رشيد من حائل إلى العراق حيث كان يطمح إلى زعامة حائل، ونقل الدكتور عبدالله العثيمين عن متعب السبهان: أن عبدالله بن رشيد خرج من حائل ومعه أخوه عبدالعزيز، وزامل السبهان، وحمود العقلا، وعقيل القبالي[١] وملاقي بن مسطح، على أن رشيد بن طوعان ذكر خروج عبدالله، وهو معاصر له، فلم يذكر أن أحداً خرج معه سوى القبالي وذلك في قصيدة مشهورة عند رواة شمر، يقول رشيد:

ماني بحال الملقحة والكواديد   لا راح عبدالله وراح القبالي

وقال الدكتور العثيمين: إن من أهم نجاح عبدالله بن رشيد عندما أصبح أميراً في حائل اعتماده على الحاضرة أكثر من اعتماده على البادية، ونقل عن «فالين» أن انتصاراته الحربية تعود الى السكان المستقرين أكثر مما تعود إلى القبائل الرحل وأن البدو رغم انضمامهم إلى جيشه بأعداد كبيرة يعدون قوة مساندة أو ثانوية[٢]. . . وقال: لقد اشتهر عبدالله بن رشيد بكثرة غزواته التي كان يكلل أكثرها بالنجاح، وأن أبناء القرى يستخدمون في هذه الغزوات خيولهم، وإبلهم الخاصة، كما يؤمنون أنفسهم بالذخائر والمؤن، ويؤلفون القوة الأساسية في الجيش[٤].

---

(١) العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص ٧٣. وآل رشيد وآل علي أبناء عمومة من عشيرة عبده من عبيدة قحطان، وينظر في ذلك كتاب «سراة عبيدة» للدكتور عبدالله ثقفان، وهو من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب، سلسلة «هذه بلادنا».

(٢) هو عقيل القبالي التميمي من أهل بلدة قصر العشروات وهي متفرعة عن قفار.

(٣) العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ١٦٧ ، ١٧٤.

(٤) أشار الدكتور رشيد العمرو إلى أن نبذة ضاري الرشيد مشوشة كثيراً وقال: (إن الباحث المدقق لا يعتمد عليها وقد أشار محققها إلى تناقضها وعلل ذلك فهد المارك بأن ممليها كان تحت وطأة المرض والعمليات الجراحية). وقد تقدم في صفحة ٨٢ ثناء الدكتور العثيمين على هذه النبذة وأهمية روايات ضاري، والدكتور العمرو يقول: إن ما ذكره ضاري من التجاء جده عبيد إلى بني تميم مشكوك فيه لضعف رواياته لكن هذا الخبر ذكره ابن بشر أيضاً وهو من المصادر المهمة لتاريخ نجد، وليس الأمر وقفاً على رواية ضاري بالرغم من أهميتها.

٥ - قفار في بعض المصنفات الحديثة

قال الدكتور أبو سديرة: أن بطوناً وقبائل عدنانية مثل أسد وتميم قد سبقت طيء إلى سكنى بلاد الجبلين، وتشهد الآثار أيضاً على وجود بقايا من حضـارة ثمود وعاد بها، وذكر أن وفد تميم قد وفد للرسول صلى الله عليه وسلم من قفار وفيد[١]. وأشار الأستاذ خير الدين الزركلي أن في علماء الأخبار من يذكر أن عاد قبيلتان: الأولى «عاد إرم» وقد بادت وأصبح اسمها رمزاً للقدم، حتى قيل: مجد عاديّ، أي قديم، ونسبت إليها في زمننا العاديات بتشديد الياء أي التي لا يعرف عصرها، وعاد الأخيرة قالوا: إنها بنو تميم، ومنازلهم في رمال عالج المتصلـة بوبار، ونقل عن أبي حبيب أن عاد من قبائل العرب العاربة.

وأشار في الهامش إلى «جش إرم» نقلاً عن ياقوت وأنه جبل عند أجأ فـي ذروته مساكن لعاد وإرم فيه صور منحوتة من الصخر[٢].

وقال فاليـن الفنلندي الذي زار قفار سنة ١٨٤٥م: وفي الطرف الشرقي من القرية آثار خراب من بيوت وأسوار طين تثبت أن السكان تحركوا مع الزمان غرباً، مقتربين من الجبل، وقد احتفظ بنو تميم ببعض المميزات اللغوية، وبملامح في وجوههم تميزهم بسهولة عن شمر، وفي تجوالي بين بدو الجهات الغربية مـن شبه الجزيرة كان هؤلاء يسألونني - ومثلهم المصريون والسوريون - عن بني تميم وعاداتهم ولغتهم وقاماتهم وميزاتهم الأخرى، وهم يبدأون بالسؤال عن حجم بني تميم، وعما إذا كانت قامتهم أطول من قامة سواهم من العرب، وما إذا كانـت لحاهم أكثف وأطول. ويبدو لي أن هذه الملاحظة تعود لمعنى كلمة (تـمـيـم) وكانت تطلق في الأصل القديم على رجل قوي البنية، صحيح البـدن، وهـذه الملاحظة تصدق في القبيلة المذكورة[٣].

---

(١) أبو سديرة: حائل في صدر الإسلام، المقدمة، ص ٧٨.

(٢) الزركلي: الأعلام، مادة العين.

(٣) فالين الفلندي: صور من شمالي جزيرة العرب، ص ١٢٧.

وترجم الأستاذ أحمد العريفي لرميزان بن غشام التميمي المتوفى عام ١٠٧٩هـ ونقل ما أورده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه علماء نجد من أن مزروعاً جد رميزان هو مزروع بن حميد بن حماد ينتهي نسبه الى عبْدة من بني عدي بن جندب من بني العنبر[١] من بني عمرو بن تميم، ونقل تعليق الأستاذ حمد على ما ذكره ابن بسام عن مزروع وأن مزروعاً هذا غير المذكور في نسب آل ماضي إذ ليس بين هذا وبين عدي بن جندب الفخذ المعروف قبل الإسلام سوى ستة آباء أي قرنين من الزمان.

وقال الأستاذ أحمد قال ابن عيسى وابن بشر وغيرهما: وفي سنة ١٠٥٧هـ سار الشريف زيد بن محسن شريف مكة المشرفة إلى نجد وقتل أمير روضة سدير ماضي بن محمد بن ثاري وماضي هذا هو جد ماضي بن جاسر بن محمد بن ثاري ابن محمد بن مانع بن عبدالله بن راجح بن مزروع بن حميد بن حماد الحميدي التميمي جاء جده مزروع التميمي هو ومفيد جد آل مفيد من قفار.

وأضاف الأستاذ أحمد نقلاً عن المصدرين السابقين أن مزروعاً أنجب أربعة أولاد هم: سعيد وسليمان وهلال وراجح وأن كل واحد منهم أصبح جد قبيلة ثم عرض لرسالة تركي بن ماضي إلى علي بن فواز وإبراهيم بن مرشد في حوطة بني تميم بتاريخ ١٢ شوال عام ١٢٨٥هـ ونصّها أن عمرو الندا الوارد في نسب مزروع من ذرية عبدالله بن المنذر الذي قُتل في وقعة الحديقة في مسير خالد إلى اليمامة، وأن عبدالله بن المنذر رجل مشهور ذكره ابن هشام في السِّيرة ويبدو أن الأستاذ أحمد لم ينتبه إلى أن عمرو الندا إسلامي متأخر عن جده الأعلى عمرو بن تميم ذلك أنه قبل أن يذكر هذه الرسالة ظن أن عمرو الندا هو عمرو بن تميم فخلط بين الاثنين[٢].

---

(١) أشار الأزهري إلى أقدم شعراء المقطعات في تميم وعدّ منهم العنبر بن عمرو بن تميم قال: وقد حققت في كتابي الأسس المبتكرة أن ميلاده كان حوالي ٣٩٨ قبل الهجرة (٢٣٦م) معتمداً في هذا على دليل السجلات الملكية ودليل الأنساب. وتميم في اللغة: الكامل الخلق. قال الفرزدق:

واجسم من عاد جسوم رجالهم ... وأكثر عديداً إذا عدوا من الترب

(٢) ثم أن ابن بشر قال: أن الذي قدم مع مزروع هو ابن مفيد وليس مفيداً كما ذكر الأستاذ أحمد.

ويتضح في ضوء الروايات التاريخية التي نقلها الأستاذ أحمد أن مزروعاً الجد التميمي الذي انتقل من قفار تنتمي إليه عشائر عديدة منها آل بو سعيد الذين عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى سعيد بن مزروع، وأن رميزان من هؤلاء «السعيدية»وأنه كان كثير الفخر بهم، وإن كان يعلو بفخره أحياناً إلى عمرو ومنذر(١)، وإلى تميم القبيلة الأم في أحيان أخرى، وهو شاعر نبطي ينزع إلى الفصيح وقصائده مطولات شعرية(٢).

وقال الأستاذ أحمد أن مما يتناقله نسابو تميم في زماننا هذا أن الأسرة البوسعيدية الحاكمة في عُمان تعود بنسبها إلى سعيد بن مزروع(٣)، وذكر من آل بوسعيد آل فارس في سدير والكويت، وآل فوزان وآل قسام، وآل هويشل، وآل عطية في سدير، وآل بكر في حائل(٤).

وروى منديل الفهيد في كتاب الآداب الشعبية أن عبدالله بن رشيد - أمير حائل - طلب من صديان بن عيادة شيخ الجحيش من شمر وشعيب راعي المستجدة المساعدة على بني تميم أهل قفار فقبلا ذلك بشرط أن تكون إمارة الحاضرة لشعيب بن حمدان وإمارة البادية لصديان فإن لم يوافق فسيجلبون العسكر من المدينة برئاسة ساق الذيب.

فما كان من عبدالله إلا أن سبقهم وأرسل أخاه عبيداً إلى المدينة وصالحهم،

---

(١) عمرو الندا من ذرية عدي بن جندب من بني العنبر من بني عمرو بن تميم. قال حميدان الشويعر في مدح ابن ماضي:

أيها المرتحل من بلاد الدعم ... فوق منجوبة كنها الجوذرة
لابن ماضي محمد رفيع الثنا ... من ذرا روس عمرو الندا مفخرة

وقال رميزان:

لنا مفخر بالأصل عمرو ومنذر ... لا قدموا عند الفخار العشاير

(٢) قال أحمد: هي ظاهرة قديمة في شعر بني تميم وأحال إلى الدكتور عبدالحميد المعيني.

(٣) وقال حسين حسن في ترجمة فيصل بن تركي أنهم من آل بوسعيد من تميم. انظر حسين حسن: أعلام تميم، مادة فيصل.

(٤) أحمد العريفي: رميزان التميمي، ص ٤٥.

وجاء منهم بأعوان له[١].

وقال أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: قال الشيخ منديل في كراساته: طلب زيد الخشيم الخالدي من أمير آل سعود طلال بن رشيد (مبدع قليب) لـه غربي قفار فلم يجبه طلال لأن بني تميم أهل قفار ربما شح عليهم الماء فلما زار الإمام عبدالله الفيصل آل سعود حائل شكى عليه الأمر فقال له: شاور أميركـم لأنه يعرف البلد وأخذ أسبوعاً ثم قدم له قصيدة فأعطاه الفرعة فوق قفار[٢].

وذكر ابن صقيه أن النواصر المنتشرين في عدد من البلدان النجدية خرجوا من قفار[٣].

وذكر الدكتور حمد بن ناصر الدخيل أن النواصر بعد خروجهم من قفـار استقروا في الفرعة، فرعة الوشم بنجد، ومنها انتشروا في قرى أخـرى[٤]، وفي قفار محلة تعرف باسم الفرعة[٥].

ومن النواصر الأديب الراوية الشاعر ناصر بن عبدالله بن فايز (أبو علي[٦]) قال يذكر بلدته:

إلى الفرعة اللي ما تغير رسـومـهـا ولا ذكر أهلها لو خذ الوقت دوراتـه
بلاد النواصر مـن تمـيـم نـسـبـهـم ربوعـي الـيـا كـلٍ تذكّر قـرابـاتـه
ولا أنسى من الباقين وافي خصالهـم الادنا بالادنا تشرح الصدر هومـاتـه

قال ابن خميس: الفرعة بلاد صديقي الكريمين الأخوين الشاعرين الراويتين عبدالعزيز بن فايز، وناصر بن فايز، ونقل عن ابن عيسى أحداث الفرعة في عام ١١١١هـ، وما أشار إليه ابن عيسى من أن ذلك قبل أن يستتب الأمر للنواصر في

(١) منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية.
(٢) الظاهري: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ص ٥٨.
(٣) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٣٤.
(٤) في حديث له معي بحائل في ٢٩/٧/١٤١٧هـ.
(٥) وفي حوطة بني تميم محلة تعرف باسم «الفرعة».
(٦) قال ابن خميس: كان ناصر بن فايز ثبتاً مجوداً يحفظ ولكن بإتقان وتحقيق وتدقيق. ديوان ابن فايز، ص ٢٦٠.

الفرعة ثم قال: والنواصر فخذ مشهور من بني عمرو من تميم[1]. وفي مدينة حائل من النواصر: آل جراد، وآل فايز قال ابن صقيه:

البكر والفايز منا كل عمسان   ومر الجراد وحثهم لا تقهويت

ومن آل جراد، حسين بن جراد صاحب وقعة «فيضة السر» أو «وقعة ابن جراد» في عام ١٣٢١هـ وفيها قُتل.

وأورد ابن جنيدل قصيدة للشاعر المشهور عبدالله بن سبيل الباهلي راعي (نفي) مطلعها:

قال من غنى وغرهد على روس العدام   واونس البارد بكبده عقب لفح السموم

ومنها:

يوم جاب حسين صبيان أهل «حايل» نظام   مثل تجار تغانم تبا بيع القدوم

قال ابن جنديل: أنه حسين بن جراد الناصري.

وأورد ابن جنيدل قصيدة أخرى تقول أبياتها:

يا ذيب عيّد في فقارحسين   من كف شغموم ذبح عجلان

واليا قضى عنك الطري والزين   حدر على ماجد وابن سبهان[2]

ومما يتناقله أهل الفرعة: أن حسين بن جراد لما قاد سرية من حائل لم يشأ أن يطأ أرض الفرعة بالوشم وقال لمن معه: إن أهل الفرعة من جماعتي.

قال ابن جنيدل ما نصه: «وفي هذه البلدة - يقصد فيضة السر - جرت وقعة بين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وبين حسين بن جراد الناصري».

ونقل عن الأمير سعود بن هذلول أن ابن رشيد أرسل سرية كبيرة إلى عنيزة مع ماجد الحمود، وسرية أخرى إلى الوشم مع حسين بن جراد ثم ذهب إلى أطراف العراق يستنجد شمر، فلما علم عبدالعزيز بذهاب ابن رشيد إلى العراق خرج من الرياض مسرعاً، وهجم على ابن جراد ومن معه في نفود السر فقتله

---

(١) ابن خميس: معجم اليمامة، ص ٢٥٠.

(٢) هذان البيتان لشاعر من أهل المذنب. انظرهما في كتاب: «المذنب» من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

وجميع من معه عن بكرة أبيهم وغنم جميع ما معهم وعاد إلى الرياض وذلك عام ١٣٢١هـ.

ونقل عن خير الدين الزركلي أن ابن رشيد أرسل في أوائل ذي الحجة ١٣٢١هـ سرية من نحو ٣٠٠ مقاتل بقيادة حسين بن جراد من رجالات شمر للمرابطة في إقليم السر، واتصل خبرهم بابن سعود فنهض إليهم من الرياض، وصاولهم يوم ١٨ ذي الحجة في قرية تدعى الفيضة، فقتل ابن جراد وأكثر من معه.

ونقل من أفواه الرواة أن الموضع الذي دارت فيه المعركة يسمى «مذبح ابن جراد[١]».

وفي معجمات البلدان أن نفود السر يُعرف باسم (جُراد) وهذه تسمية قديمة، وقد وقع بجُراد يوم جاهلي من أيام العرب بين تميم واليمن قال مالك بن حريم الهمداني:

وحي تميم إذ لقينا وسعدها   برمل جُراد أهلكوا بذحول

قال ياقوت: جراد بين حايل والمروت في ديار بني تميم[٢].

ومن الحوادث التاريخية في قفار أنه حين نزلت قبيلة عنزة لحرب قبيلة شمر في أرض «ظفرة» الواقعة بين جبلي «أجأ» و «سلمى» شمال غرب بلدة «السبعان» على الطريق المتجه من حائل إلى «الروضة» في جبل رمان، طال مكث القبيلين المتحاربين، ورأى الشمامرة استنفار أهل الجبل من حاضرة وبادية، روى فهد بن عبدالعزيز الخوير التميمي أن مفتاحاً الغيثي نزل قفاراً واستصرخ أهلها حاثاً إياهم على المسير إلى «ظفرة» فاستجابوا بعد لأي، ودقت طبول الحرب، التي تعرف بالدمام، وقيل أن العواجي شيخ عنزة أنكر صوت الدوي القادم من قفار، وعجاجة المدد، وأيقن أن هذا الدعم سيضعف موقف فرسانه، وبعد انهزام عنزة «قال العواجي من قصيدة مشهورة:

(١) سعد بن جنيدل: معجم عالية نجد، ص ١٠٤٤.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، مادة الخاء.

يا راكب من عنـدنـا فـوق نـسـاس ومعـربٍ من ساس هجـن أصـايـل
مـا مـد رواي ولا مـد عـسـاس يشدى ظلـيـمٍ منحدر مع خـمـايـل
لا جيتهم في ربعة الشيـخ جـلاس قل بالجبـل جـتـنـا قـفـارٍ وحايـل

وكثرت النقائض الشعرية حول وقعة «ظفرة» التي تُعرف بالمناخ ومنها قصيدة التيناوي من شمّر:

السيف من يمـنـى عـقـابٍ خذيـنـاه والخيل بدل كـدشـهـا بـالأصـايـل

ومنها قصيدة عقاب بن سعدون العواجي:

عشبـة «طـويّة» يالتبيـنـي رعـيـنـاه غصب علـى دولـة قـفـار وحـايـل

هكذا رواها سليمان بن دحيم الشبرمي، وعند الأسمر الجويعان أن صحة هذا البيت هي:

عشبـة «طـويّة» يالتبيـنـي رعـيـنـاه غصب على سكان سلمـى وحـائـل

أما تتمة القصيدة فهي:

وبيضاء نثايل بـالمـعـارك كـسـبـنـاه بالسيف ما هي لـلـجـدود الأوايـل
يحرم عليكم يـ «الدغيرات» مـقـلاه وان جيتها يالشمري فـانـت عـايـل
ومفـتـاحٍ الغيشـي وراكـم حـدرنـاه روحوا وراكـم يـا رفـاع الحـمـايـل

قال الأستاذ حمد: ظفرة: جبل يقع في الجنوب الشرقي من حائل، بـمـا يقارب ٤٠ كم دون السبعان بـ ١٥ كم عنه في الشمال الغربي، جنوب جـبـل مليحة، يفصل بينهما شعيب يدعى شعيب المناخ من روافد وادي العُش.

وظفرة بضفة وادي العُش الشمالية، وعند هذا الجبل حدثت الوقعة المعروفة بين قبيلتي عنزة وشمر، قال الأستاذ حمد وجاء في كتاب أبطال من الصحراء أن سعدوناً العواجي حصلت بينه وبين شمر معركة هائلة على المنهل المسمى بظفرة، وهو من مياه شمر، انتصرت فيها شمر على العواجي وقومه. ورغم أن شـمـر انتصروا في هذه المعركة فإن سعدوناً العواجي وأبناءه لم يفقدوا شيئاً من أراضي شمر التي كسبوها. انتهى[1]. وقال الدكتور العثيمين: وانتصرت شمر بمساعـدة

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة ظفرة.

من أنجدها من الحاضرة[1].

وبعد مضي ما يقرب من مائة عام من وقعة ظفرة أنشد فرج بن خربوش الأسلمي الشمري قصيدة في بلدة «السبعان» ذكر فيها بلاء أهل قفار من تميم في وقعة ظفرة يقول فرج:

عواد أبي ربعي اليا ثقل ماهان	لا ثقل قول بريك هذا محله
يالله لا تقصف على نسل عفنان	لاجاهم الشايب لقى حشمة له
يحشم ويرفع عندهم مثل ما كان	وفهامهم قولٍ عسى الله يحله
سلم لأهلهم يوم طبع العرب شان	والكل مجبولٍ على عادة له
قريبهم ما هو على التمر عيمان	الطسل والبن الحَمر مردف له
من مير من نبتن على جال سريان	من جاب طسلٍ جايب طبخة له
ربعٍ حموهن يوم خفات الأذهان	واللى بغاهن ما عدا مثبر له
القرم أبو صالح حماهن بكرخان	عن نمرة يبون فضية محله
لا جيب بالسبعان لا تكل سلطان	لمونسه[2] كل شليلي يتله

إلى أن قال:

من حشمة اللي عقّدوا كل الأردان	من كون ظفرة نفسهم مسفهله

وكانت وقعة «ظفرة»قبل نشأة إمارة آل الرشيد في حائل، أما حين نشأت هذه الإمارة فإن جهود أهل قفار في تثبيت دعائمها نجده في كتاب «صور من شمالي جزيرة العرب» للرحالة الفنلندي «جوري أوغست فالين»حيث يقول إن ابن رشيد يدين لهم - يقصد بني تميم - بجميع انتصاراته على جيرانه من البدو، فإذا قرر الشيخ غزوة ما دعا إليه أبناء القرى فرداً فرداً، وهم يؤلفون القوة الأساسية في الجيش، وطوال الحملة يقدمون مما يملكون وبعدهم يُدعى البدو لكن هؤلاء احتياطيون لا يعتمد عليهم في المعارك إلا قليلاً».

---

(١) العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد ص ١٧٥.

(٢) مونسه: هي القهوة، قال ابن خربوش:

بمونسة عيّا العريفي وابن عيد	يبون سلمٍ لايذٍ عن يدينا

لقد راقب «فالين» حركة الجيش في حائل، وقال عن بني تميم أنهم أصحاب اليد الطولى في الانتصارات التي تحققها هذه الإمارة الناشئة، ووصف التميميين بأنهم أشجع الفئات التي يتكون منها جيش حائل، وأنهم أكثر مهارة في استخدام السلاح. وقال «فالين» في موضع آخر: «إنهم على جانب كبير من الثراء وأنهم ارستقراطيو شمر».

بهذه الصفات تحدث «فالين»عن قفار وأهلها من خلال مشاهدة، ومعايشة، وقارن بينهم وبين الآخرين، ووضعهم في طليعة المقاتلين لشجاعتهم، وحسن استخدامهم للسلاح، ولثروتهم التي تمكنهم من تموين الوحدات المقاتلة[١].

وللأستاذ عبدالعزيز الأزهري[٢] إسهام في البحث في الحوادث التاريخية في قفار التي يُسميها «قفار بني تميم» وقال في مقدمة كتابه «بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ» أنه ألّف هذا الكتاب في تاريخ بني تميم عامة، وتاريخ المزارعة خاصة، وقال: لا يفوتني أن أعترف بفضل الأخ الأمير تركي بن محمد الماضي المزروعي، نسبة إلى مزروع الذي حدد تاريخ خروجه من قفار بعام ٦٠٠هـ، ١٢٠٤م.

وقال الأزهري وقد اتصلت بأخي النشيط عبدالله بن سليمان المزروع الموظف بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بمكة لتتم السلسلة بنسبه فقال: إنه عبدالله بن سليمان بن سلامة بن حمد بن محمد آل مزروع.

قال الأزهري تحت عنوان (لفتة إلى القرون الوسطى):

ولما شكوت إليه هذا الاختصار قال: جماعتنا المزاريع «الذين يقطنون منفوحة» جاء جدهم من «قفار» قرب حائل، وهي قفار بني تميم جاء إلى سدير حوالي سنة ٦٠٠هـ وهذه توافق من التاريخ الميلادي سنة ١٢٠٤م، ولا يزال في قفار كثير من بني تميم، ومزاريع منفوحة هم: آل علي، وآل حمد، وآل مبارك، وآل بو سليمان انقرضوا ولم يبق منهم إلا القليل، ومنهم العم عبدالعزيز بن سلامة بن حمد بن محمد المزروع، وأولاده سلامة ومحمد وصالح.

---

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب.

(٢) هو عبدالعزيز المزروعي.

وأخي الأستاذ الشيخ عبدالله من فخذ آل حمد، بمنفوحة، وأرشد أبنائه الدكتور أحمد وسيكون من مفاخر الطب الحديث[١].

وأشار الأزهري إلى نظريته في تقدير متوسط العمر وهو ٤٠ سنة لكل جيل وذلك في كتابه «الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي» وقال تحت عنوان «البحث في تاريخ منفوحة» وقد رجعت إلى مذكراتي الخاصة في تاريخ منفوحة فوجدت أنه في سنة ١١٥٩هـ «١٧٤٦م» أي منذ ٢١٣ سنة سطا دهام بن دواس في بلدة منفوحة، ومعه أهل الرياض، والصمدة فاستولى عليها وثبت علي بن مزروع ومن معه فقذف الله الرعب في قلب ابن دواس وأتباعه فتسور عليهم علي ابن مزروع فهربوا وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل.

وفي سنة ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) أي بعد هجوم ابن دواس على منفوحة بـ ١٣ سنة غزا عبدالعزيز الخرج فأوقع بأهل الدلم ثم سار بجيوشه إلى ثرمدا وقتل من أهلها، وأصيب من الغزو مبارك بن مزروع[٢].

قال الأزهري: واتصل أخي الأستاذ عبدالله المزروع بفخر بني تميم وزعيمهم في العراق حسن السهيل[٣] فأرشده إلى أراضي جدول أبي غريب، وهور عكركوف يسكنها الآن الطجاج والكوايد والخضيرات والغياض والبوطحمة وكلهم في لواء بغداد وقضاء الكاظمية إلا البوطحمة ففي قضاء المحمودية[٤].

ويرى الأستاذ دخيل بن فهد الناصر - من أبناء حائل - أن الغياض الوارد ذكرهم في هذا الخبر هم أهل (غياض) في قفار.

وقال الأزهري عن بني تميم في البلاد الإيرانية أن الشريفات يسكنون في لواء عبادان، والنواصر في لواء الأهواز وقضاء السورة، وقد تقدم الحديث عن «النواصر» وانتقالهم من قفار إلى (فرعة الوشم).

---

(١) هذا القول لعبدالعزيز المزروعي الأزهري في كتابه بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ.

(٢) الأزهري: بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ ص٢٣.

(٣) قال الشيخ حمد الحقيل: إن أكثر فرق العراق من تميم وزعيمهم العام ابن السهيل. حمد الحقيل، كنز الأنساب، وانظر ترجمة ابن سهيل في موسوعة أعلام تميم لحسين حسن.

(٤) الأزهري: بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ ص ٢٤.

وعقد الأزهري فصلاً للبحث في المزاريع، والمزارعة من الناحية اللغوية فقال: المزارعة جمع تكسير مفرده مزروعي، ودليل هذا قول المبرد[1]: فأما قولهم: الأزارقة فهذا من باب من النسب آخر، وهو أن يسمي كل منهم باسم الأب الذين كانوا ينسبون إليه، ونظيره المهالبة، والمسامعة - والمناذرة، ومعنى هذا أن المهالبة مفرده مهلبي، والمسامعة مفرده مسمعي، والمناذرة مفرده منذري[2].

وقال: لقد بحثت الموضوع في عدة مراجع لغوية وأدبية فعثرت على أكثر مما حصل عليه المبرد وتبين لي أن هذا الجمع مفرده واحد من ثلاثة:

١- الأكثر أن يكون مفرد مفاعلة بياء النسب كالرأي الذي اقتصر عليه المبرد.

٢- ويليه في الكثرة، التبابعة - وهم ملوك اليمن - ومفرده تُبع بالتشديد.

٣- والنوع الثالث مثل العبادلة وهم - على سبيل الحصر - عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص.

فالمزارعة من النوع الأول وهو الذي اتصل مفرده بياء النسب، وأما المزاريع التي يطلقها قومي في جزيرة العرب علينا فمفرده مزروع على وزن اسم المفعول من الفعل الثلاثي، وقد كان بعض الصرفيين في العصور المتأخرة يقصر هذا الجمع على السماع لقلة ما ورد في اللغة منه - في رأيه - ولكني عددت نحو سبعين على مفاعيل جمعاً لمفعول. فهذا الجمع قياسي لكثرة وروده وعلى هذا نقول: مزروع مفرد جمعه مزاريع كما قالت العرب. وبناء عليه نجد أن «المزارعة» التي نستعملها في مصر وشرق أفريقية و«المزاريع» التي يستعملها أخوتي في المملكة العربية السعودية السعيدة مدلولها واحد، ونسبتهما واحدة[3]، وتحدث الأزهري عن «المزارعة» في صعيد مصر في البرجاية، وسنهوا وغيرها[4].

---

(١) صاحب كتاب «الكامل» وهو كتاب أدبي.

(٢) آل المهلب من الأزد اليمانية وآل مسمع من بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل كان لهم شهرة في البصرة أيام بني أمية، وآل منذر ملوك الحيرة.

(٣) الأزهري «بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ» ص٤٠.

(٤) كما تحدث عن «تل بني تميم» و «أبنوب» في «أسيوط» وذلك تحت عنوان «الرئيس عبدالناصر تميمي» الأزهري ص١٥ ، ٢٥-٣٤.

وتحدث الأستاذ حمد في الجمهرة عن مفيد التميمي فقال: تقدم الكلام عن آل ماضي بأن مزروعاً التميمي جاء إلى سدير من بلدة قفار، هو ومفيد التميمي، جد آل مفيد، وأن مزروعاً استوطن وادي سدير. ولم يذكر ناقل الخبر شيئاً عن مكان استيطان مفيد وبنيه، أفتراه رجع إلى قفار، بمنطقة الجبلين؟ فهناك أسر كثيرة تنتسب إليه، وتنسبه إلى عمرو بن تميم في كثير من قرى تلك المنطقة ممن انتقل من قفار[1].

انتهى ما ذكره الأستاذ حمد عن مفيد، ولعل أقدم من ذكر انتقال مزروع من قفار هو ابن بشر، وابن بشر لم يذكر أن مفيداً كان مع مزروع في رحلته من قفار بل قال: أن ابن مفيد هو الذي رافق مزروعاً إلى سدير[2]، أما ناقل الخبر الذي يشير إليه الأستاذ حمد فهو ابن عيسى في كتابه (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد). وابن عيسى متأخر عن ابن بشر، وينقل عنه في كثير من الأحيان وبتصحيح الرواية من مصدرها الأصلي وهو ابن بشر لا يبقى محل للتساؤل الذي أثاره الأستاذ حمد.

٦- قفار وتِعْشار

تِعْشار اسم يطلق على بئر عرفت فيما بعد بأم الجماجم نسبة إلى وقعة حدثت بها.

وفي مجلة العرب تحدث الأستاذ سعد بن عبدالله البكر التميمي عن وقعة «أم الجماجم» وقال إنها حدثت في عام ٧٩٠هـ، وإنها للمزاريع من تميم على الدوشان من مطير، وأن المزاريع هؤلاء أثناء الوقعة كانوا في رحلة من العراق، ولم يذكر البكر «أجأ»ولا «قفار» ولا الحميضي وأولاده الذين يُقال: إنهم انتقلوا بعد هذه الوقعة إلى قفار.

وعلّق عيد بن هجاج المطيري على حديث سعد البكر وقال: إن حادثة «أم الجماجم» إن كانت كما حدد البكر تاريخها فهي ليست على الدوشان لأن

(١) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ٧٩٤.

(٢) ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ص٥٢، ونص ما ذكره ابن بشر هو (أقبل جدهم الأعلى مزروع من قفار، هو وابن مفيد).

الدوشان لم يعرفوا إلا بعد ذلك التاريخ في مطلع القرن الثاني عشر الهجري[1].

والذي يلاحظ هو أن وقعة «أم الجماجم غير واضحة حتى عند الذين يروونها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن آل الحميضي ليسوا هم أول من استوطن قفار من تميم - وإن كان كثرة من حمايل تميم في الجبل تنتسب إلى الحميضات - فبنو العنبر أسبق وأقدم، كما تمَّ بيانه، ثم إن آل الحميضي فرع من النواصر في بلدة القصب بالوشم، والنواصر عرفوا أصلاً في قفار مع أخوتهم بني العنبر ومنها تفرقوا في البلدان.

وإن كان من رحلة لآل الحميضي إلى بلاد الجبلين بسبب حادثة «أم الجماجم» فهي عودة إلى (قفار) البلد المعروف لديهم الذي منه خرج أجدادهم.

على إن مما تجدر ملاحظته هو أن ما ورد في كتابات المنتمين إلى آل الحميضي (الحميضات) من أهل نجد لا يتضمن أية إشارة إلى وقعة الحميضي في «أم الجماجم» ورحلته إلى قفار مع قرب هذا المنهل من بلادهم وصلته بعشيرتهم العمرية التميمية.

فقد تحدث علي بن عبدالله الحميضي في مجلة العرب عن الحماضا فقال ما ملخصهُ: الحماضا في القصب والمشاش (في الوشم) من النواصر من بني عمرو بن تميم، تفرع منهم أسر انتشرت في القصيم والمنطقة الشرقية، والمنطقة الغربية، ولم يذكر المتحدث قفاراً وحائل ولا وقعة «أم الجماجم»[1].

وألف محمد الحميضي كتاباً عن «القصب» ضمن سلسلة (هذه بلادنا) من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب أشار فيه إلى الحماضا وسكناهم للقصب والمشاش ولم يشر إلى هذا الذي يرويه أهل الجبلين من رحلة الحميضي إلى «قفار»[2].

وحتى الباحثون المحققون في المنازل والديار من أمثال: حمد الجاسر، وابن عقيل الظاهري، وابن خميس لم يتطرقوا لوقعة «أم الجماجم» بالرغم من أنهم بحثوا في «تعشار» والحوادث المتصلة بها قديماً.

(١) العرب، ١ ، ٢ ، ١٤١٢هـ.

(٢) مجلة العرب، ج٢، سنة ١٩، شعبان ١٤٠٤هـ.

(٣) محمد الحميضي: القصب، ص١٠١.

قال ابن خميس: أم الجماجم منهل مشهور شمال الأرطاوية عند موقف العرمة الشمالي ملاصق للدهناء غربيها ينطلق من طريق (أم الرِّقم) الذي يجتاز الدهناء وهو من مناهل «مطير» وماؤه عذب، وأم الجماجم اسم حديث، أما قديماً فهي «تِعشار» ونقل عن كتاب «بلاد العرب» أنها لبني ثعلبة (من ضبّة) وعن معجم ما استعجم «أنها من بلاد بني تميم»[(١)].

فابن خميس كما يلاحظ لم يعرض لسبب تسمية «تِعشار» بأم الجماجم ولا للرحلة منها إلى (قفار) وقد نقل عنه أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري هذا التعريف ولم يزد عليه[(٢)].

أما حمد الجاسر فقد عرض لـ «تعشار» في حديثه عن «الحسن» الذي حدثت به وقعة من أشهر أيام العرب في الجاهلية هي وقعة «الشقيقة» أو «الأميل» حيث قُتل فارس ربيعة بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة، وأكثر الفرزدق وبنو تميم من الفخر بذلك.

قال حمد الجاسر: الحسن حبل من حبال الدهناء يتصل به حبل آخر يُدعى «الحسين» ويفهم من النصوص التي سترد فيما بعد أنهما يقعان غير بعيدين عن طريق البصرة إلى اليمامة، الطريق الذي يمر بـ (فَلج) (وادي الحفر) ثم المجازة (الثمامي) ثم الدهناء شرقي إقليم سدير وقد جرى في الحسن يوم من أيام العرب بين بني شيبان من بكر بن وائل وبين بني ضبة بن أد إخوة تميم وجيرانهم في المنازل قبيل الإسلام، وكانت منازل شيبان في نواحي فَلج، حتى أزاحتهم بنو تميم عند ظهور الإسلام، وعُرف ذلك اليوم باسم يوم الحسن، ويوم شقيقة الحسن، ويوم نقا الحسن، ويوم الشقيقة، ويوم الأميل، ويوم فلك الأميل، وكلها صفة لموضع، أو مواضع متقاربة.

وكان الظفر لبني ضبّة، حيث قتلوا رئيس بني شيبان[(٣)]، بِسْطام بن قيس،

---

(١) ابن خميس: معجم اليمامة، ص ١١٢.

(٢) الظاهري: مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٨٠.

(٣) شيبان من بني وائل، ومنهم جسّاس، وهمّام وبسطام من أهل الجاهلية، والمثنى بن حارثة من أهل الإسلام.

واستردوا إبلهم، بعد أن جاءهم الصريخ وهم حلول على ماء «تعشار» مما يدل على قرب الحسن من هذا الماء الذي جهل اسمه الآن. ولكن صاحب كتاب «بلاد العرب» حدد موقعه تحديداً دقيقاً يفهم منه أنه يقع في الشمال الشرقي من «مُبايض» الذي كان منهلاً، ثم أصبح الآن قرية من قرى سدير المعروفة.

ثم نقل الأستاذ حمد من معجم اليمامة لابن خميس أن أوصاف (تعشار) تنطبق على منهل «أم الجماجم» ثم كلام مفصل عن كتاب «بلاد العرب» في وصف الطريق من حجر - قاعدة اليمامة - إلى الكوفة يفهم منه أن (تعشار) قرب (مُبايض).. وبعده قال الأستاذ حمد أن صريخ بني ضبة سار من الحسن وأتى (تعشار) واستصرخ قومه، فلحقوا بأعدائهم قبل أن يصلوا إلى وادي فَلْج (الحفر) الكثير المناهل، فإنهم بعد عقر الجمل الذي يحمل الماء حل بهم الوهن فهزموا.

وعرض الأستاذ حمد لخبر ذلك اليوم بالتفصيل وذكر النصوص المتعلقة بتحديد مكان «الحسن» فنقل الخبر من النقائض في ضوء شرح أبي عبيدة لقول الفرزدق:

وهم الذين على (الأميل) تداركوا نعماً يشل إلى الرئيس ويُعكل

ومما نقل أن بسطام بن قيس الشيباني أغار ومعه قومه بكر بن وائل من (سفوان)[1] على بني ضبّة في فلك الأميل، والأميل رمل يعرض ويستطيل مسيره يوم أو يومين، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بني ضبة، فأتاهم النذير، فتداركت الخيل فشد عاصم بن خليفة على بسطام فقتله، وردوا ما استاق من النعم، وأن بني ضبّة اتبعوا بسطاماً وأصحابه وقد جمعوا ما كان معهم من ماء على جمل لهم، وسارع وقدموه بين أيديهم فرموا الجمل بسهم قطع نخاعه فتعجب على جرانه، وانقدّت المزادتان فلما رأى القوم ماءهم قد هريق، أُسقط في أيديهم واستأسروا، وألقوا السلاح وجعل بسطام يحميهم في أخريات الناس فلحقه عاصم بن خليفة وهو رجل أعسر فطعنه في صدغه الأيسر حتى نجم الرمح في صدغه الأيمن.

(١) هي صفوان المعروفة في العراق.

ثم أورد مرثية في بسطام، ثم خبراً طويـلاً في النقائض عن أبي عبيدة عن اليوم نفسه باسم يوم الشقيقة ورد فيه أن دليلاً عائفاً من بني أسد كان مع بسطام وأشار عليه بالرجوع عن الغزو لأن العائف تطير فأبى بسطام فكان ما كان من قتله في (النقا) (نقا الحسن)، وأن الفوارس نهضت من (تعشار)، وتداركوا بني وائل، وهم يطردون النعم، وأن عاصم بن خليفة كان منذ صغره يعقب قناة له فيقال له: ما تصنع بها ياعاصم ؟ فيقول أقتل بها بسطاماً.

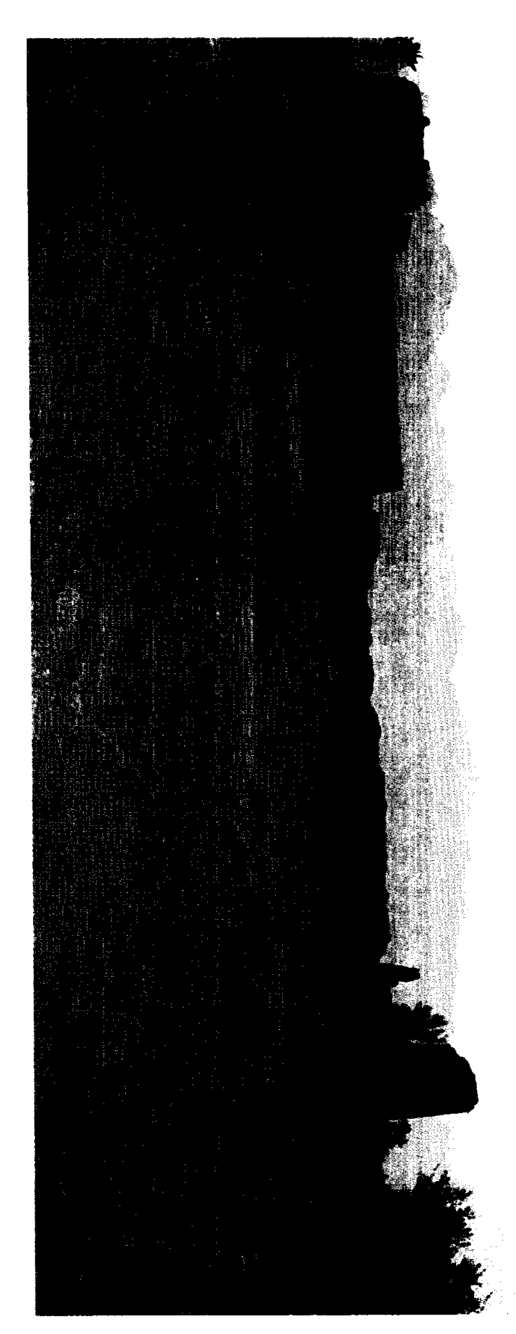
ونقل عن الأزهري في «التهذيب» أن (الحسن) نقا في ديار بني تميم معروف، أصيب عنده بسطام بن قيس، وعن «معجم ما استعجم» أن نقا الحسن الذي قتل عليه بسطام بن قيس بتعشار، وأن بسطام بن قـيـس قُتل في برقة وهي شقيقـة بالدهناء طولها مسيرة يومين. قال الأستاذ حمد: أمّا قوله بأن الحسن بتعشار فهو استنتاج مما ورد في الخبر أن الصريخ استصرخ أهل تعشار وهذا كما تقدم غرب الدهناء بعيد عن الحسن، ونقل عن «معجم ما استعجم» أيضاً أن قشاوة موضع متصل بنقا الحسن قال جرير:

نعم الفـوارس يـوم نـعـف قـشـاوة والخـيـل عـاديـة عـلـى بـسـطـام

وقال (قشاوة) غير (نقا الحسن)، وأنه كان لبسطام أربع وقعات، أسر يـوم الصحراء (صحراء فلج)، أسره صياد الفوارس[1]، وظفر يوم قشاوة، وانهزم يوم العظالى، وقتل يوم النقا (نقا الحسن).

وخلص ممَّا أورده إلى أن الحسن والحسين أنقاء الدهناء وأن الدهناء من بلاد بني تميم، وبنو ضبة أخوتهم في النسب، وخلطاؤهم في المنازل، وأن الحسنيـن يقعان من الدهناء فيما بين أعلى وادي فلج (الباطن) وبين (تعشار) الواقع غير بعيد عن شمال إقليم سدير، وأنهما غير بعيدين عن الأميل وهو كثيب الرمل الواقع في الدهناء، فيما بين السّياريات وعرق المظهور، وهذا يمتد نحو الجنوب حتى يكون بموازاة القاعية والأرطاوية وما حولهما من المناهل التي لا شك أن ماء تعشار منها[2].

(١) صياد الفوارس هو عتاب بن الحارث بن شهاب اليربوعي التميمي مات بسميراء بحائل.
(٢) حمد الجاسر: معجم المنطقة الشرقية، ص ٤٩٨.



أحد أسوار قفار في حضن جبل أجا

لقد استقصى الأستاذ حمد الجاسر جميع الأخبار المتصلة بمقتل بسطام بن قيس في (شقيقة الحسن) لتحديد هذا الموقع في جزيرة العرب، وساق ما يتصل به من الروايات في معجمات البلدان والنقائض وكتب اللغة، وما يتعلق به من الأشعار، وعرض للأماكن ذات الصلة به كمنهل (تعشار)، ولو كانت وقعة «أم الجماجم» التي يذكرها المتأخرون من رواة العامة، والشعراء النبطيون معروفة، لما فات الأستاذ حمد أن يشير إليها خاصة أنه ذكر (تعشار) عدة مرات في الإثنتي عشرة صفحة التي خصصها لوقعة (شقيقة الحسن).

والذي يبدو هو أن خبر (أم الجماجم) وما يتصل به من الرحلة إلى قفار، أو الرحلة من تعشار إلى قفار، ما يزال يكتنفه الغموض والإبهام، أو أن وقعة (الحسن) ومقتل بسطام وعلاقتهما بتعشار قد جعلاها - لشهرتها - أصلاً جاهلياً بعيداً لإسطورة (أم الجماجم)، ودخل عليها التحريف والتبديل عند الرواة في بلاد الجبلين، كما يحصل لأخبار الأزمان الغابرة.

على أنه من المستبعد أن تسمى (تعشار) بأم الجماجم دون سبب، أما شهرة وقعة (الحسن) فتعود إلى شهرة بسطام باعتباره واحداً من ثلاثة اتفق أهل عكاظ على أنهم أفرس العرب[1]. وكانت وقائعه الجاهلية مع بني تميم في الغالب في الدهناء، وصحراء فلج (الحفر) وبلاد يربوع، لما بين قومه بكر بن وائل وبين تميم من الثأرات والنزاع الذي لا يكاد ينقطع على أراضٍ تعد من أخصب بلاد العرب. قال بعض شُرّاح فخريات الفرزدق بمقتل بسطام ومنها:

وخالي بالنقا ترك ابن ليلى أبا الصهباء محتفراً لهابا
كفاه التبل تبل بني تميم وأجزره الثعالب والذئابا

قال بعض الشراح أن صحة البيت الأخير هو:

كفاه الليل ليل بني تميم وأجزره الثعالب والذئابا

وكما فخر الفرزدق بوقعة الحسن فخر جرير بها أيضاً وببني ضبة لقتلهم

---

(١) قالت العرب فرسان الجاهلية ثلاثة: بسطام بن قيس الوائلي فارس ربيعة، وصيّاد الفوارس فارس تميم، وعامر بن الطفيل فارس بني عامر من هوازن.

بسطاماً وذكرا يوم الحسن ولنباهته فإن تميماً ظلت تذكره دهراً طويلاً، ومما يُروى أن عاصم بن خليفة كان يقف على باب الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الإسلام وينادي بأعلى صوته: أنا عاصم بن خليفة قاتل بسطام.

وإذا كنا ألمحنا إلى أن أهل قفار من تميم في عهدها الأول من هم من بني العنبر[1]. وبنو العنبر هم أهل فَلَج (الحفر) في الجاهلية، وأول الإسلام، ووقعة الحسن حيث قُتل بسطام قريبة من ذلك الموقع، فلا يستبعد أن تكون أسطورة (أم الجماجم) قد انتقلت مع أولئك التميميين إلى قفار من مواطنهم تلك.

وبقي في حديث الحميضي وأم الجماجم الإشارة إلى بعض الأقوال المتعلقة بها فقد ورد في مخطوطة حمود الهياف التميمي أن فرجاً الحميضي قدم إلى قفار من أشيقر. وهذه الرواية مرجوحة بكون أشيقر من بلاد الوهبة، ولا علاقة للعمريين بها، وما ورد في مقالة للشيخ محمد بن عبدالمحسن الفريح التميمي - من أهل البكيرية - يتحدث فيها عن أسرته آل سلمي الذين انتقلوا إلى البكيرية من قفار، نشرت في مجلة العرب[2]، وذكر فيها أن فرجاً الحميضي قدم إلى قفار من نعام، وهذه الرواية مرجوحة أيضاً لأنها لم تؤيد بتاريخ ولا بشعر، ثم إن حوطة بني تميم التي تقع نعام بقربها لم تعرف التميميين إلا بعد خروجهم من قفار إلى سدير ثم الحوطة كما ذكر ابن لعبون في تاريخه، وابن ماضي في تاريخه وغيرهما، إلاّ إذا كان من يتحدثون عن رحلة الحميضي إلى قفار لا يعنون بها الرحلة التميمية الأولى إليها.

أما انتساب بعض أهل قفار وبعض أهل البلدان المتفرعة عنها في حائل إلى الحميضي فمرده فيما يبدو إلى هذه الأخبار التي تروى عنه وعن أم الجماجم حتى أصبح الحميضي عزوة عامة لبني تميم في حائل. قال حُميّر بن عيادة التميمي -

(١) سبقت الإشارة إلى نزوح مزروع التميمي من قفار في عام ٦٠٠هـ (١٢٠٤م) إلى روضة الخيل بسدير، ومزروع من بني عدي من بني العنبر، وبلاد بني عدي هي فَلْج والطنب، وماويّة، وأم العشر، انظر عن هذه المواقع معجم المنطقة الشرقية للأستاذ حمد الجاسر.

(٢) مجلة العرب.

أمير قفار - يخاطب عبدالله بن رشيد - أمير حائل - إبان نشأة إمارة آل رشيد:

هيهات يا جويلان هيهات هـيـهـات　　هيهات وين سيوفكـم ويـن اثـرهـا
ما غير تشرب من هماج الحميضـات　　وأوذيت نطار الخضـر فـي نـطـرهـا

وذلك من قصيدة مطلعها:

يا راكب من فوق حمرا سبنتات　　ما ضـرّب ابوه كود يعرف مـهـرهـا

وقال مخلف الجنفاوي في أهل السبعان وهم من أهل قفار:

ياراكـب مـن عـنـدنـا فـوق فـداد　　سهـواج رهـواج قـعـود عـمـانـي
يلفي لعايش شوق مـزبـور الانـهـاد　　ستر الرفيق وزبن مـن جـاه عـانـي
غوش (الحميضي) ما بهم قـولـة داد　　قهـاوي مـن طـبـهـا مـطـربـانـي
لاجن مع الشريان هـجـفـا وشـراد　　وحاديهن الموت الحـمـر هـزرفـانـي
إيمانـهـم يـامـا تـنـفـذ مـن الـزاد　　وحيـلٍ تقلط فوق طفح الصـيـانـي

وقال ناصر الهياف التميمي من أهل الغزالة يمدح أهل ضرغـط، وأهـل هاتين البلدتين من أهل قفار:

نبي لاهل ضرغط نكز الـنـجـيـبـة　　نسل الحميضي ما دخلهم لفـايـف[1]

وبقي فيما يتعلق بـــ «تِعْشار» «أم الجماجم» أن يوماً شهيـراً من أيام العرب حدث بها يُعرف باسم يوم تِعْشار وهو لبني تميم؛ لبني عمرو منهم علي بن شيبان من بني بكر بن وائل وفيه قتل زعيمهم مالك بن عبدالله (ذو الجدين) وفي ذلك قال ربيعة بن طريف بن تميم:

هم قتلوا في يوم تـعـشـار مـالـكـاً　　ولم يك في شيـبـان فـرع يمـاجـده
نماه ابن ذي الجدين في أرفع العـلـى　　فمن خيـر أحـيـاء الـبـريـة والـده

---

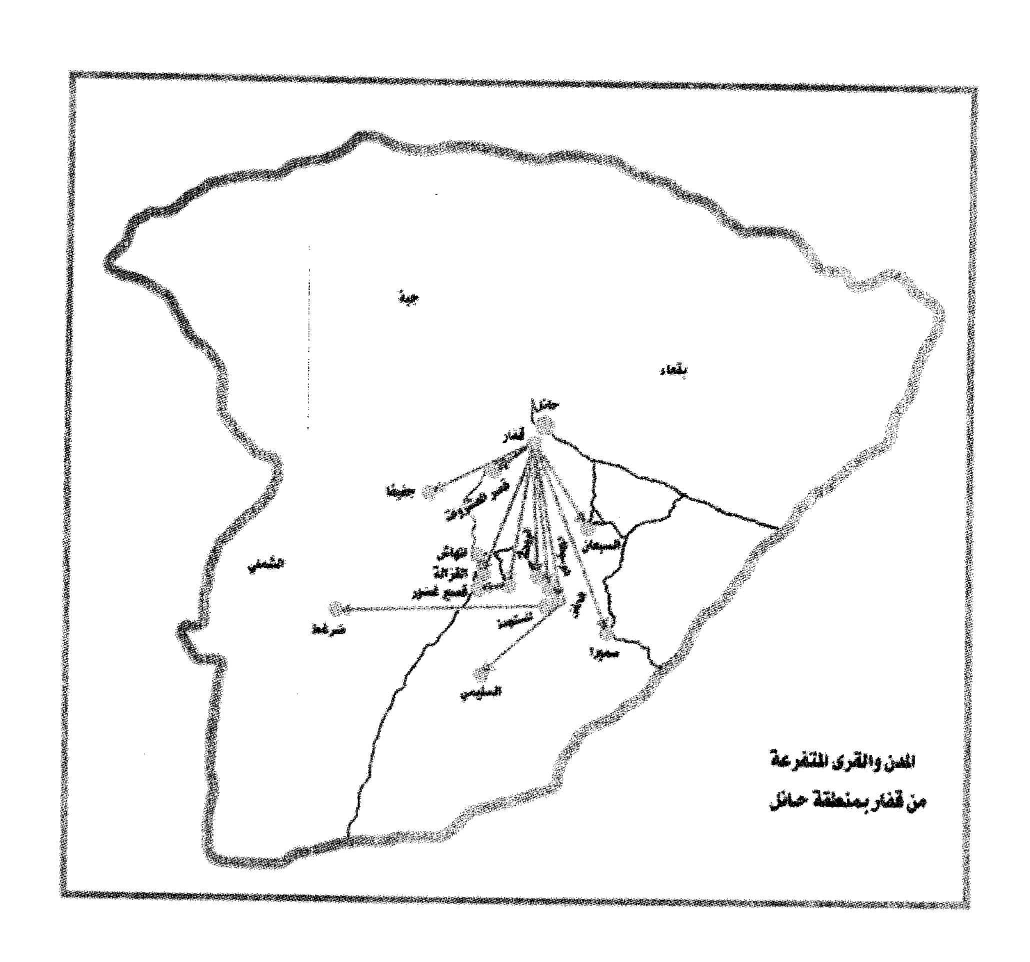
(١) ذكر الدكتور رشيد العمرو إنّ قصيدة حُميِّر بن عيادة التميمي إنما هي رد على قصيدة لعبيد بن رشيد لا عبدالله، غير أن قول ابن عيادة: «هيهات يا جويلان» يفهم منه أن المقصود عبدالله، إذ هو الذي يلقب بـ «جويلان». وفي أبيات القصيدتين نقص وتقديم وتأخير.

الفصل الثالث

المدن والقرى المتفرعة عن قفار في منطقة حائل

١ - ضرغط
٢ - السليمي
٣ - السبعان
٤ - جفيفاء
٥ - الغزالة
٦ - قصير غضور
٧ - المهاش
٨ - المستجدة
٩ - الروضة
١٠ - وسيطاء الحفن وسَمَيراء
١١ - قصر العشروات





المدن والقرى المتفرعة من قفار بمنطقة حائل.

المدن والقرى المتفرعة عن قفار في منطقة حائل

خرجت من قفار جماعات غفيرة من بني تميم في سنوات مختلفة، وأنشأت هذه الجماعات عدداً من البلدان التي أصبح بعضها مع مرور الزمن أكثر سكاناً من قفار البلدة الأم.

وقبل أعوام ليست بعيدة كانت مراكز الاستقرار الحضري في منطقة حائل تكاد تنحصر في هذه البلدان القفارية، أما في السنين الأخيرة فقد شهدت المنطقة ظهور مدن وقرى جديدة عمرها أناس لم يخرجوا من قفار، وأكثر هؤلاء من أبناء البادية الذين ركنوا للاستقرار، أما المدن والقرى التي عمرها الخارجون من قفار فهي:

١- ضرغط.

٢- السليمي.

٣- السبعان.

٤- جفيفاء.

٥- الغزالة.

٦- قصير غضور.

٧- المهاش.

٨- المستجدة.

٩- الروضة.

١٠- وسيطاء الحفن وسَمَيراء.

١١- قصر العشروات.

١- ضرغط

تقع ضرغط في جنوب غرب منطقة حائل على بعد ١٨٠ كم عن حائل المدينة، في الطرف الشرقي مما كان يعرف قديماً باسم «حرة ضرغد»[١].

(١) هي ضرغد في القديم أما الآن فإن دالها تبدل طاء. وتشتهر ضرغط حالياً بوجود منجم لمعدن «المغنزايت».

وضرغط قديمة الذكر، جاهلية العهد، ورد اسمها في أكثر المعلقات الشعرية التي تنسب إلى عمالقة الشعر الجاهليين، كطرفة بن العبد الوائلي، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص الأسدي.

وفي الوقائع الجاهلية بين بني عامر وغطفان كثر ورود اسمها في أشعار هذين القبيلين العظيمين، ومن ذلك قول عامر بن الطفيل، وهو من قادة العرب الجاهليين، ومن مشاهير فرسان وزعماء القيسية العدنانية:

فلأبغينكم الملا وعوارضا ولأوردن الخيل لابة ضرغد

وقول النابغة يرد عليه:

لو عاينتك كماتنا بطوالة بالحزورية أو بلابة ضرغد
لثويت في قدٍ هنالك موثق في القوم أو لثويت غير موسد

واللابة هي الحرة وهي الأرض السوداء، وقد انتقل هذا الاسم من العربية إلى الإنجليزية عن طريق اللغة الإسبانية، مع تحريف بسيط.

وفي ضرغط حدث يوم بين بني تميم وطيء، وورد ذكر هذا اليوم في نقائض الفرزدق والطرماح بن حكيم الطائي، قال الطرماح في معرض فخره بمواقف الأزد الكهلانية اليمانية:

ونحن حصدنا يوم أحجار ضرغدٍ بقمرة عنزٍ نهشلاً أيما حصد

ونهشل من أسماء الذئب، وهو جد تميمي جاهلي، يعرف بأبي الفوارس، وقد أكثر الفرزدق من تمجيده والمباهاة به، ومن ذلك قوله:

بيتُ زُرارة محتبٍ بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وحرة ضرغط كبقية الحرار، حرة ليلى، وحرة اثنان، وحرة النار، وحرة فدك لبني ذبيان من غطفان، ويختص بنو مرة منهم بأكثرها، على أنه ورد في المفضليات أنَّ حرة ضرغد لبني تميم في القديم.

وأهل ضرغط الحاليون من تميم من الغنام من بني العنبر، وقد خرج هؤلاء من قفار، وحلوا في شعيب الحفن، الواقع في طرف رمان الشرقي، وهو الرحبة، يصب في وادي الشعبة المعروف باسم الثلبوت وهو من بلاد بني أسد، إلى أن

انتزعته منهم بنو ذبيان في صدر الإسلام.

ومن شعيب الحفن رحل الغنّام واستوطنوا في ضرغد[1] وهم أهلها الآن وفيهم إمارتها، وهم ينقسمون إلى فرعين أحدهما: القُبيل والثاني الناصر.

ونقل ابن صقيه أن أهل ضرغط من المفيد، والمفيد والغنام من أصل واحد.

وضرغط الآن بلدة عامرة بها عدد من مزارع النخيل وقد شملتها خدمة الهاتف والكهرباء، وبها مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية، ومركز صحي، ومركز بريد، ومركز إمارة، وترتبط إدارياً بمحافظة الغزالة إحدى محافظات منطقة حائل.

وأورد الحازمي في كتاب الأمكنة أن ضرغد جبل أو حرة بأرض غطفان، وقيل ماء لبني مرة، وناقش الأستاذ حمد الجاسر في الهامش هذا القول مع أقوال كثيرة أخرى وقال: ضرغد لا يزال معروفاً وهو حرة واسعة فيها جبال وأودية ومياه وأرض مسكونة، وهي قديماً من بلاد بني مرة وغيرهم من غطفان وينطق الاسم أيضاً (ضرغط) بالطاء، ونقل ما ورد في تاج العروس من أن ضرغد في الجانب الشرقي من حرة خيبر الكبيرة، وفيه قريتان تسميان ضرغد وضريغد وغيرهما، وتقع ضرغد بين خطي الطول: ١٠/ ٤٠درجة، ٢٩/ ٤٠ درجة وخطي العرض: ٣٢/ ٢٦درجة، و٠٤/ ٢٦ [2] درجة.

---

(١) للأستاذ دخيل الناصر إفادات منها أن هؤلاء عادوا إلى الشعيب مرة ثانية ماعدا ذرية رشود رجعوا إلى قفار ثم ضرغط ومنها أنه فاتني ذكر ناصر الراشد من ضرغط وعلي الهياف من الغزالة وهما من الشجعان الكرماء.

وعلق الدكتور عبدالعزيز الفريح باستدراكات منها ما يتعلق بتفريعات تميم أهل قفار وأنهم ينتسبون - وبدون استثناء - إلى آل حمّاد من العنبر وأن فراج بن سُلمي كان أميراً في قفار وأن آل عفيصان أهل قفار من آل سُلمي.

وللأستاذ القاص علي الحبردي صاحب رواية «الصيِّد وحمّى قفار» ملاحظات أخرى وسأختار من إفادات واستدراكات وملاحظات الأخوة الثلاثة ما سأضمنه كتابي المعد للطبع عن «أصحاب المضافات في بلاد الجبلين» بإذن الله تعالى.

(٢) الحازمي: الأمكنة ص ٦١٦.

أما قمرة عنز الواردة في شعر الطرماح[1] فيرى الأستاذ حمد أنها غير بعيدة عن ضرغط وأن صوابها قعرة، ورجح أن تكون في الطرف الشمالي الشرقي للحرة، غرب روضة التنهات جنوب منهل العباسية الواقع في الطرف الجنوبي من جبال مُحجر[2].

ومحجر هو (المسمى) الآن في غربي منطقة حائل.

ومن أقوال شعراء العرب القدماء في ضرغط قول سنان المُري الغطفاني:

بضرغدٍ وعلى السديرة حاضر وبذي أمر حريمهم لم يقسم

وقول عبيد بن الأبرص الأسدي وهو من شعراء المعلقات:

لمن دمنة اقفرت بحرة ضرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد

ومن الشعر العامي ورد قول مناور بن سُعيد من شمر:

ناس بضرغط مبطي علمهم بان قصيرهم خشيرهم بالوقاره

وقول ابن صقية:

واللي بموقق ما يذلون عيان واللي بضرغط تعجبك لا تنخويت

وقول ناصر الهياف:

نبي لأهل ضرغط نكز النجيبة نسل الحميضي ما دخلهم لفايف

وقال حميد بن فحيمان الرشيدي:

وحدنا واد الرّمه من صوب نجد ومن ورا ضرغط ونقصر عن قفار

---

(١) وكما فخر الطرماح بيوم ضرغط وهو يوم جاهلي فقد فخر بوقعة بزاخة في الإسلام وقال:

ونحن ضربنا يوم نعف بزاخة معداً على الإسلام حتى تولّت

وذلك في قصيدة طويلة أجابه الفرزدق عليها بقصيدته التي مطلعها:

لقد هتك العبد الطرماح ستره فأصلى بها نار قومه فتصلت

ولولا حذار أن تقتل طيىء ما سجدت لله يوما ولا صلت

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، ص٩٥٠.

وفي دراسة للأستاذ دخيل فهد الناصر ورد أن آل مبارك وآل غنام أهل الأحساء هم من آل غنام أهل قفار وضرغط، وأن المؤرخ الشهير حسين بن غنام من هؤلاء، وفيها أن محلة آل غنام في قفار، داخلة في محلة آل حماد الكبرى في شرقي قفار، وذكر منهم الدلاك أخوال علي بن محمود السبهان، والعلي أخوال عبد العزيز الخوير أمير قفار، وآل بزيع الذي ينسب إليهم حي البزيعي، أحد الأحياء القديمة بمدينة حائل، وآخرين في المستجدة والروضة بحائل، والخبراء بالقصيم.

وفي دراسته أيضاً أنَّ رشود بن غنّام التميمي اشترى ضرغط من ابن غبين أمير الفدعان من عنزة، ووثّق ورقة البيع من حجيلان بن حمد التميمي أمير القصيم في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

٢- السليمي

تقع مدينة السليمي في جنوب منطقة حائل على بعد ١٥٠كم جنوب مدينة حائل، ولها طريق معبد متفرع من طريق حائل المدينة المنورة يتجه شرقاً.

وأهل السليمي من قفار يُنسبون إلى جدهم سُليم الذي أنشأ هذه البلدة فعرفت بقصر السليمي أولاً ثم بالسليمي فقط، في موقع كان يعرف قديماً باسم «فرافرة» وفرافرة جبل شهير ورد ذكره في كثير من أشعار العرب القدامى، وأخبارهم، خاصة الغطفانيين القيسيين العدنانيين المشهورين بشعر المعلقات، والملاحم العربية المرتبطة بأيامهم فيما بينهم، وبوقائعهم مع القبائل الأخرى.

وتقع السليمي بين فرافرة شمالاً، والذي يقال له أيضا «فرافرتان» وجبل قنا جنوباً، وقد أكثر شعراء غطفان من ذكر هذين الجبلين لتوسطهما من بلادهما في الجاهلية، ومن هؤلاء الحارث بن ظالم المري الذبياني، والنابغة، وقيس بن زهير العبسي، وقيس هذا هو صاحب حرب «داحس والغبراء» المشهورة في التاريخ العربي، وداحس والغبراء من خيل بني تميم لبني رياح بن حنظلة[1]، ولما

(١) داحس أبوه ذو العُقّال وأمه جلوى من خيل تميم، وأخته من أمه وأبيه هيفاء، والغبراء خالة داحس، قال ابن الأعرابي. . . آل أعوج وذو العُقّال فحلان معروفان بالنجابة والفراهة - والأعوجيات لبني هلال آلت إليهم من بني سُليم وكانت لكندة اليمانية، ابن الأعرابي: الخيل.

صارا لقيس طفق يفاخر بهما قبائل العرب إلى أن نشبت الحرب بين عبس وذبيان بسبب هذين الفرسين حيث أجراهما قيس في سباق مع الحنفاء والخطار من خيل آل بدر الفزاريين الذبيانيين وهم بيت من بيوتات الأرستقراطية العربية في سالف الدهر.

وإلى الشمال من السليمي يوجد جبل «قصايره» بينها وبين جبل رمان. قال النابغة الذبياني وهو من شعراء المعلقات:

فجاءوا بجمع لم ير الناس مثله تضاءل منه بالعشي قصائره

ومن شعر قيس بن زهير المعروف بقيس الرأي:

لن تهبطي أبدا جنوب (مويسل) و (قنا) (فرافرتين) فالأمرارا

ومن الشعر العامي ورد في أهل السليمي من بني تميم قول ابن هديرس من مشاهير شعراء شمر:

يا حمود اما ابوي وابوكم اخوان كيف الرجل يرضى لنفسه خناها
مر «السليمي» وانشده ذرب الايمان قل علة المصران وشو دواها
بيضٍ تسند يم ناصر[1] كحيلان شبوة عريبٍ محكمات غياها

وقال شاعر آخر:

قصر السليمي سيلته المراهيش حيث ان به عيسى معش السراتي

وقال آخر في صالح الطويهر التميمي

الشايب اللي باني له هفاهيف بايسر (قنا) يصهل صهيل الحصان

وقال فهد الهريش التميمي وهو من المشهورين بالكرم والشجاعة:

لولا (قنا) مارخصت بارودي واللي عنا للخال سديته

والسليمي مدينة عامرة بها مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية للبنين والبنات، ومستشفى، ومجمع قروي للخدمات البلدية، ومركز للدفاع المدني، ومخطط سكني حديث وحدائق منظمة، ومركز إمارة ومحكمة شرعية، وترتبط إدارياً بمحافظة الغزالة ويرتبط بها عدد من القرى والهجر[2].

(١) المقصود بـ «ناصر» ناصر بن لحيدان الكريم المضياف وهو من الحمران من تميم.

(٢) وللمهندس فهد الهريش كتاب عن السليمي ضمن سلسلة هذه بلادنا، من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

٣- السُّــبعان

تقع بلدة السبعان في سفح جبل سلمى الغربي، في مقابل ممرين رئيسيين يخترقان الجبل من الغرب إلى الشرق، ويطلق على كل ممر منهما اسم: الشّرى.

والشرى مأسدة مشهورة يتكرر ذكرها في الشعر العربي القديم. قال أنيف النبهاني أو النهشلي التميمي[١]:

كأُسد الشرى أقدامها ونزالها

ومن الشعر العامي ورد قول محسن العلي التميمي على طرق الهجيني:

ذيـب الـــشّـرى عـانـق الـســـراح   صب المـغـيـرة عـلـى الـراعـي[٢]

وأهل السبعان من «قفار» من آل مفيد من تميم، ومحلتهم في قفار لا تزال حيَّة معمورة، والسبعان في اللغة الصرفية على وزن «فُعلان» وقيل إنه لم يرد على هذا الوزن سوى هذا الاسم. قال ابن مالك في الألفية:

«كذا إذا كسُبعان صيّره»

والسبعان في الأصل اسم لواد يُعرف الآن باسم وادي العش في أعلاه، أما أسفله فيقال له وادي العدوة، وكان يقال للمنطقة التي يفضي إليها وادي العدوة مُدافع السبعان واسمها الملا، وهذه المنطقة محصورة بين بقعاء غرباً، والأجفر شرقاً، قال أحد بني أسد يذكر ديارهم التي انتزعتها منهم غطفان في الإسلام:

ولهم بـلاد طـالـمـا عُرفـت بـهـم   صحن المـلا ومـدافـع الـسـبـعـان

وقيل لمتمم بن نويرة التميمي: يموت أخوك في الملا وتبكي على قبر في العراق؟ فقال:

وقالوا: أتـبـكـي كـل قـبـر رأيـتـه   لقبر ثوى بين الـلـوى فـالـدكـادك؟

فقلت: إن الشجا يبـعـث الـشـجـا   فدعني فكـل هـذا قـبـر مـالـك[٣]

---

(١) ويُنسب البيت إلى أُثال بن عبده بن الطبيب التميمي، ويرى الدكتور رشيد العمرو أن المقصود بالشرى هنا موضع في جبال الحجاز لا شرى سلمى.

(٢) ولمحسن العلي التميمي قصائد من الشعر العامي الرائع إذ هو شاعر متمكن، جيد العبـارة، وبعض قصائده منشور في الكتب.

(٣) تناولت موضوع مقتل مالك بن نويرة وأنه لم يكن مرتداً في بحثي «بُزاخة ودلالات أيام العرب».



آثار بلدة السبعان

وورد في معجم البلدان لياقوت: السبعان - بفتح أوله وضم ثانيه وآخره نون: اسم وادٍ يقع شمالي سلمى عنده جبل يقال له العبد، أسود، ليست له أركان.

قال ابن مقبل - وقيل ابن أحمر:

ألا يـاديـار الـحـي بـالـسـبـعـان أمل عليـهـا بـالـبـلـى الـمـلـوان
ألا ياديار الحـي لا هـجـر بـيـنـنـا ولـكـن روعـات مـن الـحـدثـان

وقال رجل من بني عقيل جاهلي:

ألا يـاديـار الـحـي بـالـسـبـعـان خلت حجج بعدي لـهـن ثـمـان[1]

ونقل الأستاذ حمد عن صاحب كتاب «بلاد العرب» قوله: الملا في أسفل هذا الوادي، وأعلاه واد يجيء من الجبلين، والأجفر في أسفل هـذا الـوادي، وأعلاه الملا، وأسفله الأجفر، وهو لسواءة ونصر، وكان الأجفر لبني يربـوع، فحلت عليها بنو جذيمة وذلك في أول الإسلام فانتزعتها منهم.

وعلق على ذلك بقوله: وادي السبعان وهم ينطقونه بإسكان الباء استسهالاً لها بدلا من الضمة ينحدر من سفوح رمان الشمالية الشرقية، ومن سفوح سلمى الشرقية الشمالية، ثم يأتيه من أعلاه من الجهة الغربية الشمالية وادي العش فوادي العدوة، فإذا اجتمعت الثلاثة سميت وادي العدوة، الذي يتجه موازياً لسلسلة جبال سلمى شمالها ثم ينحرف بعد انتهاء السلسلة نحو الجنوب حتى يفيض شرق سلمى.

وليس للوادي مجرى بارزاً يدل على أنه يتصل بالأجفر حيث تحجزه مرتفعات صخرية تدعى الردايف، وكذا جال الساقية - ساقية فيد - وقد يكون قديماً متصلا بوادي الساقية الذي يفيض في فيضة الأجفر.

أما قول صاحب «بلاد العرب» إن وادي السبعان يجيء من الجبلين فالظاهر أن صواب العبـارة: (يجيء من بين الجبلين). إذ سيوله تنحـدر مـن رمَّان ومن سلمى، ومما بينهما من الجبال، ولا تأتي من جبل أجأ[2].

وكما أشار الأستاذ حمد فإن سيل وادي السبعان الذي يطلق عليه الآن اسم

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، مادة السَّبُعان.

(٢) الحازمي: الأمكنة ص ٦١٦.

وادي العدوة لا يبلغ الأجفر البلدة الواقعة في شمال شرق حائل إلا إذا كان مسمى الأجفر يتسع قديماً ليشمل الأراضي المحيطة بالأجفر في المنطقة التي كانت تعرف باسم «الملا» في القديم.

وقد شهدت أرض «الملا» عدداً من وقائع تميم وأسد في الجاهلية وعصر صدر الإسلام قال خالد بن المضلّل الأسدي:

ألا أبلغ تميماً على حالها مقال ابن عم عليها عتب
فنحن فوارس يوم الهبير ويوم الشعيبة نعم الطلب

والهبير في شرق الأجفر والملا، والشعيبة في غربها بقرب بقعاء، وبالهبير أوقع القرامطة بالحُجاج في عام ٣١٢هـ.

وكان ممن أُسر العالم الكبير الهروي الأزهري صاحب «تهذيب اللغة»وقد وقع في أيدي أعراب من تميم وأسد. وفي الأجيفر ورد قول الفرزدق:

ديار بالأُجيفر كان فيها أوانس مثل آرام الصريم
وما أحد يسامينا بفخر إذا زخرت بحور بني تميم

ومن الشعر الجاهلي القديم في «السبعان» نقل الباحثون أبياتاً هي:

ألا يا ديار الحي بالسبعان عفت حجج بعدي لهن ثمان
فلم يبق منها غير نؤي مهدم وغير أثاف كالركي دفان
وآثار أهاب أوراق ألون سافرن به الريح والأمطار كل مكان
قفار مروراة يحار بها القطا ويضحى بها الجأبان يفترقان
يثيران من نسج الغبار ملاءة قميصين اسمالا يرتديان

أورد هذه الأبيات الدكتور عادل البياتي ونسبها لشاعر من بني عقيل، مع حديث له عن فلسفة الحياة الجاهلية عند العرب وعن المعنى الرمزي في قول القائل: فلان كثير الرماد، وقال: إنه لا يرى معنى أكثر إيحاءً بالرمز من هذه الأبيات(١).

وفي المفضليات بلغت هذه القصيدة ١٢ بيتاً وورد أن قائلها هو عميرة

---

(١) أبو عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق الدكتور عادل البياتي.



المباني القديمة (القصور) في السبعان

التغلبي الوائلي، ونقل الشارح عن الأصمعي أن فيها بيتاً هو أشعر بيت قالته العرب في وصف سنان الرمح وهو:

جمعت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يستعن بدخان[1]

وفي «السبعان» قال ابن صقيه:

لاجيت بين جبال سلمى ورمان عرّج على (السبعان) ديرة هل الصيت

وقال:

واللي هزم جمع الحريب ابن عفنان دواس مسقى الضد بالحرب حلتيت
يا ويل من هو له فنى المال ديان غلطان ياللي لابن عفنان عاديت

وفي دواس هذا قال شاعر سلمى فرج بن خربوش الشمري:

دواس مات ولا بسلمى مقاعيد وابيك فرجة شايب لي تسده

وقال الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري:

من عصر دواس زيزوم السرية شاهرٍ عرفه خصالٍ يذكرنا

وذكر ابن بليهد في كتابه صحيح الأخبار بلدة السبعان في حديث عن حملات الملك فيصل بن عبدالعزيز أثناء حروب توحيد المملكة العربية السعودية[2].

واشتهرت بلدة السبعان فيما مضى بوفرة النخيل والمزروعات بحيث كانت تعد من أهم مصادر تموين المنطقة بالمنتوجات الزراعية، وعُرفت البلدة بالشعراء والرواة والحفاظ، وللشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري بحث عن «الأصمعيات في السبعان» لم ير النور بعد.

وتعد السبعان من مراكز الاستقرار التي عُنيت بتعليم القراءة والكتابة من خلال الكتاتيب التي تعاقب على التدريس بها عدد من الأئمة والخطباء إلى أن تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية بها عام ١٣٧٦هـ .

ويوجد الآن بها مدارس للبنين والبنات في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومركز للرعاية الصحية.

(١) المفضليات.

(٢) ابن بليهد: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مادة السبعان.

وتقع السبعان على الطريق الذي يربط منطقة سلمى بحائل وأجأ، وهذا الطريق ينخزل من طريق حائل القصيم ويتجه جنوباً من غرب جبل «فتك»، وفي فتك ورد قول عبدالعزيز بن زُرارة العامري من شعراء العصر الأموي:

فلما بدت جلدية من أمامنا وفتك وجاوزنا بلاد تميم
وبدا رعن من خُفاف كأنه نعائم ربد بينهن ظليم

وجلدية معروفة شمال طريق حائل، القصيم أما خُفاف فغير معروف، ورجح الشيخ أبو عبدالرحمن أن يكون خفاف هو «جانين» الواقع إلى الشمال الشرقي من (فتك)[1]، وبين فتك وحائل ٣٥ كم وهو إلى الشرق منها، وبين فتك وبلدة السبعان الواقعة جنوبه ٣٠ كم. أما الطريق المتجه منه إلى سلمى فإنه يدع السبعان يمنة، ويخترق الجبل مع (الشرى) الشمالي إلى أن يتصل بالطريق الواصل بين الشنان شمالاً وسميراء جنوباً في شرق جبل سلمى.

وفتك هو الوارد في شعر زيد الخيل، وذكر كلٌ من الأستاذ الرفاعي والدكتور أبو سديرة والدكتورة وفاء السنديوني أنَّ منفوسة زوجة قيس بن عاصم التميمي بنت لزيد الخيل والصحيح أنها بنت لزيد الفوارس التميمي الذي فتك بالمحرق الغساني في بُزاخة إلى الجنوب من قفار، ومن شعر المديح قول زيد الخيل في قيس بن عاصم:

إلى الواحد الوهّاب قيس بن عاصم له قادحاً من زندي سنان بن خالد

وفي الشرى بقرب السبعان استشهد الصحابي الجليل عكاشة بن محصن الأسدي قبيل وقعة بُزاخة.

وزار الرحالة «الويس موزل» بلدة السبعان عام ١٩١٥م وقال إن أهلها من تميم شيخهم خير الله التميمي. على أنه بالنظر في أسماء أمراء هذه البلدة الذين أوردهم ابن صقيه في كتابه «بنو تميم في بلاد الجبلين» لا نجد ذكراً لهذا الذي أشار إليه «موزل» مما يدل على عدم دقة هذا الرحالة التشيكي فيما ينقل من معلومات[2].

---

(١) نشر ذلك في بحث بعنوان «من أجل خفاف» في جريدة الجزيرة.

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة السبعان، وابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص٩٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد ابن عبدالرحمن الفيصل إلى دواس السلام عليكم ورحمة الله وبركاته خطك وصل وما ذكرت
كان معلوم من طرف معاهدتكم لفيصل بشأن ان ظاهركم مثل باطنكم لا اشك احد
منكم الا ان هذا يدخل عليك واحرص على جميع الجهال بعده وحضره العداوه باطنه
وظاهره هذا ما لزم والسلام
كذلك ان كان عندكم شعير فرسلوه مع حاملين الخيل

صورة وثيقة من الأمير محمد بن عبدالرحمن أخو الملك عبدالعزيز إلى دوّاس.

٤- جُفيفاء

بضم الجيم وفتح الفاءين بينهما مثناة تحتية ساكنة فألف ممدودة، وهي بلد الكريم المضياف عثمان بن دواس المفيد التميمي، الذي طبقت شهرته الآفاق، وشاع صيته بين العرب، وضرب به المثل في السخاء حتى لم يعد أحد يجاريه أو يباريه في زمنه، وأطلق عليه معاصروه لقب (مزهب الطّراقي) لجوده الذي لا يقف عند حد إكرام المسافرين، والعابرين النازلين في مضافته الشهيرة في غرب أجا بل يتعدى ذلك إلى تقديم زاد الرحلة والسفر كلما هم ضيوفه بالرحيل، ولذلك أكثر الشعراء خاصة من قبيلتي شمر وعنزة من الثناء عليه والإشادة بأريحيته حتى خلدت قصائد هؤلاء ذكره في الآفاق، وبقي عثمان بن دواس علماً من أعلام الجبلين، ومفخرة من مفاخر العرب في الإيثار، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع قال فوزان بن عبدالله العقيل العنزي:

عزي لمتعب كان هو مات عثمان ... ياما يشوف من الجفا والهوان
ودي بشوفك ياسلايل كحيلان ... لا بركن عند الضعيف السمان
دلا يزهب يوم شاف الدهر شان ... زودٍ على تقليد رخم الصياني

وقال مكازي العرهبي الغضوري العنزي:

عثمان من سماك عثمان ما صاب ... عثمان بن دواس والاّ أنت خايب
عثمان ينصنه مراكيب الأجناب ... قطم الفخوذ منقرشات غرايب
وعثمان ما يجفي على ضيفه الباب ... فضوٍ اليا ما يشبعون القرايب
وعثمان ما ينشد عن الماء ولو ساب ... ماءٍ يفجر بالسهال الجنايب

وقال حسن التبيناوي الشمري:

يشبع من الحرة الياخشم رمان ... وبتقصف الأسعار يضمن عشاها

وتقع جفيفاء غرب جبل أجأ، وكانت في القديم على الطريق الرئيس الذي يصل تيماء ببلاد الجبلين، وهي تُرى الآن يسار الطريق المتجه من حائل إلى العلا بعد موقق على بعد ١٠٠كم عن حائل وينخزل لها طريق ترابي بالقرب من (دليهان) القرية الواقعة على نفس الطريق.

جانب من قصر عثمان بن دوّاس التميمي في جنفاء

وأهل جفيفاء من بني تميم أهل قفار، وفي أسفل البلدة أثل وآثار عمران لآل عيادة، أما أعلاها فأول من سكنه من تميم فرج بن دواس المفيد، الجد الأعلى لعثمان، خرج إليها من قفار واستوطنها هو وذريته إلى اليوم.

وقد مر زمن هُجرت فيه جفيفاء أو كادت تهجر نظراً لنضوب الموارد المائية ثم دبت فيها الحياة من جديد.

وورد في المعجم الجغرافي: «تقع جفيفاء شرق جبل حضن على سفحه بينه وبين طرف جبل أجأ، في الجنوب الغربي من موقق وفي الشرق من بلدة الشقيق، بميل نحو الجنوب، في الجنوب الغربي من حايل، وهي من قرى بني تميم، وهي غير القفيفة القريبة منها، ولا أستبعد أن تكون هذه القرية هي جفاف الواردة في كلام البكري (جفر الجفاف) في ذكر الطريق إلى تيماء من الجبلين، فهي تقع على هذا الطريق[1]. انتهى

وأسر جفيفاء هم آل عثمان وآل مرشد وآل رشود وآل مهوس وآل ناصر وآل عاتي، وهم من الدواس من آل مفيد من بني العنبر من بني عدي بن جندب من بني عمرو.

ومما رثي به عثمان قول عيد بن ساجر الشمري:

يا دار أبو سالم وحمود	يا دار ريف المناكيف
خلاك راع الصخا والجود	خلاك راع العجاريف

وقال مطلق العميم السويدي الشمري:

يا راكب من بنات القود	أهراف ذيب اليا جاع
نوخ اليا جيت باب رشود	مع السلامه والاوداع
صبر على عجزنا والكود	وأمه تحضن بالاصباع
تسوى الكحيلة وجل الذود	تشرى بالاثمان ما تباع

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة جفيفاء.

وقال ابن رخيص من شمَّر:

يا غـزو لا صرتوا هزالا مناكـيـف   تـنـحـروا دار الـمـفـيـدي ذراهـا

٥- **الغزالة:**

تقع الغزالة جنوب مدينة حائل على بعد ٨٠كم على الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة، في الطرف الغربي من جبل رمّان، وشمال وادي (الثلبوت) المعروف الآن باسم وادي «الشعبة».

ومن الشعر العامي في هذا الوادي ما قاله أحد الشعراء يصف سحابة:

لو هي على سنجار ما ألقيت له بـال   مار الولي جابه عـلـى شـف بـالـي
يذكر سميك يالبكـيـري مـنـه سـال   والشعبة الـعـلـيـا وطـاه الـخـيـال
عساه يضرب به من الجال لـلـجـال   ويأخذ على وادي سميـراء لـيـالـي
جدرانهم من كثر الأهـمـال نـحـال   لا استرهقوا ينهض عزيـز الـجـلال

والبكيري من تميم وسميّه هو وادي البكر الواقع في جبل رمّان قبل المستجدة للمتجه جنوباً، وفي هذا الوادي أو الربع أنشئت قبل سنوات قرية تعرف باسم «ربع البكر» وفي هذا الربع قال صديان بن عيادة الشمري:

واديرتي اللي نتقـت مـن عـيـونـي   لا واحلـولا يـا شـخـالـيـل رمـان
ان جيت انا السمرة ارجاله حـدونـي   وان جيت ربع البكر جان ابن حمدان
صارت جزور والعرب يـنـهـبـونـي   ونهب منـه راع الـغـزالـة حـلـيـان

وفي الغزالة قال فوزان بن عبدالله العقيل العنزي:

ان ضاق صدري فضت مع ربع سرهيد   يطري عـلـيـه سـجـت لـلـغـزالـة
الديرة اللي كن شوفـه عـلـي عـيـد   ويرتاح بالـي يـوم انـاظـر رجـالـه

وأهل الغزالة من تميم أهل قفار جدهم حليان بن راضي وهو الذي أنشأ هذه البلدة، وعمرها، وتوارثتها ذريته من بعده إلى أن أصبحت بلدة كبيرة يقطنـهـا مجموعة من تميم وغيرهم.

ومن الأخبار المتعلقة بالغزالة أن أهل هذه البلدة تصدوا لحملة من أشرس

الحملات التركية التي غزت بلاد الجبلين. وذلك في زمن الإمام تركي بن عبدالله آل سعود.

وذكر ابن بشر أنّ حسين بك أبو طاهر غزا بلاد الجبل في عام ١٢٣٧هـ، وطالب بالزكاة منذ رحيل إبراهيم باشا في عام ١٢٣٤هـ، وأنه أثخن في أهل البادية، وأخذ إبلهم، وضرب عليهم ضربات بالأريل، ونزل الحصون ثم ذكر ابن بشر نزوله بلدة موقق(١).

ويروي الأخباريون من أهل حائل أن أهل الغزالة تصدوا للجيش الغازي وقتلوا أفراده، وزادوا على ذلك بأن قطعوا آذان القتلى، من كل قتيل أذن، وربطوها بحبل، وبعثوا بها للإمام تركي بالرياض كشاهد على عدد القتلى، وأن الإمام تركي بعث لهم بسلاح وذخيرة مكافأة لهم على ذلك، وأمر عامله على حائل ابن علي بتعزيز سور الغزالة.

وإلى هذه الحادثة أشار ضيغم بن ثويني بقوله:

أمس الضحى عديت في رجم منيف ... رجمٍ طويل ونايف كل ما شاف
طالعت ديرة متعبين المهاديف ... عوق الخصيم اليا تدالوه بخلاف
رسم الحمى بأطراف بلدانهم شيف ... رسمه رجاجيل ومن شافهم خاف
من العوشزية للخشوم الذواريف ... هاك الجماعة عايزين بالأوصاف
لا لذت مع حدة قليب الهيايف ... سلّم على اللي ذبحوا دولة أشراف

وسجلت الغزالة بذلك مفخرة من مفاخر البطولة، والدفاع عن الوطن، وأثبت أبناؤها أنهم كأسلافهم في قفار في الإباء والشمم، وعدم الاستكانة لقوى الغزو، أو الخضوع لجيوش الطمع.

والغزالة الآن محافظة من محافظات منطقة حائل يرتبط بها عدد كبير من المراكز، والقرى، والهجر في المنطقة، وبها عدد من الدوائر الحكومية، ومنشآت الخدمة العامة في أرض فسيحة، رحبة يتوقع لها أن تنمو، ويزداد عمرانها، ومبانيها.

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد، حوادث عام ١٢٣٧هـ.

٦- قصير غَضْور

وهذه البلدة تقع إلى الجنوب الشرقي من الغزالة على بعد حوالي ٣٠كم وأهلها من الحجيلان من الحمران من بني عمرو من تميم من أهل قفار.

وسبقت الإشارة إلى بعض الأخبار التاريخية، والوقائع الجاهلية المتعلقة بغضور، وماء غضور الذي كان يعرف باسم «الوشل» وبرقة غَضْور التي حدث بها يوم من أيام العرب، في الطرف الجنوبي الغربي من جبل رمّان.

قال ابن صقيه:

وأهل القصير مروية كـل عـطـشـان   عطشى السيوف اللي بكف المصاليت

ووادي غَضْور يتجه من جبل رمان جنوباً ماراً بالبلدة حتى يصب في الشعبة «الثلبوت».

٧- المهـاش

تقع بلدة المهاش بقرب الغزالة إلى الشمال الشرقي منها، وأهلها من تميم أهل الغزالة النازحين من قفار، قال ابن صقيه:

وأهل المهاش ان صيفت غر الامزان   أهل الجمايل كل ما جيت حـيـيـت

وفروع أهل الغزالة أبناء حليان بن راضي التميمي هم:

العبدالله، والزيدان، والمنديل، والسعيد، والعلي.

وكتب الباحث عبداللطيف الرباح التميمي عن أهل الغزالة في مجلة العرب، وأنهم من بني العنبر. واللافت للنظر أن صلة بني العنبر بالجبلين قديمة فقد ذكر ياقوت إنَّ أُبضة ماءة لبني العنبر. وكان مجير الطير؛ وهو عنبري ذا صلة ببـلاد الجبلين، وقد أسر حاتمـاً[1]، وكذا كان طريف بن تميم، زعيم بني العنـبـر، وصاحب وقعة زرود.

والنازحون من قفار إلى وسط نجد يذكرون أجدادهم العنبريين في أشعارهم كقول رميزان:

لنا مفـخـر بـالأصل عمرو ومـنـذر   لاقدموا عند الـفـخـار الـعـشـايـر

---

(١) قال الجاحظ وبقي حاتم في أسر مجير الطير زمناً، وذلك في كتابه البخلاء.

وقول ابن ماضي في أهل عُمان

متسلسل بالأصـل عـمـرو ومـنـذر   أصهار وأنـسـاب رفـاع الـرتـايـب

٨- المستجدة

تقع المستجدة جنوب جبل رمان، قال ابن صقيه إن مناظر قصورها تدل على قوة رجالها، فإذا رأيت قصورها المشيدة الرائعة المحكمة البناء من الطين تدرك أنها بلدة كانت على جانب من القوة وأن أهلها لا يشرع لهم حياض، وهم من الحمران من بني عمرو من تميم.

وقال إن أول من أسسها شعيب بن حمدان التميمي من أهل قفار، وشعيب هذا هو الذي اتفق مع صديان بن عيادة الشمري على حكم بلاد الجبلين بحيث تكون إمارة الحاضرة له وإمارة البادية لصديان وخططا للاستعانة بساق الذيب الوالي التركي بالمدينة المنورة لكن عبدالله بن رشيد أرسل أخاه عبيداً إلى ساق الذيب وقدم منه بقوة لتوطيد أركان إمارته الناشئة في حائل، وإفشال خطط مناوئيه، وفي هذه الحادثة وردت معارضات شعرية بين الطرفين، وسبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن خصومة آل رشيد مع أهل قفار برواية منديل الفهيد.

وكان عياد بن جزا من الأحامدة من حرب والهليمة من مزينة من حرب أيضاً يكثران من الإغارة على أطراف رمان فوقع عياد في المستجدة في إحدى غزواته الخاطفة فقتله أهلها فقالت ابنته ترثيه:

يا طير يا حايم على الـمـسـتـجـدة   عينت لي ريف الـمـرامـيـل عـيـاد

واطيري اللي كل مـا جـعـت اهـده   ارج العشا من مخلبه وان قضى الزاد

وفي عالية نجد مـاءة تُعرف بالمستجدة غير هذه، حدثت بها وقعة لـلإمـام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وقد ظنها بعض الباحثين هي المستجدة الواقعة في منطقة حائل ومن هؤلاء صاحب كتاب «رمَّان»، وكتابه من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

وكانت المستجدة من أغنى بلاد الجبلين - في وقت مضى - بالمنتوجات

الزراعية لوفرة المياه وجودة التربة، وكثر عدد سكانها من تميم ومن نزل بجوارهم حتى عدها «فالين الفنلندي» في المرتبة الثانية في عدد السكان بعد قفار، وقبل حائل وذلك في عام ١٨٤٥م[١].

أما موقعها فهو في أرض براح خارج الجبل، جبل رمان، وتقع بينه شمالاً وبين وادي الثلبوت «الشعبة» جنوباً، وفي عصر صدر الإسلام اصطلحت عبس وذبيان بعد الضغائن التي أورثتها حرب داحس والغبراء في الجاهلية، وهي أعظم الملاحم العربية، وأزاحت بني نصر الأسديين عن هذه الأرض وحلتها، وفي ذلك قال الحطيئة:

ألم تر أن ذبياناً وعبساً لباغي الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجربان ونحن حي بنو عم تجمعنا صلاحا
منعنا مدفع الثَلَبوت حتى تركنا راكزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذل وأن تباحا

وقد عُرف عن الحطيئة كثرة هجائه، لكن الناظر في أشعاره يلمح مدائح من غرر الشعر العربي وقف جانباً مهماً منها على الثناء على آل شماس من بني سعد، وبني رياح من حنظلة، وكلا الفرعين من تميم، وهي قصائد في الذروة من البيان، وقوة السبك، وإحكام المعنى، ومن ذلك قوله:

عراض الخدود، كرام الجدود يمدون للمجد باعا طويلا

وأهل المستجدة من الكرماء الذين ذكرهم الشعراء، وأكثروا من مديحهم، وفي كتاب ابن صقيه «بنو تميم في بلاد الجبلين» شيء من هذا[٢].

٩- الروضة

تعد الروضة من أشهر المدن المتفرعة من قفار، خرج أهلها إليها بعد نزاع

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب.

(٢) قال ابن صقيه:

وتركي إذا حمي الوطيس الربيعان أبو اليتامى شايع الصيت والبيت

يقصد تركي بن ربيعان أمير المستجدة.



نوافير مياه في مدينة الروضة

بينهم وبين أبناء عمومتهم على محلتهم المعروفة باسم «الغفيلية» في قفار.

وفي نزاعهم على هذه المحلة التي تتوسط البلد قال قائلهم حسب رواية فهد بن عبدالعزيز الخوير - يرحمه الله:

بنت الصويرية عوى دونه الذيب   لا واحلولا يا منايح بناتي
حطيت من دونه عقاد ولهابيب   وصكيت دونه يا عطيب الهواتي

وفي وسط جبل رمان شرق موضع الروضة الحالي، حفر النازحون إليها من العميرات من تميم أول بئر، وبنوا أول قصر سموه «وديد» وقال شاعرهم يطري هذا القصر:

وديد رسينا بركونه   متوضح بخشم الحصان
يا أهل النضا لا تسفهونه   مروا على قصر البيان

ثم كثر السكان في الروضة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري من آل عميرات ومن جاورهم، ونقل ابن صقيه أن أول من نزل الروضة منهم هو سليمان بن حمود الراشد آل عمير التميمي.

وتقع الروضة فيما يعرف برمان الأسمر وفي ذلك قال صديان بن عيادة الشمري:

من فعلهم زادت عليه غبوني   حدون عن رمان الأسمر على الشان

واشترى حمود السليمان التميمي الروضة وحدودها حسب الوثائق الموجودة من الوادي المعترض شرقاً (وادي الحفن) إلى القاع المعترض وهو القاع الواقع في أعلى الروضة والذي يفضي إليه (ريع) اللّقم، ويحدها جنوباً وادي (الخضر) أحد روافد (وادي الحفن)، وشمالا جبل سابل و(ريع المنصل)، وهو أحد روافد وادي الحسا المسمى الآن (وادي الطرف) اشترى حمود السليمان هذا المكان وانتقل إليه من قفار[1].

وفي سابل الوارد ذكره هنا وردت أبيات من الشعر العامي في الغزل على طرق الهجيني لعايد بن فرج بن خربوش الشمري يقول فيها:

الراس من سابلٍ شابي   يشيب الراس برقيه

---

(١) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٣٥. السويداء، رمّان ص٣٨.

شلال الخيمة بمدينة الروضة

يـا فـريـح وخــاطــري طــابــي مـقـنـاصـنـا كــب تــالــيــه[1]
دعــان وضــاح الأنــيــابــي عــيــن اشـقـر لــه بــعــلــيــه
غــرو زهــى زيــن الاســلابــي عــلـيـه قـلـبـي وقـع طـيـه

وسار عايد من سابل للصيد في جبل أجأ، وفي (حيّه) الموضع المعروف، نهشته حية وكانت نهايته يرحمه الله، قال فهد الخوير: وقدم رفيق لعايد بمتاعه، وبندقيته وسلمها لي في قفار.

وكانت وفاة عايد في حياة أبيه الشاعر المعروف فرج بن خربوش الأسلمي الشمري «شاعر سلمى» ومما رُثي به عايد قول إحدى الشواعر:

يا صيد لا تجفل ترى عـايـد مـات عْيون سلمى كلـهـن لـك سـبـيـل

ومن أخباره أنه أصاب عنزاً من الظباء في عين ماء بجبل فتك شمال بلـدة «السبعان» فنهضت العنز وهي مصابة ومعها ولدها تريد جبل (نوف) شرق مدينة حائل و (نوفٍ) لا ماء بها فقال عايد:

يا (عنز) نوف ما ذكر به لـنـا عـيـن ولدك بحام القيـظ لا تـذبـحـيـنـه

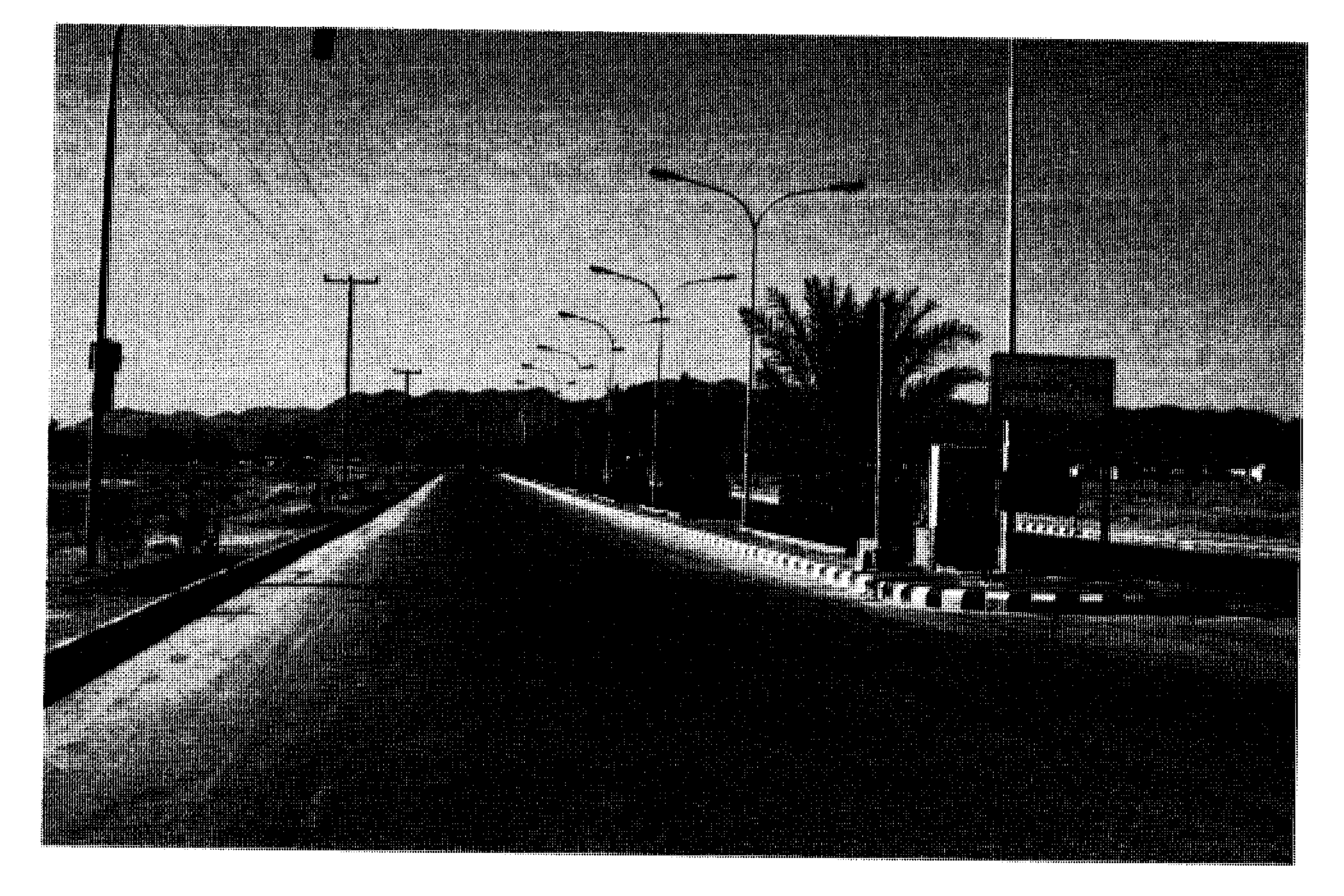
ومن أشعار فرج بن خربوش:

يا فريح أبوك الجزل حنـا فـقـدنـاه يتمى عـلـيـنـا كـلـنـا فـاقـديـنـه
والصعل جدك مـا تـسـدد هـوايـاه حلحيل ذربين اللـحـى هـايـبـيـنـه
كسار قدحان الـكـسـل والـمـداراه يوم أن نطلان العرب حـاضـبـيـنـه
كم واحـدٍ يسحب مثل جرة الـشـاه لعيـون غـيـدٍ بالسري مكـرمـيـنـه
غيـدٍ حموهن بالـبـروج الـمـبـنـاه من دور (عفنان) ماهم مرخصـيـنـه

وإلى الشمال من مدينة الروضة تقع (الضربة) غير بعيدة عنها على الطريـق المتجه منها إلى حائل، بينها وبين بلدة السبعان، وورد ذكر (الضربة) في شعـر علي بن مزيد المفيد أمير بلدة السبعان حيث يقول[2]:

يـا راكـب مـن فـوق حـرٍ عـبـورا يطوي مسير الـعـشـر يـومٍ بزفـزاف

(١) هو: فريح بن صالح بن دوّاس بن عفنان التميمي.
(٢) وروي أنَّ هذه القصيدة لأخيه بدر بن مزيد التميمي أرسلها لحسين التميمي بالروضة.



جبل رمّان وأحد شوارع مدينة الروضة

طريقه (الضـربـة) تـرى بـه حـدورا		والو الرسن يا ديب كان انت مختاف
واليا انحدر مـع خـبـة بـه عـثـورا		ارخ الرسن لا يودع الكـور سـعـاف
لا جيت حسيـن رم عـنـه الـوثـورا		وينشدك عن كل ما صار بـالـحـاف
بـنَّـو بـيـوت كـنـهـن الـحـيـورا		بطين سلمى قبـلـه الـعـبـد نـيـاف
من غيبته اليا ما جـانـا الـسـحـورا		والبرق يبرق والـرواعـيـد قـصـاف
تر مكرمين الضيـف يـوم الـدهـورا		اقفوا عن الدار الـمـعـفـاة عـيـاف
شرقه وراحو يـفـتـحـون الـقـبـورا		وغابت وزهدوا وانكفوا سبعة اسلاف

وقد أجابه حسين التميمي من أهل الروضة بقوله:

حي الجواب اللي على وسـق كـورا		عد الحجيج وعد ما طـايـف طـاف
تستـاهـلـون مـروكـات الـعـطـورا		عرب الجدود اللي للأنـذال عـيـاف
وتستاهلون مـحـنـيـات الـظـهـورا		حدب السيوف اللي للأرقاب نسـاف
صرتوا لغـراس الـمـبـاكـيـر سـورا		من البصرة الفيحا اليـا دار الأشـراف

وقد اشتهرت مدينة الروضة بغزارة المياه في القديم، ووفرة المنتـوجـات الزراعية، وما تزال مزارعها خضرة نضرة وإنتاجها جيداً، وقد شملها العمران المنظم الحديث، وعرفت الأسواق التجارية ومحلات البيع والشراء في مخططات سكنية أشرف على ترتيبها المجمع القروي الموجود بها وخدماته تمتد إلى عدد من المدن والقرى والهجر المحيطة بها.

وفي مدينة الروضة عدد من المدارس، ودور العلم والدوائر الحكوميـة، وكانت هذه المدينة منذ القدم موطناً للحلقات العلمية، وخرج من أبنائها أعداد كبيرة، مؤهلة ومثقفة من طلبة العلم في مجالات عديدة.

وفي عام ١٣٤٠هـ شهدت الروضة وقعة حربية من أشد الوقعـات الـتـي حدثت في المنطقة إبان توحيد المملكة العربية السعودية.

ومن شعراء الروضة أميرها الحالي عبدالمحسن بن حمود الهذيلي التميمي، وتقدم بعض من شعره، وستأتي له أبيات أخرى.

١٠- وسيطاء الحفن وسَمَيراء

وتقع وسيطاء الحفن إلى الجنوب الشرقي من «الروضة» وتكاد تلتحم بها الآن في الطرف الشرقي من جبل رمان، على ضفاف وادي الرحبة الذي يتجه جنوباً ويصب في وادي الثلبوت (الشعبة) وهو من أعظم روافده.

وكانت وسيطاء الحفن مجموعة من القرى المتناثرة في الوادي المذكور، ولها أسماء عدة مثل: الحفنة، والحفينة، والشعيب، والوسيطاء، ونقل الأستاذ عبدالرحمن السويداء أن هذه القرى مجتمعة هي «قفار الثانية» لكثرة من سكنها من أهالي قفار، وكثرة من نزح منها.

وتعد الوسيطاء الآن من أكبر مواطن الاستقرار، لا في منطقة رمّان فحسب، بل وفي منطقة حائل، والمياه متوفرة بها، وفي أعلى واديها سد كبير أنشأته وزارة الزراعة والمياه، وتجود في الوسيطاء زراعة النخيل وأشهرها «الحلوة».

واشتهر أهل الوسيطاء بالكرم الذي ذاع به صيتهم، وارتفع ذكرهم بين الناس، وخلد الشعراء مآثرهم في ملاحم شعرية رائعة حتى لقد قال بعض المهتمين بتدوين الشعر العامي ودراسته أن قول الشاعر الكبير خضير الصعيليك الشمري:

والله ما يرخص بصنعاء بضاعة　　　وابن لحيدانٍ على جاهد القاع

إن هذا البيت هو أمدح بيت قالته العرب في الشعر النبطي[1]، وابن لحيدان من هذه البلدة، وهو علم من أعلام الجبلين، كريم، مضياف، جواد، سخي، تبوأ مكانة مرموقة بين أبناء عصره وقصد الناس مضافته الشهيرة من كل حدب وصوب، في زمن كانت فيه الموارد تشح حتى ليكاد كثير من الناس يعجز عن إدراك قوت يومه.

والمدائح في ابن لحيدان سارت مسير المثل وهي أكثر من أن تحصر هنا على أن من أجودها أبيات لفرحان بن سعيد شيخ الدغيرات من شمر وهي:

---

(١) قال بذلك الأستاذ أحمد العريفي.

ياما تمنوك المعايير شايب   علات هتاش الخلا هو طبيبه
عليت يا نطاح كل النوايب   شايل نقيله واحد ما دري به

وقول الصعيليك:

والله ما يرخص بصنعاء بضاعة   وابن لحيدان على جاهد القاع
ما نفذت كفه من البن ساعة   يطبخ شهر للزوم بقّاص الأصباع
ليا من عيلات الأجاويد ضاعة   يفدع لو أن المجيدي على صاع

وإلى الشرق من الوسيطاء بقربها يوجد منهل «فرتاج» وهو مورد جاهلي شهير، قال بشير بن خليفة العنبري التميمي:

كأنما نظرت دوني بأعينها   عين الصريمة أو غزلان فرتاج
يكشرن للهو واللذات عن برد   تكشف البرق عن ذي لجة داج

ومن الشعر العامي ورد في فرتاج قول أحدهم:

مقطانها في واهج القيظ فرتاج   ما تشرب الا من قراح اللجاليج

ومن شعر الجاهلية قول أوس بن حجر التميمي:

لكن بـ (فرتاج) فالخلصاء   فلوى سراء فحنبل مسرور

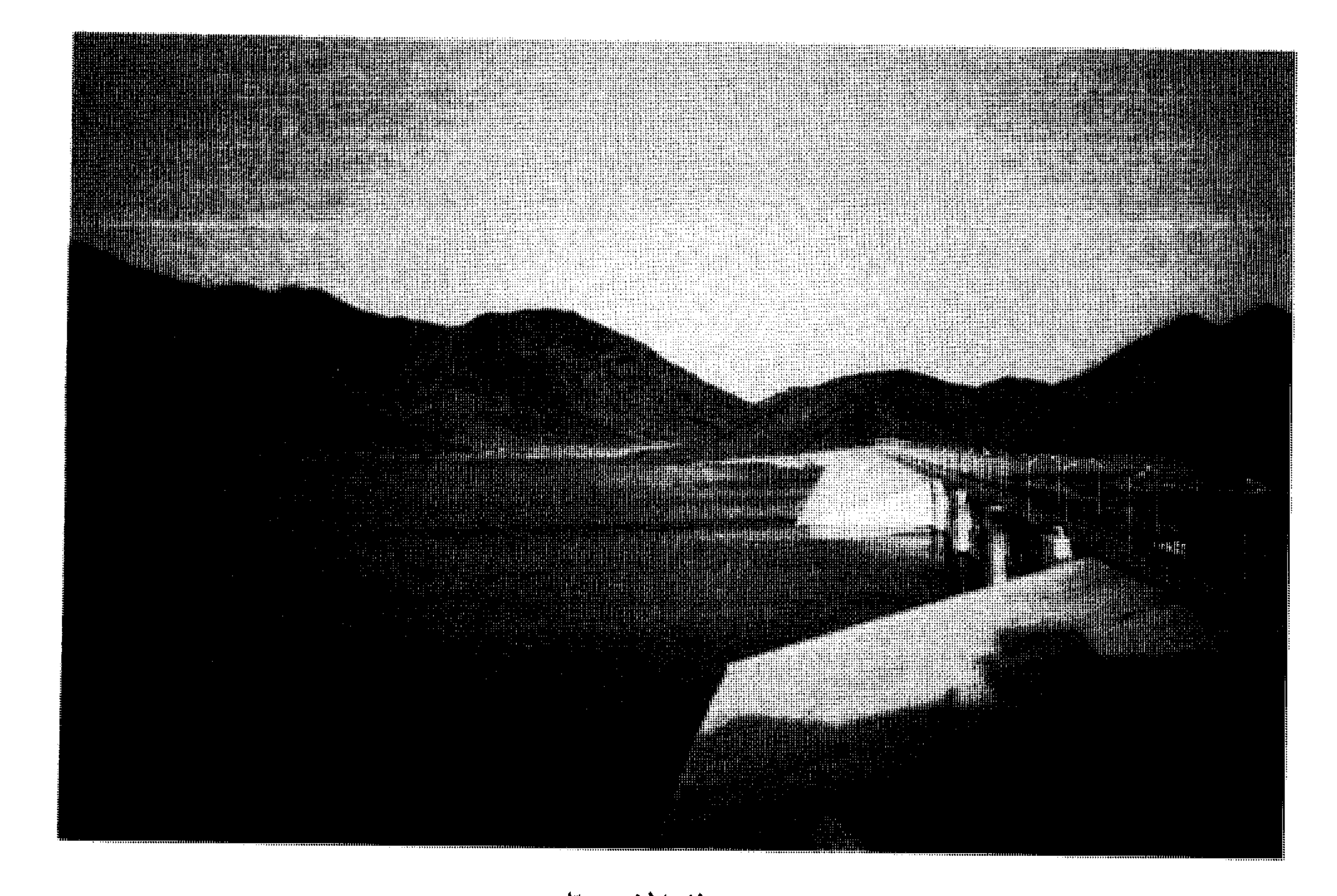
وأوس هو رأس المدرسة الأوسية المشهورة في الشعر العربي القديم، وقد تطورت هذه المدرسة في شعر تلميذي أوس النابغة وزهير ثمَّ كعب والحطيئة، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ثم عند كُثّير وجميل في عصر بني أمية و إلى مسلم بن الوليد في العصر العباسي، وهي مدرسة الفن البياني الخالص التي تعتمد على الخيال المتصل بالحس المادي[1].

وأول من تنبّه لهذه المدرسة وقدم عنها بحثاً وافياً من المعاصرين الدكتور طه حسين ثم الدكتور شوقي ضيف و الدكتور يوسف خليف والدكتور الجادر، وسماها الدكتور المعيني مدرسة الصنعة التميمية وارتفع بها إلى علقمة الفحل التميمي وهو متقدم في الزمن على عصر أوس[2].

---

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي.

(٢) المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي.



سد وسيطاء الحفن برمّان

وزهير ربيب لأوس وراوية له فقد كان أوس زوجا لأمه، وزهير مزني يقيم مع أخواله في الحاجر (أرض البعائث) في جنوب شرق حائل، وأخـوالـه مـن غطفان، و النابغة ذبياني غطفاني وأوس تميمي، وتميم و غطفان ومزينة من مضر العدنانية.

وإذا كان عرف عن الدكتور طه حسين إنكاره لشعر الجاهلية، وأنه عـنـده مصنوع موضوع فالذي يلاحظ هو أن المدرسة الأوسيه أو مدرسة الصنعة التميمية كانت محل اهتمام الدكتور بحثاً ومناقشة واستنتاجاً إلى أن بين ملامحها منذ لدن أوس ومراحل تطورها من خلال شعر تلاميذه، فطه حسين إذن قد أبقى على شعر شعراء مضر العدنانية وتبناه، وأنكر في كتابه الأدب الجاهلي جميع ما ينـسـب لقبائل اليمن القحطانية، وكثيراً مما ينسب إلى ربيعة العدنانية من الشعر.

ومن الأخوانيات الشعرية قصيدتان الأولى للشاعر الراوية المشهور سعـود ابن جلعود أرسلها من سميراء الواقعة إلى الجنوب الشرقي من وسيطاء الحفن، ويفصل بينهما جبل «ذرف» أرسلها إلى الشاعر بشـيّر بن نصار التميمي، يقـول سعود:

راكــبٍ فــوق حــرٍ زاهـي دلــه   ولد شقران مـنـجـوبٍ ويهـقـى بـه
سر وتلفـى بـشـيـر هـو وربـع لـه   ريف من هو يحث الهجن بعـقـابـه
كيف رجله عسى ماهي بـمـنـشـلـه   جعـل هـرشٍ تسبب له لـقـصـابـه
ليت كسره برجل اللي نـوى الـذلـه   يوم سمع الـمـوازر صـابـه رعـابـه
هالـنـي واحـد يـمـدح رفـيـق لـه   بالمجالس وبـدع الـقـيـل مـاثـابـه

ولما وصلت القصيدة إلى بشير بن نصار وهو في المستجدة رد عـلـيـهـا بقصيدة منها:

صرت مع لابـةٍ تتلي دخـيـل الـلـه   وكسر رجلي برى لاجاك مـاصـابـه
لا نتخو بـ (الحمر) مع زينة السـلـه   كـل قـرمٍ عـديـم زان مـضـرابـه
ولا تلوم الـذي يـمـدح رفـيـق لـه   كل من لـه مـحـبٍ يمدح أحبـابـه
وانشد (الضّيط) مع مزحم و عبد الله   يوم كون الغـنـم كـل تـحـكّى بـه

وقد استقر آل نصار في سميراء وهم من آل حمران، من أهل قفـار، ثـم المستجدة، وأهل سميراء هم الشبارمة، وآل صقيه من الوهبة من تميم، والجلاعيد من الدهامشة من عنزة، وتمـيَّز أهل سميراء بالرواية وحفظ الأشعار والحسـاب الفلكي، وينقل الرواة منهم أخبارا شعبية هي خليط من حوادث حرب البسوس الجاهلية، وأخبار الهلاليين في الإسلام ويروون أنها حدثت في سميراء، وواردات الواقعة بقربها، وهذا هو الشائع عند أهل الجبلين، مع أن حرب البسـوس قـد دارت رحاها في عالية نجد[1] في سميراء وواردات والأحص وشبيث والذئائب، وهذه المواضع بعيدة عن سميراء التي نتحدث عنها، وحوادث البسوس مضبوطة في المصنفات القديمة التاريخية، والبلدانية، والأدبية، وأعلامها من الفـرسـان والزعماء معروفون، وشعرها فصيح بل هو في الذروة والسنام من الشعر القديم، وقد انتقلت حربها إلى شرق الجزيرة في أواخر أيامها ولم تطأ أقدام المقاتلين فيها أرض سميراء.

كما أن بني هلال الذين تنسب إليهم الأساطير من أهل عالية نجد، وهم فرع من بني عامر من هوازن، ووقائعهم تندرج في أيام بني عامر جاهلية وإسلاما إلى أن رحلوا من نجد إلى بلد المغرب العربي، على أن الأساطير الشعبية توسعت في ذكر حروبهم ومواطن تجوالهم حتى شملت الجزيرة العربية كلها لا سميراء وحدها، والعوام ينسبون كثيرا مما يجهلون أصله من الأخبار إلى بني هلال كما ينـسـب العرب القدامى الأخبار المجهولة إلى عاد.

---

(١) نشبت هذه الحرب وهي من ملاحم العرب بين ابني وائل: بكر وتغلب، بعد أن قتل جسـاس كليب وائل بقرب جبل «النير»، وجساس هو: ابن مرة من بني شيبان من بكر، وأمه الهائلة بنت منقذ من بني سعد من تميم أخت البسوس، ومن مشاهير هذه الحرب همام بن مرة أخو جساس وأخواله من بني أسد، ومن الأساطير الشعبية قصة الزير سالم، والمقصود به المهلـهـل أخـو كليب.

وليس من أخبار بني هلال في سميراء وقعتهم مع بني تميم في «الوتدات» حيث قتلت تميم ثمانين هلالـيـاً عامريـاً في يوم يعد من أيام الجاهليـة[1]، إذ الوتدات التي حدثت فيها تلك الوقعة ليست هي الواقعة في جنوب سميراء وترى منها رأي العين، فالوتدات تلك تقع في الدهناء، في بلاد حنظلة، كما في كتاب أيام العرب لأبي عبيدة وكما هو مبين في المعجم الجغرافي لشمال المملكة[2].

على أن سميراء حافلة بأخبار التاريخ العربي القديم فهي مركز مهم في بلاد بني أسد قديماً، ومسرح للوقائع التميمية الأسدية الجاهلية، وشهدت أرضـهـا بعض وقائع داحس والغبراء بين عبس وذبيان، بل إن بداية هذه الحرب كانت في سميراء حيث بدأ سباق الخيل في واردات، وسقط أول قتيل في الحاجـر إلـى الجنوب الغربي من سميــراء، وعُقد الصلح بعد جولات من الصراع في أنحـاء متعددة من جزيرة العرب، بين القبيلين المتحاربين في سميراء، وورد في أخبار تلك الحرب ذكر التين، وقطن، والحاجر، وذي حسي، والـرّقم وكلها مواضع قريبة من سميراء ليست عنها ببعيدة.

والأسديون أهل اللغـة[3]، والعرافة، والكهانة كانوا سببـاً في القضاء على كندة في قلب الجزيرة وكسر شوكتها وذلك بقتلهم حُجر والد امرىء القيس في يوم «مأقط» وبرز منهم من أعلام الجاهلية: ربيعة بن حدار، عراف نجد، وكاهنها،

---

(١) قال أبو عبيدة: يوم الوتدات لبني نهشل - من تميم - على بني هلال وناس من بني عامر، وكان معهم طفيل الخيل الغنوي فاستجار بعصمة بن سنان المنقري التميمي فأجاره، ووقع ظبيان بن زياد الهلالي وهو زعيم بني هلال في يد الحارث بن شمس بن جندل التميمي فأطمعه بالفداء فرفض التميمي وقال: إن أخي الذي سبق أن قتله بنو هلال كان يرويني من (خائر المرق) فقتل ظبيان الهلالي فقالت نائحة بني هلال:

أبلـغ بنـي عامـر عنـي مغلغلـة ... ما لهـلال أراهـم لا يؤمونا

إن لم تبوء بهم قتلى بني حسب ... منكم بني نهشل دينا فسبونا

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة الوتدات.

(٣) بنو أسد من القبائل التي تؤخذ عنها اللغة مثل تميم، وهُذيل، ويقوم كاتب هذه السطور بإعداد بحث لغوي في هذا الموضوع.

الذي تنافر عنده القعقاع بن معبد «تيار الفرات» وخالد النهشلي من أعلام تميم، ومنهم عكاشة بن محصن الأسدي الصحابي الجليل الذي استشهد في جبل «سلمى» وطليحة الذي كان يُمني نفسه أن يكون ملكاً على الحليفين أسد وغطفان، وهو صاحب وقعة «بزاخة» في الردة وقد فرّ منها إلى الشام ثم أسلم واستشهد مجاهداً في «نهاوند».

ومن أشهر وقائع الأسديين في سميراء يوم خوّ[1] حيث غدر ذؤاب بن رُبيّعة الأسدي بصياد الفوارس، وفخر الأسديون بذلك طويلاً، قال مالك بن نويرة التميمي:

فخرت بنو أسد بمصرع واحد صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

قال أبو عبيدة:

أغارت بنو أسد على بني يربوع - من تميم - فاكتسحوا إبلهم فأتى الصريخ الحي، فلم يتلاحقوا إلا مساء بموضع يقال له «خوّ» وكان ذؤاب بن رُبيَّعة على فرس أنثى وكان عتيبة بن الحارث بن شهاب «صياد الفوارس» على حصان[2].

فجعل الحصان يستنشق ريح الأنثى في سواد الليل ويتبعها فلم يعلم عتيبة إلا وقد اقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة، وعتيبة غافل لا يبصر ما بين يديه في ظلمة الليل وكان عتيبة قد لبس درعه وغفل عن جربانها، حتى أتى الصريخ فلم يشده ورآه ذؤاب فأقبل بالرمح إلى ثغرة نحره فخر صريعاً قتيلاً.

ولحق الربيع بن عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، فكان عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل معلومة قاطعه عليها، وتواعدا سوق عكاظ في الأشهر الحرم على أن يأتي هذا بالإبل ويأتي هذا بالأسير، وأقبل أبو

---

(١) وقد يعرف بيوم ذؤاب، وخو هو (الخوة) الآن شرق سميراء. انظر حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة خو.

(٢) لصياد الفوارس أفراس معروفة منها: المكسر، والمدعاس، انظر ابن الأعرابي: أسماء الخيل، والتاجي: الحلبة، ولمزيد من أخبار صياد الفوارس الذي كان يهتك البيوت ويخلع القلوب على حد تعبير الدكتور المعيني انظر يوم كنهل، ويوم الغبيط، ويوم آراب (جراب) وانظر ترجمته في حسين حسن: أعلام تميم ص ٣٩٠.



بركة توز في صحراء

ذؤاب بالإبل وشغل الربيع بن عتيبة فلم يحضر سوق عكاظ، فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤاباً قد قتلوه بأبيهم عتيبة فرثاه، وقال:

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة ... ما إن احاول جعفر بن كلاب

ومنها:

ولقد علمت على التجلد والأسى ... أن الرزية كان يوم ذؤاب

أن يقتلوك فقد هتكت بيوتهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب[1]

بأحبهم فقداً على أعدائه ... وأشدهم فقداً على الأصحاب

وأورد أبو عبيدة من هذه القصيدة أحد عشر بيتاً وقال: فلما بلغ الشعر بني يربوع قتلوا ذؤاب بن ربيعة، قالت آمنة بنت عتيبة ترثي أباها:

على مثل ابن ميّة فانعياه ... تشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبي عتيبة سمهرياً ... فلا تلقاه يدخر النصيبا

ضروباً للكمي إذا اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعاً هيوبا

وقال محقق كتاب الأيام الدكتور البياتي[2] أن الأبيات تروى بوجه آخر، وأحال إلى البكري، وابن دريد، وياقوت، وصاحب التاج وأوردها كالتالي:

تروحنا من اللعباء عصراً ... فأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

على مثل ابن ميّة فانعياه ... تشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبي عتيبة شمرياً ... ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروباً باليدين إذا اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا

وقال: الإلهة هي: الشمس سمَّاها العرب بذلك لأن بعضهم كانوا يعبدونها[3]، وقال في موضع آخر: وأطلقوا على الشمس اسم «الإلهة» لأن قوماً منهم كانوا يعبدونها، وجاءت بهذا الاسم في يوم من أيام العرب يقال له: «يوم ذؤاب» قالت

---

(١) وفي رواية ثللت عروشهم.

(٢) وأحال الدكتور البياتي إلى العقد الفريد، ونهاية الأرب، وحماسة أبي تمام والأمالي، ووردت أبيات أبي ذؤاب عند البحتري في سلاسل الذهب.

(٣) أبو عبيدة: الأيام ص ٤٨٦.

آمنة بنت عتيبة ترثي أباها، وأورد الأبيات ثم قال: وكان للشمس صنم باسمها لذلك انتسبت الأسماء إليها.

وعبادة الشمس قديمة أيضاً عند الساميين، وليست مسلة «حمورابي» ببعيدة عن أذهاننا وفيها يتسلم هذا العاهل قوانينه الإلهية من يد الإله «الشمس».

واستدل الباحثون على أن الإله (بعل) الذي عرف ببطن الجزيرة في الواحات ومساقط الأمطار التي كان يؤمها البدو انتجاعاً للماء والكلأ وإيفاء بنذر، كانت له بالشمس علاقة، فهو الروح، والشمس جسد والآلهة عندهم روح وجسد كالإنسان، و «بعل» هذا إله بابلي كبير.

وعند ملاحظة الأبيات المتقدمة، ترتسم لأعيننا صورة حزينة لغروب الحياة، فكل شيء في نظر الشاعرة هنا، يلم أشياءه ويجنح إلى الغروب حتى الإلهة ما دام رمز حياتها وبقائها وهو أبوها قد غادرها إلى الأبد[١].

وابن ميّه هو صياد الفوارس، وكان مالك بن نويرة يسميه «عتّاب بن مية» في قصائده، وكان عمرو بن معدي كرب يقول: إنه لا يخشى أحداً من مضر ما لم يلقه حراها أو هجيناها، والحران صياد الفوارس وعامر بن الطفيل، والهجينان: عنترة، والسليك بن السلكة التميمي، وعمرو بن معدي كرب فارس اليمن دون مدافع[٢].

وتجتمع تميم بأسد في إلياس بن مضر، ويجمعهم هذا النسب بقريش وهذيل أهل الحجاز، قال أوس بن حجر:

لقد علم بنو أسد أننا ... لهم نصر ونعم النصر
نحل الديار وراء الديار ... ثم نجعجع بالجزر

ومنذ أمد لم يعد أهل الجبلين يذكرون الأسديين، وأشار إلى ذلك «فالين» وهو يتحدث عن تميم وهلال وطيء، وللشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري دراسة عن القبائل القديمة في الجبلين من المتوقع أن تلقى مزيداً من الضوء على

(١) البياتي: الملاحم العربية، ص٢٢٤، وهو ضمن كتاب الأيام.

(٢) مع أنَّ في مرويات اليمن مبالغات كثيرة وبخاصة شجاعة عمرو وكرم حاتم وغزوات التبابعة!

أخبار الأسديين الذين يرى بعض الباحثين أن بقيتهم لا بد أن تكون انصهرت في القبائل التي عرفت في منطقة حائل بعد القبائل الأولى.

١١- قصر العشراوات

قصر العشراوات من القرى المتفرعة عن قفار، وتقع جنوبها ليست بعيدة عنها لا يفصل بينهما سوى ٢٠ كم فقط، وتقع بينهما قرية تعرف باسم «الودي».

وأهل قصر العشراوات ممن نزحوا من قفار وأقاربهم فيها آل الخوير، وهم آل حمود ثلاثة بطون: آل قبال، وآل راشد، وآل مفيد.

والقصر في وهدة من الأرض في سفح جبل أجأ الشرقي على الطريق الرئيس المنطلق من حائل إلى المدينة المنورة قال ابن صقيه:

والقصر يسقي جوبته وبل هتان   للي بحيه ساكن ما تناسيت

ونقل الأستاذ حمد الجاسر في المعجم: أن الرحالة «موزل» مرّ بالقصر ووصفه بقوله: أقمنا مخيمنا عند بساتين قرية القصر، وكان زعيم هذه القرية حسن المشيخ، وهي تضم ثلاثين بيتاً وكانت هناك دلائل قتال حديث تبدو في كل مكان[1].

وأحصى ابن صقيه أمراء القصر منذ انشائها فلم يرد ذكر لهذا الزعيم الذي قال «موزل» إن اسمه حسن المشيخ[2].

ويقال في سبب تسمية القصر بقصر العشراوات، أنه كان في عهد الأتراك تستوفى فيه رسوم ما يرد من البضائع إلى حائل بنسبة العشر، هكذا نقل الأستاذ حمد الجاسر، وقال الأستاذ عبدالرحمن السويداء في كتابه: رمّان «إنما سمي بهذا الاسم لأنه تجمع به عشور نخيل جبل أجأ البعلية[3].

ومن مشاهير أهل القصر بل من مشاهير الجبلين عقيل القبالي وهو صاحب عبدالله بن رشيد، مؤسس الإمارة الرشيدية في رحلته من حائل إلى العراق، وقد

---

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة القصر.

(٢) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٧٩.

(٣) السويداء: منطقة رمّان ص٢٥.



أطلال قفار تحاكي شموخ جبال أجأ

وصف رحلتهما شعراً شاعر شمر رشيد بن طوعان بقوله[1]:

ياللي تردون المراسيل لرشيد ... الله لا يبلى بيوم جرالي

أمس الضحى جتنا علوم التواكيد ... شيخ الجبل من نقرة السمر اشالي

ومنها:

ماني بحال الملقحة والكواديد ... لا راح عبدالله وراح القبالي

ما يقلط العبد الطغامة على السيد ... ولا ينقعد بالشمس عقب الظلالي

لا بد ما ينزل غنيمٍ على فيد ... ونشوف من ينحى العدا بالفعالي[2]

ومن شعر ابن صقية:

وعقيل مشهور القبالي بهيجان ... راع النبا الطيب عليه استدليت

وبيت القبالي من البيوتات المعدودة، ومضافته من المضافات الشهيرة، ومن المعارضات الشعرية الطريفة التي يتمجد أصحابها بالكرم، والشهامة قصيدتان الأولى لابن عبيكة الشمري ومطلعها:

لا ضاق صدري جبت وقدة جذامير ... وشبيت نار مثل نار الحرابة

والثانية للقبالي التميمي ومنها:

يوم التفت وشفت حمر الدواغير ... دلاّ شعر راسي يشيل العصابة

وفي دراسة «جاكلين بيرين» الموسومة باسم «اكتشاف جزيرة العرب» قالت هذه الباحثة عن منطقة حائل «إن سكان القرى يعتبرهم البدو متفوقين عليهم بالشجاعة واستخدام السلاح» وذلك في تعليقها على دراسة المستشرق الفنلندي فالين[3].

ومن المحاربين الأشداء من أهل قصر العشراوات عبدالرحمن القبالي وقد قتل في وقعة «النيصية» في عام ١٣٤٠هـ.

وقصر العشراوات الآن بلدة عامرة، وبها عدد من المدارس للبنين والبنات، وبعض الدوائر الحكومية، وأميرها عبدالمحسن بن صالح القبالي التميمي.

---

(١) الشرعبي: البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضرة.

(٢) المقصود غنيم الرّبضا، وهو من قبيلة عنزة.

(٣) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ص٢٧٩.

وتقع بلدة قصر العشراوات جنوب قفار - كما تقدم - وإلى الجنوب منها تقع (بُزاخة) على الطريق المتجه إلي محافظة الغزالة فالمدينة المنورة و(بُزاخة) أرض ذات آكام بها منهل قديم، عرفه العرب الجاهليون بهذا الاسم، ووقعة بُزاخة من أشهر أيام التاريخ العربي، وفيها قتل زيد الفوارس الضبي التميمي المحرّق الغساني، ملك الشام، وأخاه زياداً، واستنقذ قوماً من طيىء.

ويأتي يوم بُزاخة حلقة في سلسلة وقائع متتالية بين تميم والغساسنة ملوك الشام هي: كنهل، وإضم، والترويح، وفي يوم بُزاخة قال ربيعة بن مقروم التميمي مفتخراً:

طوال الرِّماح غداة الصباح ... ذوو نجدة يمنعون الحريما
فدى بـ «بُزاخة» أهلي لهم ... إذ ملأوا بالجموع الحزيما

وقال الفرزدق في فخريته اللامية التي مطلعها:

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

قال:

زيد الفوارس وابن زيد منهم ... وأبو قبيصة والرئيس الأول
ملكين يوم بُزاخة قتلوهما ... وكلاهما تاج عليه مكلل

وفي بُزاخة حدثت وقعة من وقعات حرب الرّدة انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على المرتدين الذين تألبوا على طليحة الأسدي من طيىء، وأسد، وغطفان، وفي تلك الوقعة قال القعقاع بن عمرو:(١)

ويوماً على ماء البُزاخة خالد ... أثار في هبوة الموت عثيرا

---

(١) هو القعقاع بن عمرو بن مالك من بني أسيّد من بني عمرو بن تميم، وفي تميم قعاقعة كثيرون أشهرهم القعقاع بن معبد، تيّار الفرات، ولكاتب هذه السطور بحث بعنوان: جبل رحرحان وتيّار الفرات القعقاع بن معبد، وبحث بعنوان: وقعة بُزاخة ودلالات أيام العرب، وذكر الواقدي وابن أعثم أن الزبرقان بن بدر التميمي كان على جناح جيش المسلمين في وقعة بزاخة.

الفصل الرابع

الحيـــاة العلميـــة والأدبيـــة
في قفار ومشاهير أمرائها

١ - العلماء والقضاة في قفار
(أ) آل الملاحـــــي
(ب) الشيخ عثمان بن منصور التميمي
(جـــ) آل يعقوب
٢ - الشعر والشعراء
(أ) الخويـــر التميمي
(ب) ابن ماضي والملحمة القفارية
(جـــ) ريحان مولى المفيد
(د) محمد بن عبدالله آل الشيخ مبارك التميمي
(هـــ) بُشـــير بن نصار التميمي
(و) حسن بن طليحان
(ز) مُزنة التميمية
(ح) الشيخ أحمد بن مشرّف التميمي
(ط) حُمير بن عبادة التميمي
(ي) جلعود بن لافي الهمزاني
(ك) الخشيـــم (ل) ابن صقيه راعي قفار
٣- مشاهير أمراء قفار

١- العلماء والقضاة في قفار

ظهر في قفار عدد من العلماء المشهورين، ووردت تراجم وأخبار هـؤلاء وآثارهم العلمية، ومصنفاتهم في العقيدة، والفقه، والأدب، والشعر في عدد من كتب المعنيين بالدراسات الشرعية، والأدبية مثل: كتاب زهر الخمائل في علماء حائل للهندي. وكتاب تراجم علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبداللـه بـن عبدالرحمن البسّام، وكتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي.

(أ) آل ملاحي

ومن أشهر علماء قفار الشيخ محمد الملاحي، قال الهندي: محمد الملاحي من أهل قفار، قرأ وتعلم على علماء حائل، وكان صالحاً ديناً ذا غيرة شديدة وله مواقف مشهورة، مات سنة ١٢٨٠هـ.

وترجم محمد القاضي لابنه عيسى الملاحي فقال: «هو العالم الجليل والفقيه الفرضي الشهير الشيخ عيسى بن محمد بن عبدالله بن بركة بن ليفان آل عيادة من تميم، ولد هذا العالم في بيت علم عام ١٢٨١هـ في قفار، وأهالي قفار تميزوا بالفقه، واهالي لبدة تميزوا بالتوحيد، ذكره الشيخ علي الهندي، وتوفي أبوه عام ١٢٨٠هـ وابنه عيسى حمل فكفله عمه، وكان أبوه وعمه عالمين جليلين فتربى تربية حسنة، وقرأ القرآن على مقريء في قفار، ثم حفظه عن ظهر قلب وشرع في طلب العلم بهمة، ونشاط، ومثابرة، فقرأ على أعيان علماء حائل وما حولها.

ومن أبرز مشائخه الشيخ يعقوب بن محمد بن سعد، وعبدالعزيز بن صالح المرشد وعبدالله الخلف. لازمهم في الأصول، والفروع، والحديث، ورجاله،

وعلوم العربية، ثم نزح إلى القصيم فقرأ على علماء عنيزة وبريدة، ومن أبرز من أخذ عنهم قاضي عنيزة عبدالعزيز بن محمد بن مانع، ومحمد بن عبدالله بن سليم وعبدالله بن مفدّى، وظل في القصيم ملازماً لعلمائها، ثم رحل إلى المريدسية قرب بريدة فسكنها للقراءة على عبدالله بن حسين أبا الخيل، ولازمه زمناً، وجلس للطلبة بها، وقام برحلات عديدة لطلب العلم، ونبغ في فنون عديدة.

وكان ذكياً بارعاً في الفقه، وأصوله، وفي الفرائض، وحسابها، وعلوم العربية كلها، ويقرض الشعر بمهارة. ومن أوعية الحفظ، سريع البديهة، حاضر الجواب، أكب على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وانتفع منهما، واشتهر بعلوم الحجة، والتف إلى حلقاته طلبة كثيرون، وكان حسن التعليم.

وقال القاضي أيضاً «ترجم له الهندي سطرين وقال: إن فيه تحاملاً على بعض العلماء، وأثنى عليه بسعة الإطلاع، وبأنه شديد على أهل المعاصي، وجعل وفاته عام ١٣٤٥هـ ولكن الصحيح كما أيده أيضاً ابنه الشيخ يوسف أن وفاته عام ١٣٥٢هـ، وكان مربوع القامة نحيفاً قليل الشعر، وحنطي اللون، وله رسائل، ونصائح كثيرة، وفتاوى كثيرة وعنده مكتبة فيها من نفائس المخطوطات الشيء الكثير، وخطه متوسط ولا يسأم من المطالعة، ويحب البحث في مسائل العلم.

وله مؤلفات منها شرحه لكتاب التوحيد مجلد ضخم، وفيه فوائد نفيسة كان قطعة منه عند الشيخ سليمان العمري، وجدته مع مخطوطاته في منزل ابنه، وعليه مآخذ فيه لم يسلم من علماء عصره، ومن ألف فقد استهدف، وله منسك ومختصر في علوم النحو وحواش من تقارير مشائخه، ومما يمر عليه أثناء مطالعته، نبهه صالح السالم البنيان على مآخذ في شرحه فلم يقتنع فجعل كل واحد منهما يتهجم على الآخر نظماً ونثراً ثم إن كلا منهما عضده جماعة، وطال النزاع بين مؤيديه من علماء قفار، وبين مؤيدي صالح السالم كابن سحمان، وحمود الشغدلي، وعبدالرحمن الملق، وانتهى هذا التشاجر بهادم اللذات ومفرق الجماعات بعد حزازات أورثت بينهما الضغائن.

وللشيخ عيسى نكت حسان فكانت مجالسه ممتعة، ومحادثاته شيقة، وكان نزوحه من حايل مخافة على نفسه من ابن رشيد فقد هدده، وكرر ذلك وتوعده

فما كان منه إلا أن ينجو بنفسه لأنه كان قوياً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وجلبت له هذه الجرأة المشكلات وكان عزيز النفس ذا عفة وصيانة، وآية في الزهد والورع والتقى، رشح مراراً للقضاء قبل الشبيكية وبعدها فرفض تورعاً منه، وتوالت عليه الأمراض، ووافاه أجله المحتوم في الشبيكية سنة ١٣٥٢هـ.

وله أبناء خمسة: عبدالعزيز وقد تُوفي في حياة أبيه بـ (الأرطاوية) عام ١٣٤٦هـ، ومحمد وكان من طلبة العلم، واشتهر بتعبير الرؤيا، وتوفي عام ١٣٦٢هـ، وإبراهيم وقد تُوفي عام ١٣٦٦هـ، وسلمان الذي ما زال موجوداً وهو تاجر عطورات بالرياض[1]، ويوسف وهو من خيرة علمائنا ويعمل موظفاً في الرياض وداعية خير ورشد وصلاح».

وأضاف الشيخ القاضي أن الشيخ عيسى الملاحي تم تعيينه قاضياً في «الشبيكية» من قبل الملك عبدالعزيز، واستمر قاضياً فيها ومرشداً، وإماماً، وخطيباً، في جامعها نحواً من عشرين سنة - كان فيها مثال العدالة، والنزاهة، محبوباً بينهم مستقيماً في دينه وخلقه، وكان له صوت حسن رخيم لا يود سامعه أن يسكت، ومن أبرز من تخرج عليه واشتهر بعلومه محمد العبدالله بن حسين من قضاة بريدة وعنيزة وسليمان المشعلي وعمر بن يعقوب، وعبدالله العودة السعوي[2].

وأشار الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري إلى أن ابن سحمان كان حكماً فيما شجر بين الملاحي وآل بنيان... ونقل عن القاضي في ترجمة صالح السالم البنيان وحصل خلاف بينه وبين الشيخ عيسى الملاحي من علماء «قفار» يتعلق بالعقيدة.. وصار الناس يخوضون في حديثهم، ورفع الأشرار لها رؤوسهم، فبعث الشيخ عيسى الملاحي بقصيدة تبلغ خمسين بيتاً فيها مسبة للشيخ صالح السالم تركنا ذكرها عمداً.

قال أبو عبدالرحمن: ولقد أُستفتى ابن سحمان في هذا النزاع فأفتى بقصيدته

(١) نبهنا الدكتور رشيد العمرو إلى أن اسمه سليمان وأنه توفي منذ سنوات رحمه الله.

(٢) القاضي: روضة الناظرين.

التي مطلعها:

ألا قل لأهل العلم من ساكن الجبل   وصفوة أهل الخير من ذلك المحل

وانتصر ابن سحمان لآل بنيان وأصحابه.

وكتب الشيخ حمود بن حسين الشغدلي كتابه «تنبيه المصنف الصاحي» ويوجد بعضه مخطوطاً بجامعة الملك سعود[1].

(ب) الشيخ عثمان بن منصور التميمي

ومن أشهر من تولى القضاء في قفار الشيخ عثمان بن منصور الناصري التميمي، قال القاضي: ولد هذا العالم في بيت علم وشرف ودين في الفرعة سنة ١٢١١هـ[2]، وتربى تربية حسنة وقرأ القرآن وحفظه وشرع في طلب العلم بهمة عالية، ونشاط، ومثابرة فقرأ على علماء سدير والوشم، وكان ذكياً نبيهاً واعياً وكان مشائخه يعجبون من فرط ذكائه، ونبله، وثقوب فهمه، لازمهم في الأصول، والفروع، وفي الحديث، والمصطلح، وعلوم العربية.. ثم رحل إلى الرياض وقرأ على علمائها، ثم سمت همته للتزود والاستفادة فرحل إلى العراق ولازم علماء بغداد الألوسيين وعلماء البصرة وذلك عام ١٢٣٣هـ وكان من أبرز مشائخه الألوسيين وهم حنابلة بغداد وداود بن جرجيس، وأجيز بسند متصل بالرواية، وغادر بغداد إلى الزبير فقرأ على علماء الحنابلة ثم رحل إلى الكويت ثم حج وجاور المسجد الحرام ودرس فيه، ولازم العلماء في المدينة المنورة حتى نبغ في فنون عديدة، وعلوم شتى.

باشر أعمال القضاء بحزم وكانت قضاياه مثاراً للإعجاب وكان مثالاً للعدالة، والنزاهة، وجلس للطلبة، ووفد الطلاب إليه من كل صوب للاستفادة، واشتهر وذاع صيته، وكان حسن التعليم، واسع الإطلاع.

عينه الإمام تركي بن عبدالله قاضياً في بلدة جلاجل ثم ضم إليه الإمام

(١) ابن عقيل: مسائل في تاريخ الجزيرة العربية، ص٧٢.

(٢) تقدم أن أهل الفرعة قدموا إليها من قفار، وهم من النواصر من تميم.

فيصل بن تركي أعمال سدير كلها، ثم نقل من سدير إلى قفار فمكث بها مدة فنقل منها إلى قضاء حائل في عام ١٢٥٦هـ.

قال الهندي: ان للشيخ عثمان بن منصور معرفة تامة بالأدب، والشعر، والفقه، والأصول، وغيرها، وله أحكام بأيدي أهل قفار.

قال القاضي: وأحبه أهالي حائل، وسدد في أقضيته، وظل يقضي بينهم أربع سنوات، وحدث بين أمير حايل طلال بن رشيد وبين الأهالي خلاف ورأى من الشيخ عثمان ميلاً إليهم فرأى أن في عزله إغاظة لهم فعزله عام ١٢٧٠هـ..
قال القاضي ومن تلاميذه عثمان بن بشر مؤلف(عنوان المجد في تاريخ نجد)، وقد أثنى عليه ثناءً حسناً(١). كما أثنى عليه تلميذه الخال عبدالعزيز بن محمد بن مانع قاضي عنيزة نقل ذلك ابن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف سابقاً ووصفه بسعة الإطلاع، ووفور العقل.

وكان من أوعية الحفظ ينقل الفوائد ويجمعها، وكان مرجعاً في التاريخ، ومعرفة الأنساب، وليس حاطب ليل بل هو من أمناء النقل وكانت مجالسه ممتعة، وأحاديثه شيقة لا يمل من مجلسه، وكان آية في حسن الخلق والسماحة، حلو الشمائل حليماً، ذا وقار، وكان خطه فائقاً في الحسن والضبط.

وقال القاضي: إن من المآخذ على الشيخ عثمان أن من مشائخه داود بن جرجيس وداود قد عُرف عنه بعض الانحراف في العقيدة، وقد دخل عليه بعض الشيء من هذا المعتقد السيء في شرح ألَّفه على كتاب التوحيد سماه (فتح الحميد).. وقد رد عليه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وآخرون كأحمد بن مشّرف الأحسائي، وحمد بن عتيق، ردوا عليه نثراً ونظماً وتحزّب علماء الحجاز فمن مؤيد لهذا، ومن مؤيد للآخر، وكذا علماء الأمصار.

توفي الشيخ عثمان في العاشر من شهر ربيع الأول من عام ١٢٨١هـ(٢).

(١) قال ابن بشر وهو يتحدث عن منصور بن يونس البهوتي: أخبرني شيخنا القاضي عثمان بن منصور الحنبلي الناصري، متع الله به. ابن بشر: عنوان المجد، ص٥٠.

(٢) القاضي: روضة الناظرين.

(جـ) آل يعقوب

وتولّى القضاء في حائل بعد الشيخ عثمان بن منصور تلميذه الشيخ محمد بن سعد وهو جد آل يعقوب من أهل قفار، وتنسب هذه الأسرة إلى يعقوب بن محمد بن سعد. قال القاضي عن الشيخ يعقوب: هو العالم الجليل، والفقيه المتبحر، الورع الزاهد، ولد في حائل عام ١٢٥٢هـ في بيت علم ودين وتقى، فنشأ نشأة حسنة ورباه والده العالم محمد بن سعد أحسن تربية وقرأ القرآن على مقريء في حائل وحفظه تجويداً ثم حفظه عن ظهر قلب.

قال الهندي: كانت لمحمد بن سعد (والد يعقوب) أحكام جيدة تدل على إطلاع واسع، وتنقيح للمسائل وفهم لها، وكان ورعاً زاهداً محباً للعلم وأهله، جمع كتباً كثيرة، قال الهندي: إنه رأى بعضها عند أبناء ابنه عمر، وأبناء ابنه يوسف، أمّا وفاته فكانت في عام ١٢٨٠هـ.

قرأ الشيخ يعقوب على العلامة عبدالله بن عبداللطيف، ولازمه في جلساته كلها في ولايته قضاء حائل، كما قرأ على غيره، ونبغ في فنون عديدة من أصول وفروع وحديث وعلوم عربية وتاريخ، وكان ثاقب الرأي، قوي الحفظ، سريع الفهم، ذكياً، قوي الذاكرة، واسع الاطلاع.

رشح للقضاء فامتنع مراراً تورعاً، وكان ذا مكانة مرموقة بين أهالي حائل سخياً يضرب به المثل في الكرم. وكان إماماً وخطيباً ومرشداً وواعظاً ومدرساً في جامع برزان، أشهر جوامع حائل. وتولى إمامة هذا المسجد من بعده أبناؤه وأحفاده، واستمرت إمامتهم به قرناً من الزمان، وكان آخر إمام فيه منهم هو عبدالله بن عمر بن يعقوب.

ومما يؤثر عن الشيخ يعقوب حبه للشعر وكان يتمثل بحكم أبي الطيب وأبي تمام وكثيراً ما كان ينشد:

شيئان يعجز ذو السياسة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان

أما النساء فميلهن مع الهوى ... وأخو الصبا يجري بغير عنان

وممن تتلمذ على يديه ابناه: عمر، ويوسف، وعيسى الملاحي، وحمود

الحسين الشغدلي، وخلف العبدالله الخلف، وكان الشيخ عبدالعزيز المـرشـد يستنيبه على القضاء وكانت وفاته في عام ١٣٢٠هـ ورُوي في سبب وفاته أن سماً وضع في فنجان قهوة للأمير طلال بن نايف الرشيد، فحلف الأمير بألا يشـرب قبل الشيخ يعقوب فشرب الشيخ فنجان الأمير وشرب الأمير فنجان الشيخ ففوجىء من في المجلس باضطراب الشيخ، ووفاته في الحال وكثر الهـرج، والـمـرج وتلفيق التهم، وصُلي عليه في جامع برزان.

وكان ابنه يوسف المولود في عام ١٢٨٨هـ على جانب كبير من الأخـلاق العالية، والصفات الحسنة، وكان جواداً سخياً قرأ على والده، وعلى قاضي حائل الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي، وقاضيها عبدالله بن سليمان بن بليهد وكـان مشغوفاً بالمطالعة، محباً للبحث والنقاش توفي عام ١٣٥٥هـ.

وممن قرأ على الشيخ يوسف بن يعقوب وعلى أخيه عمر الشيخ ناصر بن حمد الدرسوني المولود في عام ١٣٠٧هـ، وذكر القاضي أن ممن قرأ على علماء قفار الشيخ ناصر السعد الهويد المولود في بلدة الروضة برمّان قال القاضي إن هذا الشيخ قرأ على علماء لبدة علم الأصول، والحديث وكانوا يمتازون بعلم التوحيد والحديث، كما قرأ الحديث والفقه على علماء قفار، وكانوا يمتازون بعلم الفقه وأصوله والحديث[1].

قال الهندي: قرأ الشيخ عمر بن يعقوب القرآن على والده وأخذ العلم عن علماء زمنه فاجتهد وحصل، وتولى خطبة الجمعة والعيدين قرابة خمسين سنة، وكان جهوري الصوت حسنه جـداً محباً للعلم وأهله كثير الصمت إلا عن ذكـر الله، وكان لديه مكتبة قيمة تولاها بعد والده وجده يحب المطالعة والقراءة ولد في عام ١٢٨٦هـ وتوفي عام ١٣٦٦هـ عن تسع وسبعين سنة، وبيته بيت علـم ودين، فأبوه وجده من خيرة العلماء، وله مكانة اجتماعية وعلمية، وله مجالس للوعظ والتدريس.

(١) القاضي: روضة الناظرين.

أما قاضي حائل عبدالله بن مسلم التميمي المتقدم ذكره فهو من مواليد الحلوة في حوطة بني تميم، وهو من المزاريع الذين انتقل جدهم مزروع من قفار إلى سدير في مطلع القرن السابع الهجري. قال الهندي: كان ابن مسلم آية في فقه الحنابلة، مع تحصيل في سائر العلوم، تولى القضاء في حائل سبع سنوات إلى عام ١٣٣٦هـ، ثم تولى القضاء فيما بين عامي ١٣٣٧هـ و ١٣٣٨هـ. وتوفي عام ١٣٤١هـ[1].

ومن العلماء الذين عُرفت بهم قفار الشيخ الحميدي بن عبدالعزيز الرديعان، وهو من أهل الروضة بحائل، ولد في عام ١٢٨٠هـ وتولّى خطابة الجمعة في قفار، قال الهندي: كان ديناً، فاضلاً، مرشداً، وداعياً إلى الله، له صوت ضخم جهوري، وكان ذا عقل وافر، ورأي حسن، تعلوه هيبة، ووقار، مات سنة ١٣٧٠هـ عن تسعين سنة.

ومنهم أيضاً الشيخ سليمان بن عيادة التميمي وهو من أهل قفار، وقد تولى التدريس وإمامة الجمعة في عدد من قرى منطقة حائل.

٢- الشعر والشعراء في قفار

(أ) الخويـــر التميمي

لقفار شهرة كبيرة في الشعر النبطي، وقد سارت قصيدة الخوير في القهوة مسير المثل، وقيل: إن أحداً لم ينظم مثلها في موضوعها، واستثنى البعض قصيدة محمد العبد الله القاضي التميمي الشاعر المشهور التي تكاد توازيها.

وبلغ من شهرة قصيدة القهوة للخوير أن طبّق صيتها أرجاء الجزيرة العربية، بادية وحاضرة، وتناقلها الرواة في بوادي الشام والعراق. ولا تكاد تخلو مجالس الشعر في تلك البوادي في ليالي السمر من ترديد مقاطع منها، أو عزف بعض أبياتها على الربابة.

---

(١) الهندي: زهر الخمائل.

وتحدث الدكتور سعد الصويان عن مظاهر الكرم في منطقة حائل وقال: أن عنصر الكرم من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في منطقة الجبلين وقد كيفوا حياتهم على ذلك، فنجد مثلاً أن القهوة دائماً جاهزة والنار لاتطفأ أبداً، وقد سمعت أن هناك من الأخيار من لم تنطفىء ناره منذ مائتي سنة، وإذا ما حدث أن توقفنا لنسأل عن الطريق أو عن شخص ما، فإن المسئول حتى وإن كان طفلاً صغيراً أو أمرأة يبادرنا بقوله «تفضلوا، اقلطوا القهوة زاهبة والله ما تسيرون إلاّ أنتم آخذين فنجال».

وفي بعض القرى والهجر تجد أن مجالس الرجال «القهاوي» بدون أبواب، وقد ذكر ذلك زيد الخوير التميمي من أهالي قفار في قصيدة له، حيث يقول: إن ناره لا تخبو، وبابه مفتوح (مبرهج) بحيث لا يضطر الزائر إلى طرقه بعقب سيفه، حيث كانوا قديماً يحملون السيوف:

دلال ما عنهن سنا النار طافي	بوجار من لادونهن بابهن جيف
مبرهجٍ تسفى عليه السوافي	من خلقته ماطق في ركزة السيف[1]

وتحدث الدكتور الصويان عن رحلته في الشمال وقال: إن الصورة التي تظل عالقة في الذهن، والانطباع الذي يبقى بعد أن يزول النصب، وأنس التعب هو الكرم الذي يتميز به أهل الشمال عموماً، وأهل الجبلين خصوصاً، لا شيء أعز عند ابن الشمال وأحب لنفسه من إكرام الضيف، وتوفير الراحة له فهم لا يزالون ينحرون الإبل لضيوفهم بالإضافة إلى الأغنام ويدفقون السمن عمداً على الطعام مبالغة في إكرام الضيف وتجد أمام بيوتهم جفاناً كالجوابي ودسائع ضخمة يعدونها للولائم.

ومظاهر الكرم عند أهل الجبلين لا تنحصر في نحر الذبائح وتقديم الطعام، فالشيء الذي يهز النفس، ويمس الشعور هو طقوس الضيافة، ومراسيم الاستقبال. فما أن يرى صاحب المنزل ضيفه قادماً حتى يحث الخطى لاستقباله بوجه مشرق وأسارير متطلعة، وابتسامة عريضة، وتنهال من شفتيه كلمات الترحيب التي

---

(١) مبرهج: مفتوح دائماً هكذا ورد عند العامة، وفي الفصحى بهرج الشيء أباحه، ومكان مبهرج غير حمي، فيدخله من يشاء، انظر المعجم الوسيط.

أعدت خصيصاً لهذه المناسبة، ثم يجلس صاحب المنزل ضيفه في مجلس وثير بحيث يتكيء على يده اليسرى حتى تكون اليمنى حرة لتناول القهوة والطعام ومصافحة القادمين.

ويبادر المضيف بتقديم التمر والسمن إلى ضيفه. وأثناء ذلك يكون أحد أولاده قد حرث الوجار وأشعل النار مستعملاً المنفاخ لتأجيجها، وقام بغلي الماء وحمس البن بالمحماسة وسحنه بالهاون بإيقاعات جميلة قل من يتقنها في هذا الوقت. ويعتنون بعمل القهوة عناية فائقة، فبالإضافة إلى الهيل يطعمونها بقليل من الزعفران والقرنفل، وحتى طريقة سكب القهوة فن خاص لا يجيده إلا من تمرس فيه[1].

وهذا الذي يشير إليه الدكتور الصويان من العناية بإعداد القهوة ومن أنّ لسكبها فناً خاصاً نجده يتمثل أصدق التمثيل في قصيدة القهوة للخوير الذي يقول بعد أن يشير إلى شاعريته، وتمكنه من نظم القوافي وبعد أن يتباهى بكرمه وأنّ بابه مفتوح أبداً وناره لا تخبو عن (دلاله) يقول: إنّ قهوته صافية، وإن من يقوم بإعدادها مؤهل ذو كفاءة لهذا العمل بدءاً من وضع الدلة الشامية على الجمر، وإلى حرصه على تقليب حبات البن التي هي (الكيف) عنده إلى أن تصفر وتحمر وكأنها الذهب، ثم طريقة سكبها من دلة أخرى خلاف الأولى حتى تكون صافية تماماً لا تنتقد، حتى مرحلة تذوقها التي هي فن آخر يعرفه المؤهلون لشربها من أبطال الرجال، وممن هم في القمة من المروءة، والكرم، يشترون القهوة ولو غلا الثمن، لا يرجون وراء اقتنائها مكسباً أو تجارة خاصة ويجلبون ما يلزم لها من «الهيل» الذي يجلب من الهند في مركب شراعي.

يقول الخوير وهو من بني عمرو من تميم في قصيدة القهوة:

قال الذي يبدع على كل قافي   من ضامره ياتن اريام مواليف
بمنومسٍ لقم على بكر صافي   عليه من شغل ابن سكران توليف
خلّه إلى ما تونس النذل غافي   وقرب ادلالٍ مثل بط مهاديف

(١) سعد الصويان: جمع المأثورات الشعبية.

ادلال ما عنهن سنا النار طافي | بوجار من لا دونهن بابهن جيف
امبرهجٍ تسفا عليه السوافي | من خلقته ما طق في ركزة السيف
واحمس ولقم بالعجل يالسنافي | بشاميةٍ طرف لها الجمر تطريف
حماسها قرم من الغوش شافي | دايم يقلبها حريص على الكيف
وزله وصفه عن سريب المصافي | من خوفة أحد قال بالكيف يا حيف
كنه إلى منه غشاه الرعافي | نثر الذهب من فوق لوح المشانيف
وابهارها من يمة الهند لافي | في مركبٍ يقداه زجر العواصيف
فنجالها لاشف بين الاشافي | لكن يجذب من شفا شاربه شيف
وان كان تزمل من طيور هوافي | بيض فسد أفواهها باشقر الليف
صبه لمن يثني خلاف المقافي | يوم الفرنجي يقذف الملح تقذيف
اللي إذا غليت شراها جزافي | ماراطله عند الدلاليل بنصيف
ونفل بها اللي بالمروات وافي | ما دور التجرات به والمصاريف
ياسامع مني اعلوم تشافي | خذها من اللي نافل كل عريف
دنياك لو ضحكت تراها بخافي | تبرم دواليب الشقا والتكاليف
إنهب امنه من قبل ما العمر يافي | صيور ما تقفي اركابك مواجيف
صيور عمرك ناهج للذلافي | سمر الليالي تكمله بالتتاليف
اليا حصل عزٍ مع الكيف كافي | ماني على الدنيا كثير التحاسيف

وزيد الخوير من السراة الممدحين، وهو من رموز الكرم في بلاد الجبلين، قال جلعود بن لافي الشمري في قصيدة يعدد بها مشاهير أهل المضافات في حائل:

وزيد الخوير إلى الآن باقيه | مقصورته تلفح عليها النود
وداره لمن زاره تزف البشارة | وفيها دلال ما ارمدن بسمود
راعي قفار اللي حريص بواجبه | في كل درب بالوفاء محمود

وقال ابن صقيه:

وأهل قفار موجبه كل جيعان | بغبر السنين يقدرونك الياجيت

وقال:

زيد الخوير وناصر ابن لحيدان   يفرح بهم من ضافهم بالاواقيت
يلقى اللقيمي فوقه اذناب خرفان   ودلال ونجور رفاع الاصاويت

وقال في القهوة والخوير:

لقمّ ببغداية كن عنقها   عنق المهاة المستحسة براميها
وعده للي مركيات دلاله   مثل الخوير اللي بالميات يشريها

وذكر عبدالله الحاتم في كتابه خيار ما يلتقط من شعر النبط أن الخوير مات في عام ١٢٨٠هـ وأنه زيد بن سلامة الخوير، وأورد له قصيدة تشبه قصيدة القاضي التميمي في القهوة في الوزن والقافية، وكتاب الخاتم من أوائل الكتب التي صدرت عن الأشعار النبطية في الجزيرة العربية.

أما القصيدة فهي:

باح العزا ياديب قم دن الأوراق   قرطاس شامي صافي تقل غرنوق
وادنو دواة الحبر وادنو لنا ساق   عود اليراع بشذرة الموس مذلوق
ياديب عدل لي احروفه بالأطراق   ما زال قفل القلب ياديب مفهوق
واكتب من الأمثال ياديب مالاق   قيل من اكنان الصناديق منسوق
حد الحيا وقبل تنشيف الارياق   ومن قبل ما يذرع لنا الخام مذلوق
والموت إلى جا العمر ما هوب فهاق   والعبد عند اعماله إلى رقت فوق
واخلاف ذا ياراكب فوق خفاق   نابي السنام امورد الزور نقنوق
حر هميم المشي للدو سراق   مثل الظليم اللي عن الدحو مصفوق
إلى قدر الله فانتو عقب الاحقاق   حزة صلاة العصر تلفي لنا سوق
سوق سقاه من الهماليل براق   من مدلهم تالي الليل مسيوق
من مزنة ساقه من الريح صفاق   باركانها توحي كما شوشة السوق
دار الرخا منبت عذيات الاوراق   دار عذية مرتعه مرتع النوق
دار الذي وان حل تنشيف الارياق   يردون دون أوطانهم كل مذلوق
والضد من عيلاتهم مثل مرهاق   ومحارب لذة شرابه مع الذوق

من ولب غوش مروية كل ذلاق كم واحد يدفن ولا فيه معلوق
كسابه الانفال إلى ما الدهر راق وبذالة للزاد من غالي السوق
وقل للذي ينشد عن الحال مشتاق ومسايل عني نبا كل مخلوق
عدل كفيت ووقيت شرات الافاق وكفاك والي العرش عن كل صعفوق
قل له ترا لي بندق رميها لاق بالقلب واطفى بالحشا كل حاروق
مأمونة يطرب لها كل تفاق مضمونة وارخصت به غالي السوق
إلى ما ورد مشقاصه على الحوض بلحاق واعتنت أبا بالعين واغضيت بالموق
بصنع الفرنج امثومن كنه الساق يهوم هيج الدو إلى رف بسبوق
ما شفت ما بين الشفاتين ينعاق إلى انجال عن عيني دحن كل مدقوق
إن كان تبكي حب معسول الارياق فالحال قابضها من الهم ساروق
قلبي مع الدلال يجلب بالاسواق عامين عند معزل الوسط ما سوق
الصاحب اللي قادها بي بالافراق عيا يسجيني من الذيل الفوق
ياعد ولا يافي قادها بي بالافراق يعطي ولا يافي بما قال منطوق
لاقلت جاز القلب عن كشر براق وامجدل باطراف الاصابع مفروق
ابو ثمان بين اشافيه براق جدد جروح بالمعاليق وشلوق
والخد يوضي والعشاريق شراق والراس سافات كسى حنيه الطوق
جتني بضيق الحجل وان لاح بالساق ليمن مشت تشكي خلاخيله الضوق
ليته صفى المولعٍ فيه مشتاق في ساعة اشرفت فيها على العوق
الي عاد لا وصل القلب مفهاق يارب خذ مني غرامه بلا فوق
وصلاة ربي عد ماناض براق على النبي المبعوث إلى كل مخلوق

وقال زيد الخوير(١):

قال الذي من ضامره جاب ما راد كلام احلى من نظيم الجماني
قلته ولاني من ورا القيل وفاد من شن ابقلبي وان هذابه لساني

---
(١) هذه القصيدة ذكرها صاحب الأزهار النادية ونسبها للخوير.

القيـل عـنـدي مـثـل جـم إذا زاد ما ينتزح لـو سـاهـرتـه الـسـوانـي
حنا الذي نلوي المصاريـع وانـكـاد عسر على خطو الصبـي الـهـدانـي
لو كان شربي در خـلـفـات الاذواد وماكولي الحنطة على أذناب ضانـي
لو سفح السمن العرابي علـى الـزاد ولو عرضت عمالـتـه مـا هـنـانـي
وبالنفس من كثر الهواجيـس لـهـاد والعين تذرف بالخـفـا والـبـيـانـي
على الذي نهديـه بـالـصـدر قـعـاد عن البيض منبوز الردايـف سـلانـي
فمن جنابه عفت مجلـى الاعـضـاد بينت لي فرجت رهيف الـثـمـانـي
واحسرتي حزنه تـجـدد لـي او كـاد عزي لقلـب شـيـبـتـه الـحـزانـي
قصر نصيبي يوم طلـعـات الارشـاد عن زمل مسلوب الحشا والمـثـانـي
ابو ثـمـان كـالـقـحـاوي بـالابـراد عليه من نور الـخـزامـى احـفـانـي
عندل عنود اخشوف ترتع بـالافـواد متشطر عن حـروة ارض الـدمـانـي
خوفه ياطالع طلعة الشمـس صـيـاد عاب لها ملح الـشـفـا بـالـوزانـي
يا قبر ماتنبـاج عـن غـض الانـهـاد نشوف الذي عن شوف حي سلانـي

وللخوير من الشعر الغزلي قصيدتان، وهما من جيد الشعر، قيل إنه نظم الأولى وهو في الحجاز، وهي القصيدة التالية:

يا راكبيـن اكـوار هـجـن عـرامـس هجن براه السيـر بـري الـيـراعـي
هجن من المـسـرا دقـاق كـوانـس من كثر ما يرعن بقـفـر الـمـراعـي
لا شم اثرهن بالخلا الذيب يـانـس عود وطـنـب بـالـعـوا ثـم اراعـي
هجن يشادن لـلـمـحـال الامـارس أيقن ولو هو تبعهـن كـان ضـاعـي
وإلا فيشدن الـنـعـام الـمـكـانـس لا طالعن من بعـض الاريـاع راعـي
أذوب ذوب اللي قلته الـمـحـامـس درج الرصاص اللي على الجمر ماعي
ابكي عصور قد مضـت لـي دوارس يوم أن ردي الخال للـجـود بـاعـي
يا عقل كني تالـي الـلـيـل حـارس لو سلهمت عيني ترى القلب واعـي
يا عقل يا حامـي اركـاب خـوانـس ياللي لهن في حزة الـضـيـق راعـي

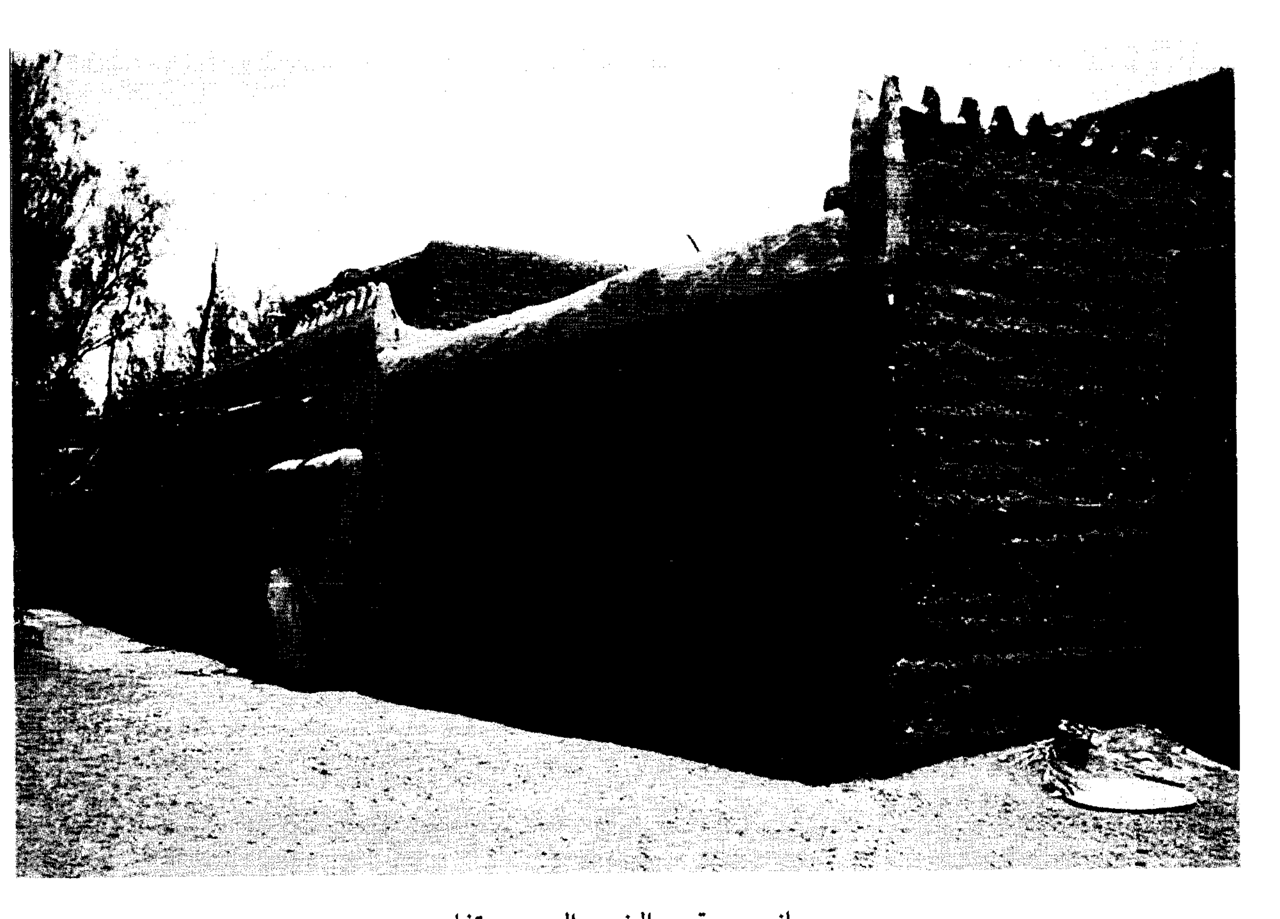
أما الثانية فهي التي تقدم بعض من أبياتها وتكملتها هي:

لو اعلا من علـلـه يابـن حمـاد تهلي وترحيب وانا اصغى بذاني
لو ابعيني لو تمنيت مافاد لو تنكس الدنيا على الضيم كاني
ما هي من اللي قوطرن يم فهاد ولا علق شركه بغير الزماني
ولا هي من اللي حطت المسك وازباد بالجيب عن ريح الصنق والصناني
ريحه طفل كافورة عند كداد لا شققت يمه ليال الصخاني
يا عين لو صحتي ونحتي بالجهاد للحشر ما وضاح الانياب ثاني
يا رب تجعلني إلى جيت وفاد عن ما نحب إنك عليه اتهداني
عليت ياللي بالحشا طق الاوتاد بالجنة العليا عسى لك مكاني
نزه عن الادناس ما جاه نقاد يا نافل جيله بكل المعاني
لاهي بنجد ولا مع اللي عنه غاد ولا مع البدوان صاف الثماني
او من زها اللفاف بديار الاكراد بديار لباسة جلود الحصاني
للشام لاصطمبول للهند لهناد ولا في دمشق اللي الماه ادعجاني
ما قط يخبر زين مزموم الانهاد لا بول الدنيا ولا آخر زماني
تمت وصلى الله على السيد القاد اللي يزارن له بهاك المكاني

وحدث فهد بن عبدالعزيز الخوير - رحمه الله[1] - فقال: جمع ابن رشيد جيشاً في حائل لغزو الجوف، فلما أتم الجمع نظر فاستشار من حوله فقال له المشعلي - وهو من خاصته -: إن من جمعت لا يصلحون للغزو. وليسوا بأهل حرب والرأي أن تستعين بأهل قفار، فأخذ ابن الرشيد برأي المشعلي، وأرسل إلى دخيل الخوير، وهو كبير تميم، وأمير قفار، في بداية عهد الإمارة الرشيدية، فظهر في ذلك اليوم «الفين مردوفة» من قفار وقال دخيل الخوير قبل الرحيل:

من قفار وحايل ظهرنا واعتلينا ظهور النجايب

(١) قال ابن صقيه: أمير قفار في هذا العهد (١٤٠٠هـ) عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن راشد الخوير وهو رجل ذو ديانة ورزانة، وحسن خلق وصراحة كثر الله من أمثاله، وأخوه فهد بن عبدالعزيز الخوير، رجل خشن يذكرك بخشونة بني تميم القدامى، والأخوان الكريمان من أهل الهيبة والوقار وأبناؤهما يحذون حذوهما في مكارم الأخلاق، ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٥٩.



جانب من قصر الخوير التميمي بقفار

وذلك في قصيدة مشهورة معروفة، ولما طال مكث الجيش في محاصرة الجوف كان الناس يذكرون بلادهم في حائل بالأشعار.

وكان ممن اشتهر شعره أثناء الحصار دخيل الخوير في قصيدة نسبت للخشيم خطأً. قال فهد الخوير: أصبح الناس ذات يوم وهم بالجوف فقالوا من قال شعراً البارحة، فقال دخيل الخوير: أنا قلت:

لا ضاق صدري قمت اسوي من الكيف   فنجال بنٍ ما يغبب سريبه

قال فهد الخوير: إن هذه القصيدة لدخيل الخوير وقد ذكر فيه أملاكه في شرق قفار، على ضفة الوادي. والذين نسبوها للخشيم لم يفطنوا إلى أن ملك الخشيم في غربي قفار، لا في شرقها، ومضى فهد الخوير، يقول: إن هذه القصيدة انتشرت في حائل وسمعها زيد الخوير وكان ممن لم يحضر غزوة الجوف، فخشي أن يكون فيها تعريضاً بتخلفه عن الغزو فنظم قصيدته المشهورة قصيدة القهوة التي سبق ذكرها فاشتهرت قصيدة زيد وعلا صيتها وعرفها الناس في كل مكان وغطت شهرتها على قصيدة ابن عمه دخيل أمير قفار.

ولدخيل الخوير قصائد أخرى روى علي بن ناصر اللحيدان منها:

نصيحة ياهل القلوب النصاحي   يا تايهين الرأي خوذوا نصيحة
حطوا ثلاث يجذبن القراحي   ثلاث من غير العقايب مريحة
تلقى الودية من شخيل البطاحي   قناه فوق العسب مثل البطيحة
القلب من كثر الهموم استراحي   والبن يقعد دايخ الراس ريحه

أما هذا الذي يرويه فهد الخوير عن غزو الجوف فهو ينسجم مع ما ذكره «فالين الفنلندي» الذي زار حائل في عام ١٨٤٥هـ وقال: إن ابن رشيد يدين لتميم بجميع انتصاراته على جيرانه، وأنه إذا قرر غزوة ما دعا أهل القرى فرداً فرداً فيلبون النداء عديدين، وهم يؤلفون القوة الأساسية في الجيش، وطول الحملة يقدمون المؤن مما يملكون، وهم أشجع وأكثر مهارة في استخدام السلاح، وبعدهم يُدعى البدو، الذين يكونون احتياطيين، لا يعتمد عليهم في المعارك إلا قليلاً.

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب.

ويلاحظ أن أشعار آل رشيد كثيراً ما أشادت بمن وصفهم فالين بالقوة الأساسية بالجيش قال عبيد بن رشيد:

حضر الجبل والبدو ناتي صليبين   يتلننا جملات سود الجدايل

وقال حمود العبيد:

جبنا قفار وحايل سايرين   وهو كان بين المطرقة والسندانه

(ب) ابن ماضي والملحمة القفارية

تعد القفارية من درر الشعر النبطي، وهي قصيدة تربو على التسعين بيتاً نظمها عبدالعزيز بن جاسر بن ماضي في عام ١٢٣٥هـ، والقفارية تنحو منحى الشعر الفصيح في ألفاظها، ومعانيها، جيدة السبك، مؤثرة، متدفقة، غزيرة بالمفردات اللغوية المستعملة في نجد في تلك الفترة من تاريخ شبه الجزيرة العربية.

أما صاحبها فقد ورد عنه في تاريخ آل ماضي أنه كان جريئاً شجاعاً رئيساً مطاعاً في عشيرته، وله معرفة فائقة في الحساب، ومطالع النجوم. آية في معرفة أنساب العرب وله كتاب خاص بأنساب أهل نجد لكنه مفقود، وقصائده تنحصر في الحماسة، وشكوى الزمان، وتقلبات الدهر خاصة وقد عايش حوادث مؤسفة من الفتن، والحروب نظم من أجلها ثلاث مطولات شعرية من جيد قصائده تنضح بالشكوى والفخر، وقد عاصر عبدالعزيز بن ماضي فترة حكم الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، وله في الإمام تركي قصيدة طويلة. أما قصائده الثلاث فقد وسمت الأولى منها باسم القفارية تمييزاً لها عن الأخريين اللتين بعث الأولى منهما إلى آل بوسعيد في عُمان وخص به عبدالله الذي هو كما قال:

متسلسل في الأصل عمرو ومنذر   أصهار وأنساب رفاع الرتايب

وبعث بالثانية إلى أهل الحوطة. وقد تمنّى عبدالعزيز في القفارية سحابة لقفار من هتون المزن تروي (السّلف) في أجأ إلى (الضبط العالي) إلى (الهضبة السفلى) جنوب حائل لتنعم دار عمرو الندا موطن أجداده بالخصب، وتخضَّر مراتع ذويه من آل حماد، وآل حمران، وأبناء عيادة، والمفيد، الذين أطال في

تعداد مآثرهم ووقف جانباً من قصيدته على الافتخار بصلابتهم. بعد أن سارت مطيته وهي (عيدية) من (التيه) (وجنا) من (القود الهجان) كأنها النعامة، وراكبها صميدع يُغّرب بها إلى أرض الجبل حتى تقف به على أعلى قفار حيث الأهـل والصحاب. يقول عبدالعزيز:

لنا حل من ضيم الليـالـي وزورهـا ... بـالأوطـان حـالات وزورهـا
يحل لنا من ضيم الاتعاس والـنـيـا ... ماحل بأسلاف مضوا في عصـورهـا
من النقض والابرام حتى تتـابـعـت ... جل الـحـوادث مـوردات غـرورهـا
وضاقت مناهج حيلتي وأضرم الحشا ... من الوجد نيران سعـيـر سعـورهـا
حيث اتضح ميدان الأيـام واعـتـدى ... جند تعامى وردهـا عـن صـدورهـا
وغابت شموس الحي منـا وغـربـت ... حقود الاعادي بينـتـهـا فـجـورهـا
واغتالت الأقدار عـزمـي وهـمـتـي ... كما اغتـال حـبّال سماوي طيـورهـا
فلو كنت مطلوب ولـلـثـار طـالـب ... نطلب أن افراجها فـي حـضـورهـا
ظنيت ان يبعث لـنـا الـلـه نـاصـر ... والاضداد يجعل كيدها في نحورهـا
وياذن لـنـا بـالـعـز بـأطـراف ديـرة ... مـن ورث جـدان ارفـاع قـدروهـا
عسى وقفت فيها وهي غاية المـنـى ... وتحظى بحلولها ليـالـي سـرورهـا
ارسل من أولاد المـنـيـعـي رفـاقـه ... أدلو عليها قبـل يـنـضـاح نـورهـا
مـنـاعـيـر الـورى ذرا روس لابـــه ... تميمية من هم حـمـاهـا وسـورهـا
على رأي من منهم ولو شمر العـدى ... عن ساق حرب زارها في قصـورهـا
أبو ناصـر الامـي إلـى كـل طـولـة ... بعزم قطع عملت الاعـدا شـرورهـا
يذود العدا بمرهف الـحـد والـقـنـا ... من الضد يعطي كل عـيـن ذرورهـا
واخـلاف ذا يـاراكـب عـيـدهـيـــه ... تيهيه تكسـر مـصـالـيـب كـورهـا
وجنا من القود الـهـجـان لـكـنـهـا ... ربد تخافق ريـلـهـا مـع نـشـورهـا
لكنها غب السـرى فـي مـسـيـرهـا ... سـاجـيـة بـالـمـا ولام دبـورهـا
تكملت المرباع والصيـف بـعـد مـا ... حازت مطافيل المها فـي قـفـورهـا
مغفلة حتـى ذوى الـعـود بـالـثـرى ... إلـى حـيـث عـدا عـن وثـورهـا

يدني لها حرز الضمير سميدع   من السد ما يعطي النيا لحبورها
دليل عيرات وكم من تنوفه   من أرض العد مادابها من سبورها
مدله مواليه وفر إذا اعتدى   عبث إلى ركب العوادي ظهورها
حيث اعتلى في كورها ثم سلفت   يعجبك عن بعض المساحي نفورها
وقل هيه ياراعي الذي زاد جريها   من الهجن لا تثق بها في وعورها
احفظ جناحن الجديل كما أنها   تجفل إلى بدا لها ما يذورها
وعج رأسها من قبل تمسي تنوفه   متطامس في غبة اللال فورها
بالله عج لي يافتى الجود ساعة   تأخذ بها افكاري إلى حول دورها
أوصيك واهدى سايارت شوارد   غزو المعاني غمته في بحورها
من آثار تيجان المعالي دوارس   الذ وأروى في ثقافي مرورها
منظومة ياقوت ودر وعسجد   وجواهر يوضي بالأطلال نورها
بصفح السجل من اليراع زواهر   إذا ما اشتغل ديوانها في سطورها
أوصيك لا تنسى جوابي ورسلتي   ولا تتصل بجبال خب جرورها
واضرب علة صعبات الاشيا وكن لها   بصدم لشدات المعاني صبورها
وامسك عنان العزم بالكف يا فتى   فحتف المنايا زار من لا يزورها
اركب ولا تلوى إلى صارخ الندى   من خارد الفيحا وعمران دورها
من الحزم ثورها إلى هوم الدجى   إذا بالعشي قابل سهيل عبورها
واجعل مغيب الشمس ان عاقك الردى   بصفح من اليسرى يحاذي نورها
وغب اربع تبهش بقرب الرفاقة   تميمية دم المعادي طهورها
عسى الحيا بالوسم يعتاد دارهم   بنو حقوق من الماء نشورها
من الضبط العالي إلى السلف حدها   إلى الهضبة السفلى تدارج نهورها
وعسى الحيا بالصيف دايم يعودها   وبها نحيا ما قد نحا من نهورها
دار المروين القنا نعرة الملا   نحاز لمن جا طامعٍ في عشورها
لهم طايل نايف على شمخ الذرى   ونوايل ما من فيها بذورها
وكم عانى جانا شد عن بيوتهم   إذا الغير ما يقيي ليالي عسورها

فان عاد منيوب وفي القلب واهس
من الهم دالوب بكف بدورها

جلو عنه عظمات من الضيم جودة
عر القلب بأنياب حديد ظفورها

وكم عايل جا طامع في شوامهم
من البدو وسكان القرايا حضورها

ردوه في حفظه من الغيظ وانثني
بلا عز إلا وبه من الذل مورها

إذا اصبحت في بلدان كسابة الثنا
وطالعت في نادي تميم صقورها

فاقرهم التسليم منى وعمهم
بترحيبة تضفي عليهم خدورها

واختص لي مجنى حميد ومرشد
اولاد حماد لمثلي ذخورها

وعرج على الحمران وابنا عيادة
وابنا مفيد عمهم في حضورها

سلام مشتاقٍ إلى حضرة الندى
من أولاد عمرو وفي تميم قعورها

سلام ابهج من زلال على الصفا
والا حليبٍ من مباكير خورها

وقل يابني عمي ولايا رفاقه
أرى الضيم مقرن بليث هصورها

بالسمت ما يغضي على النقص ماجد
وعن المجد ما تغضي عوادي نمورها

غدا المال قطع في مبادي خيانة
والأبطال غدر وليعوها دثورها

أجل عنك ما ننسى من الضد ما جرى
مدى الدهر مذكور إلى نفخ صورها

من غلمة سفساف حي تجاذيوا
ردي الغر مالاذوا بشيء من عذورها

جيران سو من قدر نشو
يميل عن الماقادي عن الحق زورها

غدو لنا عن ديرة كان قبل ذا
منازل لنا فيما مضى من عصورها

وشعلنا بها نار الحروب طالما
تصدى لنا فيها خيون غدورها

وصبرنا على الشدات فيها كما انها
حمانا على طيب الليالي وجورها

ترى مثلها اللايق بها ياذوي الندى
كما كاعب في بيت زوج غيورها

حمى الدار منا هيبة الجار وان مضى
على شوفي ماسال عنها حذورها

كما دالق الهندي إذا قال وانتفى
من الرأي فصال إلى جا بشورها

ورفاقه ياطال مازاروا الندى
بفتيان تحمي صفوها عن كدورها

كم صادموا في دارهم من قبيلة
وكم كسروا عدو القنا في صدورها

بعزم أقطع من شبا الحد باللقا
عناف عن اللي بالمشاجا يعورها

مزاريع ما دانوا لحي ولا دانوا ... ولا نازعوا بالرأي والي أمورها
مع لابة هداتها ضيغمية ... وهم سراج بهم توضي تميم بدورها
كم أوقدوا في دارهم من سعيرة ... بلوافح الهيجا ترامى شرورها
جند من أولاد المنيعي لكنهم ... أسود الشرى طلق الأيادي ذكورها
كم أنصفوا بأرض العدى طالب الندى ... ربع على الشدات تافي شبورها
وياما رموا لأضدادهم من رمية ... وكم جددوا لابطال حي قبورها
وياما جلا عنا من الهم فعلهم ... إذا الغير هذار بلا نو هذورها
صبوا لنا في كل فن حمية ... بها كسروا أنياب ذيخ عقورها
وكم أغضبوا في حقهم طالب الرضا ... ولا ثمنوا قواف دروب خفورها
ترى كل من لي من صديق إذا له ... لدى الروع والشدات قلب جسورها
فهو شايل عني من الضيم جانب ... تذوب من همه جنادل صخورها
معاد لي صبر بالاوجاد غيرهم ... وي منبت الجود مناتج زبورها
أولاد عمرو وكل من كان دونهم ... على عدم الما صاير يجزي عفورها
وصلوا على خير البرايا محمد ... نبي الهدى أزكى قريش ونورها
نعوته بها توراة موسى بشارة ... وفضله أتى بانجيلها مع زبورها
صلى عليه الرب ماذر شارق ... وما تعاقبت الليالي شورها
وما همى وبل الساء وأظلم الدجى ... وما اجتنى من كل شيء بكورها

ومن الشعراء الذين ذكروا قفاراً الشيخ أحمد بن مشرف المالكي الأحسائي(١) في مدحه للإمام فيصل بن تركي قال في قصيدة طويلة:

تميمية حلّت بتيماء ودونها ... من الجبل الطائي قفار فحائله

ووصف أحد شعراء حائل النبطيين وهو سُعيد بن فهيد بن دوخي الهمزاني قفار فقال:

(١) قال ابن عيسى في حوادث سند ١٢٨٥: وفيها توفي الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة أحمد بن علي بن حسين بن مشرف المالكي الأحسائي، وهو من المشارفة من الوهبة من تميم ـ رحمه الله تعالى ـ كان إماماً عالماً فاضلاً سلفياً حسن العقيدة أديباً لبيباً شاعراً بارعاً ماهراً، وله ديوان شعر مشهور.

ماساقت الخاوة ولا عقد الإيجار　　عزيزة وسط البلاد محشومة

وقال مهنئاً بزيارة معالي الشيخ إبراهيم العنقري المستشار الخاص لخادم الحرمين الشريفين لحائل عام ١٤٠٦هـ:[1]

من تميم العرب قادات النشير　　لا بطل بالمعركة عذالها
كالجمال اللي تحاشا للهدير　　دافعت باموالها ورجالها
في نهر (جيحون) وبلاد (أردشير)　　وفي فتوح السند روس أبطالها
كم تغنى بمجدهم قيس وجرير　　والفرزدق يفتخر بافعالها

وعدد جلعود بن لافي الهمزاني أهل المضافات في بلاد الجبلين في قصيدة نبطية متباهياً بمناقب المشاهير من الكرماء وخلالهم الحميدة وقال:

راعي قفار اللي حريص بواجبه　　في كل درب بالوفاء محمود

وقال حسن بن طليحان الشمري من قصيدة له في بني تميم:

وجدودهم يوم الصحابة لهم شان　　بالدين والفرسه ورسم الحضارة
بني تميم وشمر فعلهم بان　　من بالقرى وساكنين مداره

وقال سعدون العواجي من شيوخ عنزة بعد وقعة ظفره:

ياراكبٍ من عندنا فوق نساس　　ومعربٍ من ساس هجنٍ أصايل
مامد روّاي ولامد عساس　　يشدى ظليمٍ منحدر مع خمايل
لاجيتهم في ربعة الشيخ جلاّس　　قل بالجبل جتنا قفار وحايل

وقال عقاب العواجي:

عشبة طوية يالتبيني رعيناه　　غصبٍ على دولة قفار وحايل
وبيضاء نثايل بالمعارك كسبناه　　بالسيف ما هي للجدود الاوايل

وقال قاسم بن ثاني التميمي، أمير قطر:

حامت على كل السلاطين واقبلت　　تجد السرى تبغي قفارٍ وحايل

---

(١) كان ذلك عندما كان معاليه وزيراً للشؤون البلدية والقروية.

وقال عبيد بن رشيد في قصيدة رد عليها ابن خليفة التميمي من أهل الشنانة بقرب الرس بالقصيم:

جونا يبون ديارنا والبساتين   يبغون منزلهم قفارٍ وحايل
حضر الجبل والبدو ناتي صليبين   يتلننا جملات سود الجدايل

(جـ) ريحان مولى المفيد

ومن قديم الشعر النبطي في قفار ما روي لريحان مولى المفيد حيث يقول:

يقول ريحان الذي ولّف البنا   والامثال ياعمي خطايٍ وصايب
تقول خيل ولا بالخيل مطمع   كم قوطرت خيل بخيل جنايب
ذبحنا منكم طلعة الشمس عشرة   مع عشرة ما بين شبٍ وشايب
لا الحشر ما تمحى مدافق دماكم   لو جاه من وبل الثريا سحايب

وكان ريحان شجاعاً فاتكاً، قتله المفيد بعد أن دبر أحد مناوئيهم من آل عيادة حيلة جعلتهم يشكون في ولائه لهم[1].

ومن المعارضات في الشعر النبطي قصيدة لابن صقيه وأخرى لجلعود بن لافي الشمري، وقد أشار جلعود إلى قفار وبعض البلدان المتفرعة عنها في قصيدته فقال:

من روس تميم وتميم أهل النسب   من عهد ابونا آدم تجدد رسومها

وقال:

لكن المشهور السيف والرمح والقنا   وخيل مع البيدا هميم رهومها

وقال:

وبين جبلين أجأ وسلمى ونفدها   بني تميم الطيب سابع سجومها
بـ (قفار) و(السبعان) وأهل (السليمي)   وأهل (المهاش) ومن مشى في حزومها
ومن سار من حايل إلى ديرة الحسا[2]   يرى قراكم تتصف في نعومها

(١) وريحان في هذه القصيدة يرد على حُميِّر بن عيادة حينما قال حُميِّر:

لي بندق من دار غرب شريته   تر ضربها يوم الملاقات صايب

(٢) يقصد الأحساء.

(د) محمد بن عبدالله آل الشيخ مبارك التميمي

وللشيخ الشاعر محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل مبارك[1] قصيدة فصيحة في قفار، وآل مبارك أسرة مشهورة في المنطقة الشرقية، وسبقت الإشارة إلى تاريخ انتقالهم من قفار إلى وسط نجد ثم إلى الإحساء، برواية الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك التي اثبتها الشيخ حمد الجاسر في الجمهرة، يقول محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل مبارك:

قرأت شعراً لغازي مفعما أرجا ... يحكي أحاسيس عن سلمى وشم أجا[2]
يروي لنا عن رباها عن مناظرها ... عن صيدها الغر عن مجد لهم وحجا
عن مائها العذب سلسالا يرق صفا ... سماح اقداحه من ذاقه لهجا
في حائل ملتقى اعطاه منطلقا ... كهمزة الوصل ذا غاد وذا ولجا
وللتجارة في مغناه مكتسب ... وللزراعة فيه مورد لهجا
وفي سهول سلمى أجا ترى أسرا ... للدين قد نذروا الأرواح والمهجا
فما قفار سوى أنموذج لبني ... عمرو تميم نما هم للعدو وجا
يا مرحبا بك يا غازي ما نطقت ... به قريحتكم يحكي لنا السرجا
توجتموا حائلاً من مجدكم درراً ... تضيء كالكوكب الدري فوق دجى
اسعدتموا حائلاً في وضعكم حجراً ... يرسي الأساس لنور الكهربا انبلجا[3]

(هـ) بشير بن نصار التميمي

اشتهر آل حمران الذين خرجوا من قفار بأعداد كبيرة إلى بلدان رمّان[4] وغيرها بعدد من الشعراء النابهين، ومن هؤلاء بشيّر بن نصّار التميمي، ومن قصائده هذه القصيدة التي قالها بمناسبة غزوة سار بها أهل حائل من تميم وشمر مع محمد بن رشيد إلى عاليه نجد وكان ابن نصار في هذه الغزوة فقال:

(١) يعمل الشيخ محمد في المكتبة العامة بالأحساء.

(٢) الدكتور غازي بن عبدالرحمن القصيبي.

(٣) تم وضع حجر الأساس لكهرباء منطقة حائل في ٢٦/٢/١٤٠٢هـ.

(٤) ذكر الأستاذ عبدالرحمن بن فهيد الربيعان أن الحمران أهل قفار ينتمي إليهم معظم بني تميم في حايل. مجلة العرب، ج٣، س ١٩ ، ١٤٠٤هـ.

الحمد للي يعلم الخافياتي الواحد المعبود وال المقادير
واشوف عيرات النضا شايشاتي والصانع اجهد بالحذا والمسامير
والشيخ نادى بالرمك والولاتي وقسم على فتخان الايدي مخاسير
ومن كل يم جن لهم وارداتي فحولٍ يونسن البكار المياسير
واستجنبن مثل المها وارداتي قحصن يشلعن الحصى بالمسامير
وخمن بنا ظلم وهن مقفياتي وسبورنا جتنا بعلم وتدبير
طار العقاب تشقلبن بالتفاتي وطالع وراء هكران طرش ومغاتير
وصحنا على ابن حميد هرج ثباتي ترجيعة وحلو خز المعاشير
وهذا جزى اللي ما صخى بالزكاتي تل المهار معسكرات المسامير
ورجنا وربعنا بزين الفلاتي ليا ما قدنا حشو البرود الاباهير
وتشاملن لديار اهلهن متكاتفاتي وجينا فراقين تحدر من النير
صفقٍ بوفقٍ جيب طرش الحفاتي ورجنا على عيلاتهم والمظاهير

وابن نصار شاعر متمكن سجل بقصائده أخبار الغزوات التي حدثت في وقته، والتي كان هو شاهدها، وقصيدته السابقة برواية سليمان بن دحيم الشبرمي.

(و) حسن بن طليحان

وللشاعر حسن بن طليحان الشمري قصيدة يذكر فيها أهل المضافات في قفار والبلدان المتفرعة عنها يقول حسن:

جينا مسايير على ابن لحيدان نبي نشوف اللي تشرف خباره
عمار يادار بها ابن لحيدان ما كر صقور من نوادر حراره
بني تميم بالفضايل لهم شان مكارم الاخلاق دايم شعاره
رمز الكرم والجود ياوي عنوان مفاخر الأجواد عز ووقاره
ابن لحيدان على الطيب شفقان عشير ضيفه والمسير وجاره
له مجلس دايم من الغوش مليان شباب نار يعطي البن كاره
والمدح بالطيب دليل وبرهان واللي تجر بالطيب نعم التجارة

ما همتـه دنـيـاه زايـد ونـقـصـان مقـدم قـرومٍ ما يهـاب الـخـسـارة
وراعي قفار بالـمـكـارم وعـشـمـان منارة بـالـطـيـب نـعـم الـمـنـارة
وراع القصر والشبرمي وابن عفـنـان لا سولفوا بالطيب نسـمـع خـبـاره
ومع الهذيلي والهيافا ابـن حـمـدان ولاقـالـط مـن قـوم الا خـيـاره
واخو شما الهريش ساس لـه اركـان زبن الضهيد اللـي بـحـالـه غـيـاره
وبني تميم عموم من غيـر حـقـران معـادن بـالـطـيـب تـاتـي خـبـاره
وياما انفقوا من حب صنعاء وسيلان اللي بسفن الـهـنـد يـاتـي بـهـاره
وجدودهم يوم الصحابة لـهـم شـان بالدين والفرسة ورسـم الـحـضـارة
واهل الجبل عموم حـضـر وبـدوان فازوا وحازوا طيـبـهـم بـالـجـداره
بني تميـم وشـمـر طـيـبـهـم بـان مشاعـل تـوضـي بـلـيـل ونـهـاره
أهل العصام أجا وسـلـمـى ورمـان أهل القرى واللي سكـن فـي مـداره
واهل الصفاة ونعم ذربيـن الايـمـان أهل البيوت الـلـي يـشـرف جـواره
عسى الحيا ببـلادهـم كـل الازمـان دار الصخا عـسـاه تـخـضـر ديـاره
وصلوا على المختار بالسـر واعـلان وسلام ياللي تسـمـعـون الـعـبـارة

(ز) مزنة التميمية

قال منديل الفهيد: وهذه قصيدة لبنت[1] ابن سُلمي من أهل قفار تميمي مع ابن عمها، وجاها الخبر أنه ميت بوباء عام معروف في الحج، وماتت هي بأسبابه بعد أيام قليلة من زايد المحبة له فتقول:

عسى الحرم ربي من الوسم يسقـيـه ينهض عنه ما يـكـرهـون الـعـبـاد
حيث ان زمل صويحبي بركت فـيـه واليوم ماله بـالـحـشـا مـن بـلادي
امن اول ما هو ببـالـي ولا اطـريـه مرحوم ياللي لك هـويـنـا الـحـداد

ولهـا أيضـا:

علم لفا عن مهـجـة الـروح شـنّـاع نقض علي اللي بقا مـن جـروحـي

(١) مزنة بنت فرّاج بن سعد بن فواز بن سُلمي.

حللت يا زين النبا حلو الاطباع   حلٍ يخفف عنك يا سيد روحي
لو هو من الحيين يشرى وينباع   لا اسوق به مالي وافادي بروحي
مير انهم خلوه في صحصح القاع   وحطو على قبره رسوم تلوحي[1]

وقال ابن رداس: «وهذه شاعرة من البادية اسمها (بنت فرّاج بن سُلمي) من سكان قرية قفار» وذكر الخلاف بين أعمامها وأخوالها، وأورد لها القصيدة التالية:

الماء غدوا به عن عمامي خوالي   يالعن ابوكم اذبحوهم ولو بوق
الماء غدوا به متعبين المحالي   مثل العساكر بالضبط لجته فوق
وش عندكم تسوون ياهل العوالي   تزهد بكم لباسة الخصر والطوق
ان كان ما منكم رجال مدالي   سباع تهاب وتأخذ الطاق مطبوق
عسى نساكم ما تجيب العيالي   وعسى علكم جيب الاحباب مشقوق[2]

وآل سلمى من أشهر البطون التميمية في قفار، انتقلوا منها إلى القصيم وتفرعوا إلى أسر عديدة أشهرها: الفريح، والسلامة، والمحمود، والعبيد، ومن العبيد هؤلاء معالي الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وآل سُلمى من بني العنبر من بني عمرو من تميم. ويرى الدكتور عبدالعزيز الفريح وهو من هؤلاء أنّ أهل قفار، ومن انخزل منهم جميعهم عنبريون[3].

(ح) الشيخ أحمد بن مشرّف التميمي

وممن ذكر «قفار» في شعره الشيخ أحمد بن مشرّف الوهيبي التميمي المتوفى عام ١٢٨٥هـ، وهو أديب شاعر مجود فقيه محدث سلفي مالكي، من أهل الإحساء.

ذكر قفاراً في قصيدة يرثي بها الإمام فيصل بن تركي آل سعود المتوفى عام

---

(١) منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، ص٩٩.

(٢) ابن ردّاس: شاعرات من البادية، ص ٢٤٤، وعند رواة الشعر النبطي أن اسم الشاعرة مزنة بنت فراج بن سُلمي التميمي، وأخوالها آل عيادة من النواصر من تميم.

(٣) وبقي من آل سُلمي في منطقة حائل أسرة تقيم في «قصر العشروات» جنوب قفار، ومن أسرة آل محمود الفريق صالح المحمود ـ يرحمه الله ـ ومن آل فريح الشيخ عبدالمحسن بن محمد الفريح المتوفى في عام ١٣٧٩هـ.

١٢٨٣هـ يقول في قصيدته:

أتقبل عذر الصب أم أنت عاذله بذكرى حبيب عنك شطت منازله
غزال حوى كل المحاسن والبها يغازلني بعد العشا وأغازله
فتاة كأن الشمس غرة وجهها فأنى يبين البدر حين تقابله
نأت فنأى عن صبها كل عاذل فياليتها تدنو وتدنو عواذله
فمن لعذول لا يزال بجهده يجادلني في حبها واجادله
وما أنا إلا كالفتى في اعتلاله فلا اثر تبديه فيه عواذله
وقد أصبحت (سلمى) بأبعد شقة يكل بها كم المطي وهازله
(تميمية) حلت بتيماء ودونها من الجبل الطائي (قفار) وحائله
فعن مثلها فاثن العنان ميمماً مليكا عظيماً لم يخب قط سائله
إله السما والأرض فاسأله راغباً تنل كل ما ترجو وما أنت آمله
فنشكو إلى الله الزمان الذي استوى لدى أهله قس الكلام وباقله
به اندرست كل العلوم وأقفرت فانكر فضل العلم بالعلم جاهله
وقائله اقصر فما بعد فيصل لذي أدب حظ فماذا تجادله
اترغب في نظم القريض وجسمه موارى بقبر غيبته جنادله
فقلت: دعيني أن يكن مات فيصل فخالقه حي وما مات نائله
فقد ورث المجد المؤثل والندى لنحل زكت اخلاقه وشمائله
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى بغرته بشر الندى مخائله

قال حسين حسن: كان أحمد بن مشرف عالماً فقيهاً ومحدثاً أديباً وشاعراً موهوباً راسخاً في الأدب، وقد بلغ درجة الأستاذية مدرساً بالإحساء فأفاد وعلم الناس ونظم رسالة في الفقه نظماً طريفاً واختصر صحيح الإمام مسلم اختصاراً جميلاً، وكان بينه وبين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب صحبة أكيدة ورسائل علمية مفيدة فيها كثير من الحكم واللطائف وأشعار الإعجاب والعتاب ضمنها ديوانه المشهور.

وله في الإمام فيصل قصيدة مشهورة نظمها في عام ١٢٧٨هـ وفيها:

أأسلـو وقـلـبـي لـلـغـرام غـريـم وجسمي كطرف الفانـيـات سـقـيـم
ولي مقلة لا يقلع الـعـذل دمـعـهـا وقـلـب إذا جـن الـدجـاء يـهـيـم

ومنهـا:

فلما علا رأسي البيـاض تـبـاعـدت وذو الشيب عند الغانـيـات مـشـوم
فأصبحت مأسور الـفـؤاد بـحـبـهـا وما ذاك من كيد الـنـسـاء عـظـيـم
فما بالها تـصـبـو إلـى كـل يـافـع وتـهـجـر شـيـخـاً والداه تـمـيـم
ألم تدر أن المقـرنـيـن شـيـعـتـي ولـي عـهـد ود بـالإمـام قـديـم
إمام حوى كـل الـمـكـارم والـعـلا وطاب لـه فـي الـعـالـمـيـن أروم
له نـسـب فـي وائـل بـن ربـيـعـة نماه إلى أعلـى الـفـخـار حـمـيـم
تفرع من صيد الملـوك الـذيـن هـم لهـم مـكـرمـات حـجـة وحـلـوم

يقصد بالمقرنيـن آل سعود نسبة إلى جدهم مقرن.

وابن مشرف من الذين كانت لهم مآخذ على عثمان بن منصور النـاصـري التميمي قاضي قفار في عهد الإمام فيصل، ويأخذ ابن مشرف على ابن منصور اتصاله بداود بن جرجيس. وكان مما قاله ابن مشرف:

واقذف جنود بن جرجيس وشيعـتـه بكـل هـجـو بـمـنـظـوم ومـأثـور

وأول القصيدة:

يا ظبية البان، بل يا ظـبـيـة الـدور هل انت من نسل حواء أو من الحور
الصبح من وجهك الصبيح الأسنى بدا والشعـر داج بـظـلـمـاء وديـجـور
مددت للصـب طـرفـاً قاصـراً فلذا قد هام ما بين مـمـدود ومـقـصـور
لا عيب فيها سوى إخلاف موعدهـا أو أنها لم تـجـد يـومـاً بمـيـسـور
كم واعدت بـمـزار غـيـر مـوفـيـة والخلف للوعد معـدود مـن الـزور

وقد أشار إلى طرف من الردود على الشيخ عثمان بن منصور الشيخ الهندي في كتابه «زهر الخمائل في علماء حائل».

(ط) حُميِّر بن عيادة التميمي

شيّد حُمير بن عيادة التميمي - أمير قفار - قصراً كبيراً في غربي قفار مقترباً من جبل أجا (لا يزال القصر قائماً) وحين مر به أحد المسافرين قال له: سلم على عبدالله بن رشيد بحائل وقل له: (نشرب من جوابينا وناكل من قرِّينا ونلطم وجه اللي بظلم يجينا) فلما وصلت هذه الرسالة إلى عبدالله بن رشيد قال[1]:

ياسعيّد اركب فوق حمرا معفات	كنك غرابٍ نازل في ظهرها
سرّه اليا ماتجي دار التميمات	نعم الحمايل عند ميلة دهرها
سقنا تميم عن محل الخشيمات	سوق الظوامي عن زلالي نهرها
سقناه لجفيفا وللمستجدات	وفرافره له من يقلع شجرها
وبخشوم سلمى للمفيدات مشهات	كلٍ يحدر مرزقه من وعرها

وحين سمع حُميِّر بن عيادة التميمي هذه القصيدة رد عليها بقوله:

يا راكبٍ من فوق حمرا سبنتات	ما ضرّب أبوه كود يعرف مهرها
هيهات يا جويلان هيهات هيهات	هيهات وين سيوفكم وين أثرها
لو أن دارك للتميمات مشهات	قزوك عنها يم حامي صقرها
فنّك تحط براس اعيرف منارات	وتشرب قراح من زلالي نهرها
ما غير تشرب من هماج الحميضات	وأوذيت نطار الخضر في نطرها

والسبنتات من أسماء السبع، وأبيات هاتين القصيدتين غير مرتبة وفيهما نقص كبير، والقرّي: التين وفرافرة هي بلدة السليمي، وهي فرافرتان قديماً، وهيهات فصيحة وهي لغة بني تميم، وقريش وأهل الحجاز يقولون أيهات وقد ورد في القرآن الكريم هيهات بلغة تميم قال تعالى ﴿**هيهات هيهات لما توعدون**﴾ [المؤمنون: آية ٣٦]، ذكر ذلك السيوطي في المزهر، وزعم مختار سيدي الغوث في كتابه (لهجة قريش) أن السيوطي عكس سهواً وأن أيهات هي لغة تميم بدليل قول جرير:

فايهات أيهات العقيق وأهله	وأيهات وصل بالعقيق نساءله

---

(١) روى لي مناسبة هاتين القصيدتين فهد الخوير ـ رحمه الله ـ وقال الدكتور رشيد العمرو إن ابن عيادة يقول: ونذبح اللي يجينا.

والمقصود بداره السويفله شمال مدينة حائل الحالية، ومياهها الجوفية تأتيها من قفار، وتقدم فيما سبق تحليل لهاتين القصيدتين.

وأعيرف جبل صغير في وسط حائل، والحميضات بطن من تميم في قفار، أمّا ذكر الخشيمات في أبيات عبدالله فلعله من النحل إذ سكناهم لقفار متأخرة عن عهده، كما أن البلدان التي يذكرها عبدالله في قصيدته مسكونة ببني تميم قبل زمن القصيدة.

ومن شعر حُمَيّر بن عيادة، القصيدة التالية، وهي من قصائد المعارضات:

اجليتوا العربان عن كل منزل ولا سد عنكم يا حمد در خوره
واويل من عصر تلوذون بيته أرذال قوم قاصرات شبوره
إن غاب عنكم مير التميمات ليله بـ (السَّلْفْ) جيتوا مثل ها في نسوره
بيح كنين القلب... والثالث جذّاب الدما من نحوره

(ي) جلعود بن لافي الهمزاني

لجلعود بن لافي قصيدة بعنوان «تقاسموا هذا تميم وشمر». عدد بها أهل المضافات الشهيرة بحائل، وذكر مجموعة من بيوت الكرم في قفار، والبلدان المتفرعة منها والقصيدة هي:

سميت باسم الواحد الرزاق الذي له كل خلقه خاضعين سجود
ومن بعد هذا أبدأ بنظم المثايل أبيات شعر قالها جلعود
والجود والمعروف والمدح والثناء في جو رزاق الملا موجود
وحشمة خوي الدرب والجار عندنا والضيف لا جانا ماهو مطرود
كلمة هلا بالضيف وأهلا ومرحباً هي رمزنا هي غاية المقصود
حائل وأهلها منبع المدح والكرم وحنا على نهج الكرام نجود

إلى قوله:

راعي جفيفا يوم قصف المرازق راعي صخا ما هو كما الجلمود
وابن لحيدان ان تنصاه ملتجي يعطيه مما يثمر العرجود

قدام باب البيت دايم واقف ويـاكم زهّب راعي القعود
وراعي السليمي له فعول غرّا يا جاه ملهود يشوف الفود
وراعي الجثامية كريم السجايا ياكم فرج كربة المضهود
ومنا ابن خربوش اللي له فعايل بابه عن ضيوفه ماهو مردود
يقول نعشي ضيفنا من نما الغيد ياصار في بعض الأمور صدود
وزيد الخوير اللي إلى الآن باقيه مقصورته تلفح عليها النود
داره لمن زاره تزف البشارة وفيها أدلال ما ارمردن بسمود
راعي قفار اللي حريص بواجبه في كل درب بالوفاء محمود
وزيد الخشيم ان جاه ضيفه حيّا كم من مقل منه شاف الزود
ولو ابي اعد أتعب ولاحصيت عدهم ولكن هذه مشاركة مجهود
سلمى ورمان وأجا مع سهالها له نصف طيب ونصف للنفود
تقاسموا هذا تميم وشمر لاهانوا اكرام اللحي بالكود

(ك) الخشيم

الخشيم اسمه زيد، وهو معاصر لزيد الخوير التميمي، وللتفريق بينهما ربما قيل للأخير، زيدان، ومن المرويات أنهما كانا في حملة حجاج حائل، في سنة من السنين، وبعد الحج استعجلا بالعودة، بمن معهما من أهل قفار، فشق ذلك على حجاج حائل، وقال قائلهم:

تر زيد وزيدان ما جزيوا بخير مانوخوهن عند حام الدبيلة

ولما قال الخوير:

لي ديرة سمر الغرايب قباله بشرقي أجا ياحلو شلّة قناها

قال الخشيم:

لي ديرة سمر الغرايب قباله بشرقي أجا يا حلو زمّة حيوره

في قصيدتين طويلتين مشهورتين، على أن هناك من يرى أن كلتا القصيدتين لآل الخوير، زيد وابن عمه دخيل، أمير قفار.

ورغم ما بين الخوير والخشيم من الألفة والوئام فقد تهاجيا وتلاحيا، ولما تغنى الخشيم بمحلته؛ الفرعة في قفار مفتخراً رد عليه الخوير بهجاء مقـذع[1]. وسبقت الإشارة إلى رواية منديل الفهيد عن طلب الخشيم للإمام عبدالله الفيصل بقصيدة جيدة حين زار حائل حتى أعطاه (الفرعة)[2]، والقصيدة هي:

رجلي تسوج وشـف بـالـي يـقـوده — الرجل ساجت مـادري وش بـلاهـا
طالبك تجبر خـاطـري مـن وجـوده — وتجللن بـاتـبـاع نـفـسـي هـواهـا
يا مـعـطـي سـرده وجـرده وقـوده — خيل تـرامـى بـالـجـرايـر حـذاهـا
لي ميـمـر عـيـا لـسـانـي يـعـوده — من كثر ما جـيـتـه نـدور عـطـاهـا
نجد كما الصيـوان وأنـتـم عـمـوده — ما تستقيم إلا بـشـعـلـة عـصـاهـا

والخشيم شاعر جيد العبارة، كريم مضياف وهو من بني خالد.

(ل) ابن صقيه راعي قفار

ابن صقيه اسمه عبدالله بن صقيه التميمي، من حنظلة، اختلف مع أمـيـر قفار، حُميِّر بن عيادة، ورحل عن بلدته وقال:

يا راكب من عندنـا فـوق عـرمـاس — عمليـة قـطـع الـفـيـافـي مـنـاهـا
تلفي لاخو (عبطا) على هجعة الناس — واليـا لفت للشيـخ هـو منتهـاهـا
من باعنـا بالرخـص بعنـاه بافـلاس — بيعة هـلـيـب ميسـن مـن رجـاهـا
طول الجدار وقصرة الرجل نومـاس — لا صـار مـا لًـلـرجـل داع دعـاهـا

وأخو عبطا هو حُمـيِّر بن عيادة، وابن صقيه هذا من أسرة الشاعر الكبيـر عبدالله بن علي بن صقيه التميمي المنتشرة في مدن حائل، وجبة، وسميـراء، والعظيم بمنطقة حائل، وفي خارجها في بلدان متعددة[3].

---

(١) روى لي فهد بن عبدالعزيز الخوير ـ رحمه الله ـ طرفاً من نقائضهما.

(٢) يرى الدكتور رشيد العمرو أن سكنى الخشيم بالضبط في قفار كانت قبل عهد آل رشيد، وهذا يناقض ما أوردناه في الخبر الذي ذكره الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري من أنَّ الخشيم حصل على منحة من الإمام عبدالله الفيصل إبّان إمرة طلال بن رشيد على حائل، وهي عبارة عن مبدع قليب.

(٣) ومن شعراء قفار دندن الفهيم. . وهو من ملاحظات الدكتور رشيد العمرو على مسودة الكتاب.

٣ ـ مشاهير أمراء قفار

تعاقب على إمارة قفار عدد من الأمراء من أشهرهم عقيل بن سلامة بن عيادة، وهو من أعلام الجبلين في زمنه، عاش في فترة لم يكن في حائل إمارة قوية ذات مركز حضاري مستقر، فكان عقيل بن عيادة ممن يتطلعون إلى تثبيت الأمن في حائل في ظل حكم منظم، وبلغ من شهرته في هذه النزعة أنّ محمد بن علي الذي أصبح أميراً لحائل كان يهدي إليه أبياتاً من الشعر تعبر عن مدى إعجابه بحكمته، وسداد رأيه، ونزوعه إلى أن يكون في حائل قيادة يطمئن الناس إليها وكان ذلك قبل وقعة العدوة في عام ١٢٠٥هـ التي انضوى بعدها أبناء حائل تحت مظلة الدولة السعودية الأولى(١).

وينتمي عقيل بن سلامة إلى آل عيادة من النواصر، والنواصر كما يقول الأستاذ حمد الجاسر قبيلة تميمية تتفرع منها أسر كثيرة، ونقل الأستاذ حمد عن الشيخ عبدالله البسام أنهم: من ذرية عبّاد بن الحصين بن عباد وبعباد هذا سُمي عبادان في دولة بني تميم بالبصرة منهم آل عيادة وآل رحمة والرومي والحمران، وباديتهم في بر فارس، ولهم عالية شط (كارون) في الأهواز ومنهم نواصر نجد الحميضات أهل المذنب وأهل قفار وتوابعهم(٢)... وقال الشيخ البسام في ترجمة الشيخ عثمان بن منصور الناصري - قاضي قفار - قال المترجم له بالحرف الواحد: لما سافرت من البصرة عام ١٢٣٦هـ مع شط كارون - دجيل قديماً - مع أناس في سفينة وجدت النّواصر(٣) نازلين على فلائح لهم بالأهواز فسألتهم من أي النّواصر؟ فقالوا: نحن من آل عباد وآل رحمة وآل حمران وآل بو

---

(١) وذكر الدكتور العثيمين أنَّ محمد بن علي قد نُصب أميراً على حائل من قبل حجيلان بن حمد التميمي أمير القصيم، وذلك في تحقيق العثيمين لكتاب «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

(٢) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص٨٤٧.

(٣) أخبار آل عيادة أهل قفار وعلاقتهم بآل عيادة في البصرة نقلته عن روايات الشيخ عثمان بن منصور وكتب الشيخ ابن زاحم والشيخ ابن بسّام والشيخ حمد الجاسر، وقال الدكتور رشيد العمرو: إن آل عيادة في قفار هم غير آل عيادة في البصرة وسواها.

حسين والرومي[1].

أما عبّاد بن الحصين فهو الفارس المشهور المقدام الذي كان يـعـدل فـي المعارك بألف رجل[2]، وقد ولي شرطة البصرة في أيام ابن الزبير وقبلها كـان شهد فتح كابل - ببلاد الأفغان الآن - وهو من سجستان قديمـاً، وفي أخريات أيامه عاد إلى كابل وهو مفلوج وبها قتل عام ٨٥هـ[3].

ويُكنى عباد بأبي جهضم، وهو فارس بني تميم في عصره، وذكره الجاحظ في حديثه عن إحدى الوقائع وقال: إنه فارس الناس دون مـدافـع[4] ومن نسله «مسور الخيل» وهو المِسْوَر بن عمرو بن عباد الذي عناه الفرزدق بقوله:

ومـا انكشفـت خيـل ببابـل تتقـى ردى الموت إلا (مسور الخيل) واقف[5]

قال الجاحظ: اطنب مسور الخيل ذات يوم في وصـف عـتّاب بن حسكة الحبطي التميمي فقال قائل: لقد كان عتاب قلعاً قال: وما يضره ذلك والفارس النجيد في كفه كالخرنق، ونقل الخولي عن ابن دريد: أنّ عتاباً كان أحد بني تميم بخراسان له ذكر وصيت[6].

وقد خلف عقيل بن سلامة على إمارة قفار ابن عمه حُمّير بن فريح بن عيادة المتقدم ذكره، ولـم يُعرف في بني عمرو بهذا الاسم غـيـر حُميري بن هـلال المازني[7] صاحب خصومة «المرغاب»[8] مع عبدالله بن أبي بكرة في عصر بني أمية، وهو ابن هلال بن أحوز، وهلال قائد من الشجعان القساة، قال الزركلي:

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٤٨.

(٢) حسين حسن: أعلام تميم، ص٣٦٢، وترجم له فقال هو: عبّاد بن الحصين بن عمرو بن أوس بن سيف بن الحارث ـ الحبط ـ بن عمرو بن تميم.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الجاحظ: العميان، ص١٤.

(٥) ديوان الفرزدق.

(٦) الجاحظ، نفس المصدر، ص١٧٣.

(٧) مازن والحارث (جد النواصر) من بني عمرو بن تميم.

(٨) المرغاب: بخراسان بين هراة ومرو.

عرّفه ابن حزم بقاتل المهلب بـ «قنديل» قال البلاذري: هرب بنو المهلب[1] إلى السند في أيام يزيد بن عبدالملك فوجه إليهم هلال بن أحوز فقتلهم بـ «قندابيل»[2] وتبارى جرير والفرزدق في مدح هلال وأطرائه بعد عودته من البصرة[3].

وقد تقدم طرف من أخبار حُمَيِّر بن فريح بن عيادة، وهو شاعر قوي العبارة، كثير الفخر، عُرف بالصلابة والدهاء، وهلك أكثر ذويه بحميّ قفار، وله قصر شامخ البنيان لا يزال قائماً على يسار المتجه من حائل إلى المدينة المنورة وتُرى بعض الأطلال المتصلة بالقصر قديماً على يمين الطريق في سفح جبل أجأ ليست بعيدة عنه.

وقد توفي حُمَيِّر في مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ولحُمَيِّر ذكر حسن ويعتبره تميم حائل من مفاخرهم، وكثيراً ما تغنوا بقصائده، وأشادوا ببطولته ودهائه. قال السنافي في قصيدة يعدد بها أعلام الجبلين ومشاهيرها:

وحُمَيِّـــر المشهــور وعـواد ومثيـب   حمر النواظر كان صار الدهـر شـيـن

ومطلع القصيدة:

سميــت وادنيـت النجايب من النيب   نجايب يزهن جديد الـسـبـاهـيـن[4]

والنجائب هي النوق الكرام، قال الشاعر:

ودويـــه قفـــر تحار بهـــا القطـــا   إدلاء ركبيـهـا بـنـات الـنـجـائـب

والدوية هي المفازة المغبرة، يعني أن السارين بها يستدلون على الطريـق فيها بما يسقط في الطريق من ولاد النوق النجيبات فتبقى مطروحة على الطريق، وأراد بالركبين الذاهب والجائي[5].

---

(١) آل المهلب أو المهالبة من العتيك من الأزد الكهلانية القحطانية.

(٢) الزركلي: الأعلام، مادة الهاء.

(٣) وقال ذو الرمّة:

رفعـت مجـد تميم يا هلال لها   رفع الطـراف على العليا بالعمد

حتـى نســاء تميم وهـي نازحة   بقلــة الحزن فالصمــان فالعقــد

ووترت اليمن بذلك اليوم، وكان الطّرماح لا ينفك يفخر على تميم بفعال المهالبة:

تفاخـر بابـن أحوزهـا تميـم   لقد حـان المفاخـر لـي وحانـا

(٤) ديوان شاعر اللوى.

(٥) ابن الأثير: المرصّع، ص ٢٧١.

أما السنافي فهو شايع بن رباح أمير العيساوية وهو من الحمران من تميم ومن شعره:

ما دام ستر الله على الناس ضـافـي — صدور المجالس ضايقه بالصنـاديـد
ولا صار بأطراف الحدود اختـلافـي — كنك تراعي لك حـبـاري مـلابـيـد
واليا صفى الصافي وصارت عوافـي — ردوا كما كـانـوا وصـاروا مـواريـد
الناس في عصر ماحد فـيـه خـافـي — راع الغنم يعرف كما يعرف السيـد[1]

ولما مات حميِّر بن فريح بن عيادة خلفه على إمارة قفار دخيل الخويـر التميمي من أسرة الخورة المشهورة. وأملاك هؤلاء في الطرف الجنوبي الشرقي من قفار.

ودخيل هو صاحب القصيدة الحربية التي مطلعها:

مـن قفـــار وحايــل ظهرنـــا — واعتـلـيـنـا ظـهـور الـنـجـايـب

قالها أثناء الإعداد لغزوة الجوف أيام تكوين الإمارة الرشيدية بحائل، وسبقت الإشارة إلى خبر هذه الغزوة، وتجييش الجيش في قفار، وذكر ابن جنيدل فـي تعداده لأحياء مدينة الجوف حي الرحيبيين وأن ممن اشتهر من هؤلاء خليف بن عرسان الخليف الذي يخاطبه عبيد بن رشيد بقوله:

يا مــن يبشر بـي خـلـيـف وحـطّاب — تبشير فرعون بـمـوسـى وهـارون

قال ابن جنيدل: وفي خليف تقول الشاعرة ظاهرة الشراريـة، وقـد أخـذ السبيلة لها غنماً فشكت إليه أمرهم فرد عليها غنمها منهم.

يا خليـــف عيــوا لا يجــون السبيلة — متجزعين كيف لـلـحـق يـمـشـون
الحــق ظلمــا والمصقــل دليلـــه — ولا تنقضي حاجات من يتبع الـهـون

وذكر أن الرحيبيين ٤٠ بيتاً أهله من تميم يُقال: إنهم نازحون من قفار وأن من أقاربهم السميحان في حي ينسب إليهم ويتكون من ١٥ بيتاً [2].

وذكر عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير أن الرحيبيين هم من أقارب آل سلامة

(١) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص٥٥.
(٢) ابن جنيدل: بلاد الجوف أو دومة الجندل، ص١٢٦.

الذين ما يزالون في قفار، ومن مرويات العامة في قفار أن جد الرحيبيين قال حينما رحل من قفار الى الجوف:

جليت عن دار المفيدي محمد   يوم العذارى ما يبطل نديبه

وقال ابن جنيدل أن خليف بن عرسان الرحيبي التميمي كان ذا مكانة ونفوذ في الجوف، وخليف هو صاحب السيف «دابان» مضرب المثل، قال ابن صقيه:

يا العمروي يا مروي السيف دابان   ترويه من دم العدا لا تعزويت
جدك تنزَّح من (قفارٍ) على شان   كسب العلا وانته على الجد عليت

هذا وقد مات دخيل الخوير التميمي أمير قفار في حدود عام ١٢٨٥هـ في وقت قريب من وفاة ابن عمه المشهور زيد الخويرالتميمي، وقد سبقت الإشارة إلى أن الإمام عبدالله الفيصل منح زيداً الخشيم الخالدي (مبدع قليب) في غربي قفار بعد أن مدحه بقصيدة نبطية أثناء زيارته لحائل في عهد أميرها طلال بن عبدالله بن رشيد (١٢٦٣- ١٢٨٥هـ) وذكر الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء أن زيداً الخشيم قد أصبح أميراً لجزء من بلدة قفار[1] - وهو الجزء الذي تم اقطاعه إياه - وقد تزامنت إمارة الخشيم على جماعته مع الفترة الأخيرة من إمارة دخيل الخوير على قفار، وذكر الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: ان ابن رشيد غضب على الخشيم أمير قفار وعزله عن الإمارة وجعل مكانه القنصعي نائب الخوير[2].

وبعد دخيل الخوير تولّى إمارة قفار ناصر بن عفنان التميمي ومحلته في جنوب شرقي قفار، وقصره لا يزال قائماً شمال منزل الخوير، وروى فهد بن عبدالعزيز الخوير أن ناصر بن عفنان - أمير قفار - وأخاه راشد بن عفنان، كانا على جانب كبير من الثراء والدهاء، ولما بطش الأمير محمد بن رشيد بآل جبر أشفق هذان الأخوان على البقية الباقية منهم فأضافاهم في قصرهما المشار إليه في دور وسراديب مدة من الزمن، وحدثني الشيخ سليمان اليعقوب بحديث قريب

(١) السويداء: القهوة العربية، ص   .

(٢) ابن عقيل: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ص١٤٨.

من حديث الخوير، والشيخ سليمان من آل يعقوب وهم أسرة من أهل الفضل والعلم في مدينة حائل، وكانوا قبلها في قفار.

ومن أخبار آل عفنان أهل قفار أن كبيرهم ناصر قد بلغ من ثرائه أنه كان يجلب عدداً من الخيل والعبيد من سوق المدينة المنورة إلى قفار ثم يجلبها إلى حائل في سوق يحمل اسم (عفنان) في وسط المدينة.

وبعد ناصر بن عفنان تولّى إمارة قفار علي بن رشيد بن عيادة في رأس القرن الثالث عشر الهجري، وكان هذا الأمير صلباً، قيل أنه امتنع على الأمير محمد بن رشيد عندما أراد منح قطعة أرض لأحد الراغبين في الاستيطان بقرب قفار، بل لقد قيل إنه قال: إذا حفر هذا الرجل بئراً فسوف نردمه عليه. مع أن علياً هذا كان في فترة بدأ يضعف فيها شأن قفار بسبب الحمى، والحروب. قال ألويس موزل الذي زار قفار في عام ١٩١٥م: وفي السنوات الأخيرة اجتاح مرض الحمّى القرية فقضى على النساء والأطفال، بينما هلك الرجال في الحروب.

والذي يلاحظ هو أن آل عيادة الذين منهم علي بن رشيد كانوا من بين الأسر التي اثّرت فيها الحمى تأثيراً قوياً فمات أكثرهم في قفار، على أنه مما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من الأسر كآل مفيد وآل حمران والمزاريع وغيرهم من آل حماد قد نزحوا من قفار قبل الحمى بزمن طويل فعمروا بلداناً جديدة في منطقة حائل وفي غيرها من المناطق النجدية من البلدان.

وفي قفار الآن أسر قليلة تنتمي إلى آل عيادة صليبة، وأسر أخرى في قفار والحائط تنتمي إليهم ولاءً لا صليبة[1].

وتوليّ إمارة قفار بعد علي بن رشيد بن عيادة عفيصان بن سليمان بن عفيصان، وهو من آل الخوير ومحلة ذويه غرب محلة آل الخوير في جنوب شرق قفار، وفي هذه المحلة قصور وأسوار.

وممن تولى الإمارة في قفار فريحان الموكا، وفي عام ١٣٥٠هـ تم تعيين

(١) ومنهم أسر في تيماء وموقق.

عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن راشد الخوير التميمي أميراً لقفار، فظل أميراً بها حتى وفاته في عام ١٤٠٤هـ، ثم تولى الإمارة من بعده ابنه راشد الخوير وعند إنشاء مراكز الإمارة في منطقة حائل، أسس مركز لإمارة قفار في عام ١٣٩٨هـ، ورئيسه الآن راشد المذكور والمركز يخدم قفار، وبدائع قفار، والنقرة، ومريفق، وبدائع مريفق، وحمراء الوبير.

وفي شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٩هـ أقام بنو تميم بحائل حفلاً كبيراً احتفاءً بصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام أثناء زيارته لمنطقة حائل، فقدم لسموه راشد الخوير أمير قفار درعاً تذكارياً نيابة عنهم، بعد أن ألقى كلمتهم الأستاذ الأديب المربي عبدالله بن تركي البكر التميمي، وألقى القصيدة الترحيبية الشاعر عبدالمحسن بن حمود الهذيلي التميمي، وقدم الحفل الأستاذ رشود بن عمر التميمي.

وفي قصيدة الهذيلي ورد قوله:

حنا تميم محاربة صفر الأعيان   نرفع بيارقكم على العسر واللين
من عهد فيصل ما بنا واحدٍ خان   واضدادكم نبني على راسه الطين

في إشارة إلى حادثة بني تميم مع الترك في قفار.

الفصل الخامس

النهضة الحديث في قفار

١ – المـــــدارس

٢ – حلقات التدريس

٣ – الجمعية التعاونية

٤ – الحاصلون على الشهادة الجامعية فما فوق

٥ – مركز التنمية الاجتماعية

٦ – المخطط السكني الحديث

٧ – مركز الرعاية الصحية

٨ – نادي قفار الرياضـــــي

١ - المدارس

توجد بـ «قفار» مدرستان ابتدائيتان، ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية، وافتتحت أول مدرسة ابتدائية بها وهي مدرسة عبدالله بن مسعود في عام ١٣٧٥هـ، وبها ٨ فصول، يدرس بها ١٣٣ طالباً.

وافتتحت المدرسة الابتدائية الثانية في قفار وهي مدرسة بلال بن رباح في عام ١٣٩٨هـ، وبها ٦ فصول، وعدد الدارسين بها الآن يبلغ ٥٤ طالباً.

أمّا متوسطة قفار فقد افتتحت في عام ١٣٩١هـ، وبها ٧ فصول، وعدد الطلاب بها في هذا العام ١٩٣ طالباً، وتخرج منها ٤٠٣ من الطلاب.

وفي عام ١٤١٢هـ تم افتتاح ثانوية قفار، وعدد فصولها ٦ فصول، يدرس بها ١٣٠ طالباً وتخرج منها منذ تاسيسها ٦٠ طالباً.

أما مدارس البنات فهي ابتدائية ومتوسطة وثانوية، وقد افتتحت المدرسة الابتدائية للبنات في قفار في عام ١٣٩٤هـ وعدد فصولها ٨ فصول ويدرس بها ٢٠٧ من الطالبات. هذا في حين تم افتتاح متوسطة قفار للبنات في عام ١٤٠٤هـ وعدد الدارسات بها يبلغ ١٧٥ طالبة في ٦ فصول وتخرج منها ٢٥٨ طالبة.

وفي عام ١٤١٣هـ تم افتتاح ثانوية قفار للبنات وعدد فصولها ٤ فصول وعدد طالباتها ١٠٢ طالبة وبلغ عدد الخريجات من هذه الثانوية ٢٦ طالبة.

وفي بداية التعليم النظامي بقفار، وحينما افتتحت أول مدرسة ابتدائية بها تولى التدريس في تلك المدرسة عدد من المعلمين هم مدرسو قفار القدماء الذين أسهموا في نشر العلم والمعرفة وتتلمذ على أيديهم مجموعة من الطلاب الذين حصلوا بعد سنوات طويلة من الجد على درجات علمية عالية وخدموا في مجالات التعليم والإدارة والسلك العسكري.

مبانٍ حديثة تحت الإنشاء في قطر

وأبرز أولئك المعلمين القدماء في قفار:

١- محمد الملاحي.

٢- عبدالله السردي.

٣- إبراهيم الشعيب.

٤- عبدالعزيز البكر.

٥- بكر العمـــر.

٦- سليمان الراشد

٧- محمد البخيت

٢ - حلقات التدريس

يوجد في قفار ٢٣ مسجداً منها ثلاثة جوامع ومصلى للعيد.

ويتولى إمامة الجوامع الثلاثة حالياً:

١- فضيلة الشيخ ناصر بن فهد بن عبدالعزيز الخوير القاضي بالمحكـمـة الكبرى بحائل

٢- فضيلة الشيخ تركي بن عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير التميمي.

٣- الشيخ فهد بن سالم السلامة التميمي.

وتقام في قفار حلقات للتدريس في المساجد الآن ويتولى التدريس فيها:

١- مبارك بن عبدالعزيز الخوير التميمي.

٢- تركي بن عبدالعزيز الخوير التميمي.

٣- عبدالمحسن بن عبدالعزيز الخوير التميمي.

٤- سعود بن راشد الخوير التميمي.

٥- أحمد بن راشد الخوير التميمي.

٣ - الجمعية التعاونية

وفي قفار جمعية تعاونية متعددة الأغراض تأسست فـي عـام ١٣٨٢هـ،

ورأس مالها ٤١,٩٥٠ ريالاً وعدد الأسهم ٤١٩٥سهماً، وسعر السهم ١٠ ريالات، ومقدار المبلغ القابل للتوزيع في نهاية العام ١٤١٥هـ ٣٤٥,٧٥, ١٠٠ ريالاً.

٤ - الحاصلون على الشهادة الجامعية فما فوق من أهل قفار

١- الشيخ ناصر بن فهد الخوير التميمي.
٢- الدكتور رشيد فهد العمرو.
٣- الدكتور علي سالم العصيفير.
٤- الدكتور سعود فهد العمرو.
٥- عبدالرحمن بن سالم العصيفير.
٦- عبدالرحمن بن سليمان العيادة التميمي.
٧- عيسى عبدالله الملاحي التميمي.
٨- عبدالرحمن فهد الخوير التميمي.
٩- عبدالمحسن عبدالعزيز الخوير التميمي.
١٠- إبراهيم فهد سالم السلامة التميمي.
١١- صالح بن فهد العمرو.
١٢- علي بن فهد العمرو.
١٣- عبدالعزيز رشيد العمرو.
١٤- خالد حمد القنون.
١٥- فهد حمد القنون.
١٦- خلف عبدالعزيز الخوير التميمي.
١٧- علي عبدالعزيز الخوير التميمي.
١٨- سعود راشد الخوير التميمي.
١٩- تركي عبدالعزيز الخوير التميمي.
٢٠- مطلق راشد الخوير التميمي.
٢١- هذال ليل البركـة.

٢٢- محمد عبدالعزيز الخوير التميمي.
٢٣- متعب ليل البركة.
٢٤- مبروك حمود الشمري.
٢٥- علي منسي الشمري.
٢٦- عبدالله فهد السلامة التميمي.
٢٧- حمود يوسف المزيني.
٢٨- نواف خليف الويباري الشمري.
٢٩- عبدالرحمن سليمان العبدالله.
٣٠- مياح سليمان العبدالله.
٣١- محمد سليمان العبدالله.
٣٢- إبراهيم سالم المحمد التميمي.
٣٣- رشيد حسن العقيل.
٣٤- طامي مسلم الشمري.
٣٥- محمد مناحي الشمري.
٣٦- إبراهيم المبـروك.
٣٧- عارف عبدالهادي الشمري.
٣٨- سعود صالح فيصل الشمري.
٣٩- علي صالح فيصل الشمري.

٥ - مركز التنمية الاجتماعية بقفار

من أهم مراكز الخدمة في منطقة حائل مركز التنمية الاجتماعية في قفار، أنشىء هذا المركز في عام ١٣٨٢هـ وتولى إدارته عدد من الأساتذة منهم:

١- عبدالكريم المهنا من عام ١٣٨٢هـ - ١٣٨٣هـ
٢- علي عبدالله الراجح من عام ١٣٨٤هـ - ١٣٨٦هـ
٣- حمّاد محمد الناصر من عام ١٣٨٧هـ - ١٣٩٣هـ

٤- حمد سعد الحريبي من عام ١٣٩٤هـ - ١٣٩٥هـ
٥- زيد علي الحمندي من عام ١٣٩٦هـ - ١٣٩٧هـ
٦- محمد سالم الحمندي من عام ١٣٩٨هـ

وهذا تقرير موجز عن هذا المركز

يقوم مركز التنمية الاجتماعية بقفار بخدمات جليلة للنهوض بالمجتمع المحلي وذلك عن طريق تنفيذ العديد من البرامج والمشاريع الاجتماعية والصحية والثقافية معتمداً بذلك على المشاركة الأهلية المادية والمعنوية والجهد الذاتي في هذه البرامج والمشاريع وكذلك على الدعم الحكومي.

القسم الإداري: الموظفون الإداريون والمستخدمون وعددهم (١٣) موظفاً.

القسم الاجتماعي بشقيه الرجالي والنسائي ويعمل به (٢٣) موظفا منهم عدد (٧) على وظائف رسمية (١٦) موظفة برواتب مقطوعة على ميزانية البرامج والأنشطة وجميعهن عاملات برياض الأطفال ودور الفتاة.

القسم الصحي: وهو عبارة عن مركز للرعاية الصحية الأولية، يوجد داخل مبنى المركز ويعمل به (١٠) من الموظفين ويخدم قريتي قفار ومريفق ويتم الإشراف الإداري المباشر عليه من قبل إدارة المركز وتتولى إدارة المركز تذليل الصعوبات التي تعترض سير العمل فيه.

القسم الثقافي: ويوجد به أخصائي ثقافي تابع لوزارة المعارف ويتولى الإشراف على مكتبة المركز وتشغيلها إلى جانب تنفيذ البرامج الثقافية التي تعتمدها الوزارة في خطة المركز السنوية.

القسم الزراعي: هذا القسم متوقف عن النشاط منذ عام ١٣٩٨هـ وقد حاولت إدارة المركز إعادة نشاط هذا القسم بالطرق الرسمية والشخصية وذلك مع مديرية الزراعة والمياه بحائل إلا أن ذلك لم يتم إلا على فترات متقطعة وقصيرة لم يستطع معها القسم القيام بالعمل المطلوب منه.

اللجان الأهلية العاملة في المركز:

يعمل مع المركز (٤) لجان تنمية اجتماعية محلية وذلك لسد احتياجات المجتمع المحلي في النواحي الاجتماعية والصحية والثقافية والزراعية وبحث احتياجات الأهالي والإسهام مع المركز في تخطيط وتنفيذ البرامج والمشاريع التي يحتاجها المجتمع المحلي فهي حلقة وصل بين المركز والمجتمع المحلي وهذه اللجان هي:

١- لجنة التنمية الرئيسة بقفار.

٢- لجنة التنمية الاجتماعية بموقق.

٣- لجنة التنمية الاجتماعية بعقلة ابن جبرين.

٤- لجنة التنمية الاجتماعية المحلية بالصهوة.

وتعمل جميعها وفق لائحة اللجان الأهلية الصادرة من مقام وزارة العمل، وكل لجنة لها حساب مستقل في البنك لإيداع إيراداتها به، ويصرف منه حصة كل برنامج أو مشروع.

نشاطات المركز

١- الإشراف المباشر على نشاطات وأعمال الجمعيات التعاونية والخيرية بمنطقة حائل وعددها (٧) جمعيات خيرية و(١٣) جمعية تعاونية حيث يقوم المركز بالإشراف الإداري والمالي على هذه الجمعيات حيث يوجد باحثون اجتماعيون ومحاسبون متخصصون بالمركز يقومون بزيارة هذه الجمعيات وإعداد التقارير اللازمة عنها وحضور اجتماعات جمعياتها العمومية.

٢- تنظيم برامج النشاط النسوي ورعاية الطفولة: حيث يتبع المركز عدد (٥) رياض أطفال في كل من قفار/ النقرة/ مريفق/ موقق/ الودي/ وعدد الملتحقين بها من الأطفال (١٦٨) طفلاً وطفلة. وكذلك عدد (٣) دور فتاة لمحو أمية السيدات وتعليمهن مباديء الخياطة والتطريز والتفصيل والتدبير المنزلي حيث تدرس الملتحقة منهن بمركز محو الأمية وفق المنهج المعد من الرئاسة العامة

لتعليم البنات حسب المرحلة التي تدرس بها، ويعقد لهن اختبار في كل عام على مرحلتين بإشراف إدارة تعليم البنات وتمنح الدارسة شهادة من الرئاسة بالمرحلة التي تتخرج منها حيث يوجد عدد (٦٢) دارسة لهذا العام الدراسي، ويقام بالمركز معرض سنوي لمشغولات دور الفتاة من الأشغال الفنية والخياطة والتطريز وأعمال التدبير المنزلي.

٣- دعم أنشطة الشباب والإشراف عليها والمتمثلة في شغل وقت فراغ الشباب عن طريق تشكيل مجموعات الشباب في القرى وإقامة البرامج المفيدة والنافعة لهم، وكذلك إقامة الدورات التدريبية السنوية للشباب مثل دورة الآلة الكاتبة الأولى بالمركز والثانية بموقق حيث يمنح الدارس شهادة إتمام الدورة مصدقة من المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، وقد اجتاز الدورة في عام ١٤١٦/١٤١٧هـ (١٤) دارساً.

٤- المشاركة في حملات التوعية والإرشاد عن طريق المساهمة في أسابيع الخدمة العامة بإعداد النشرات.

٥- دعم وتشجيع جماعات تحفيظ القرآن الكريم بالمنطقة، وكذلك تنظيم المسابقات الثقافية بين المدارس الواقعة ضمن منطقة الخدمات، وكذلك تشجيع ارتياد مكتبة المركز وإتاحة الفرصة لإعارة الكتب للراغبين في الاطلاع والقراءة.

٦- تنظيم دورة في الإسعافات الأولية لطلاب المدارس سنوياً بواسطة المختصين بالمركز الصحي حيث التحق في العام الماضي ١٤١٦هـ في هذه الدورة (٢٥) طالباً.

٧- التعاون والتنسيق مع مراكز الرعاية الصحية الأولية بمناطق الخدمات لنشر الوعي الصحي بين الأهالي.

٨- كما أن المركز يقوم بالتعاون مع اللجان بدراسة أي برنامج أو مشروع جديد تتطلبه حاجة المجتمع المحلي، حيث إن برامج ومشاريع اللجنة قابلة للتجديد والتطوير حسب متطلبات المجتمع المحلي.

أسماء الجمعيات الخيرية بالمنطقة التي يشرف عليها المركز:

١- الجمعية الخيرية بحائل.
٢- الجمعية الخيرية بالروضة.
٣- الجمعية الخيرية بموقق.
٤- الجمعية الخيرية بالغزالة.
٥- الجمعية الخيرية بتربة.
٦- الجمعية الخيرية بجبة.
٧- الجمعية الخيرية بالشملي.

أسماء الجمعيات التعاونية بالمنطقة التي تقع تحت إشراف المركز:

١- الجمعية التعاونية متعددة الأغراض بحائل.
٢- الجمعية التعاونية بالحليفة العليا.
٣- الجمعية التعاونية بالمستجدة.
٤- الجمعية التعاونية بقفــار.
٥- الجمعية التعاونية بالروضة.
٦- الجمعية التعاونية بالمضيح.
٧- الجمعية التعاونية ببحرة.
٨- الجمعية التعاونية بغمرة.
٩- الجمعية التعاونية بالشويمس.
١٠- الجمعية التعاونية بالوهيبية.
١١- الجمعية التعاونية بالفيضة.
١٢- الجمعية التعاونية بجبة.
١٣- الجمعية التعاونية بالصغوى.
١٤- الجمعية التعاونية بالشملي (تحت التصفية).
١٥- الجمعية التعاونية بالنيصية.

٦- المخطط السكني الحديث

قامت بلدية منطقة حائل بتخطيط الأراضي الواقعة جنوب قفار، وغربها، فيما بينها وبين جبل أجأ، تخطيطاً منظماً حتى مدخل (ريع السّلف) الشهير، وتم توزيع أراضي المخطط على الأهالي، وأنشأ الأهالي عليها المباني السكنية بعد أن حصل أغلبهم على قروض من صندوق التنمية العقاري، ويقسم الطريق المتجه من حائل إلى المدينة المنورة المخطط إلى قسمين متقابلين شرقي وغربي، وهناك مجال لزيادة المخطط الغربي بالاتجاه شمالاً بمواجهة البلدة القديمة، ويشتمل المخطط الأول ورقمه (٣٢٩) على (٨٨٠) قطعة، ويشتمل الثاني ورقمه (٥٧٩) على (٤٨٦) قطعة.

وفي قفار خدمة كهربائية، وهاتفية، ومكتب بريد.

٧ - مركز الرعاية الصحية

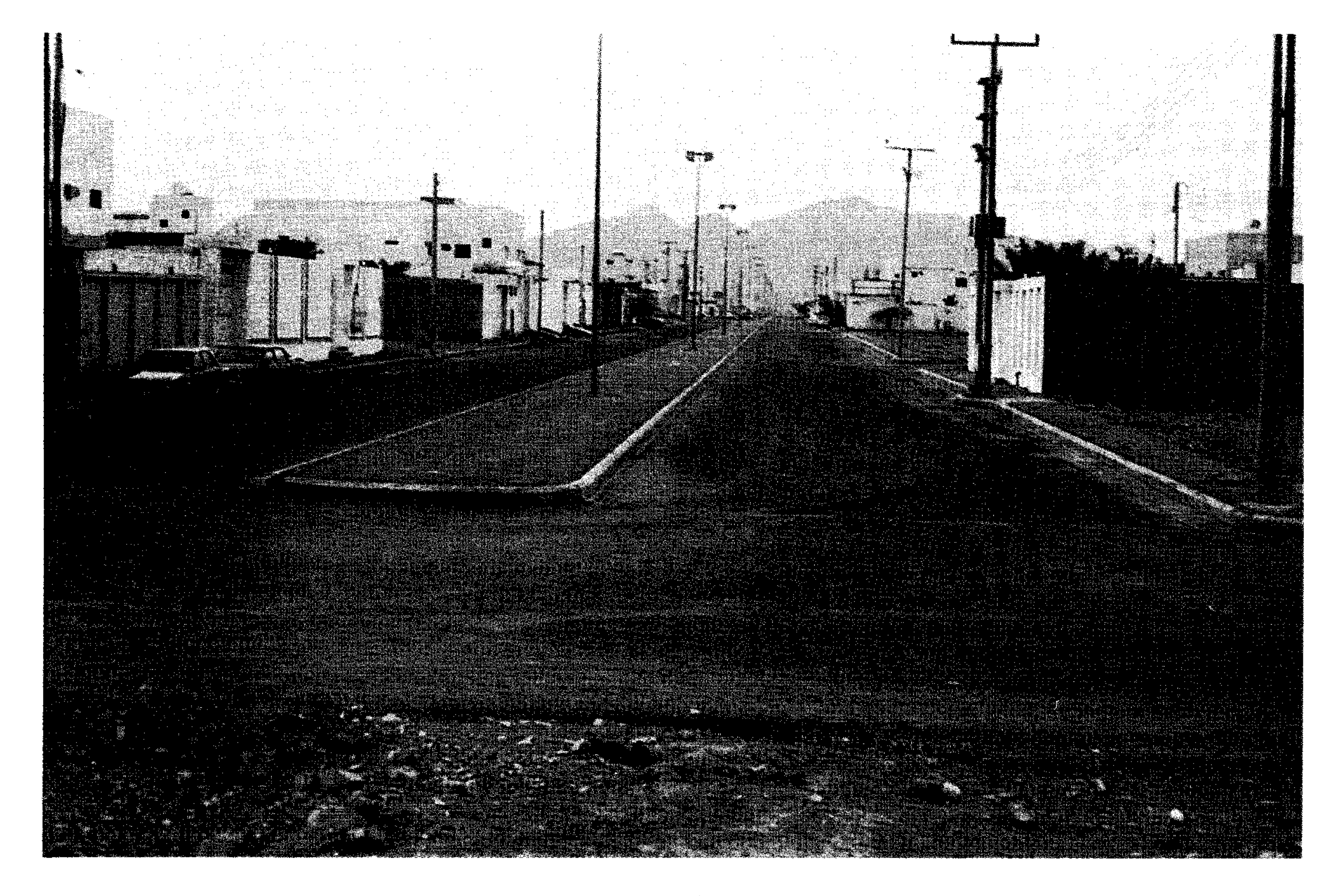
مركز الرعاية الصحية بقفار هو أول مركز افتتح بمنطقة حائل، وكان ذلك في ٣/ ٨/ ١٣٨٢هـ وهو يشغل جزءاً من مركز التنمية الاجتماعية بالبلدة، ويخدم قفار ومريفق، ويعمل به الآن طبيبان، وثلاث ممرضات، وممرض، ومساعد صيدلي، ومراقب صحي، وفني مختبر، وسائق، ومستخدم، ومستخدمة، ويبلغ عدد المستفيدين من هذا المركز ٣٠٤٩ نسمة.

٨ - نادي قفار الرياضي، الثقافي، الاجتماعي

تأسس النادي الرياضي في قفار عام ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ ويقع مقره في داخل البلدة القديمة، غير أن الملاعب تقع شمال المخطط السكني الجديد غرب طريق حائل المدينة المنورة في مقابل (الرّصف) في جبل أجأ، وبها ملعب مزروع لكرة القدم بمرافقه.

ويتكون مجلس إدارة النادي الحالي من:

١- فهد عواد السمران — رئيس مجلس الإدارة



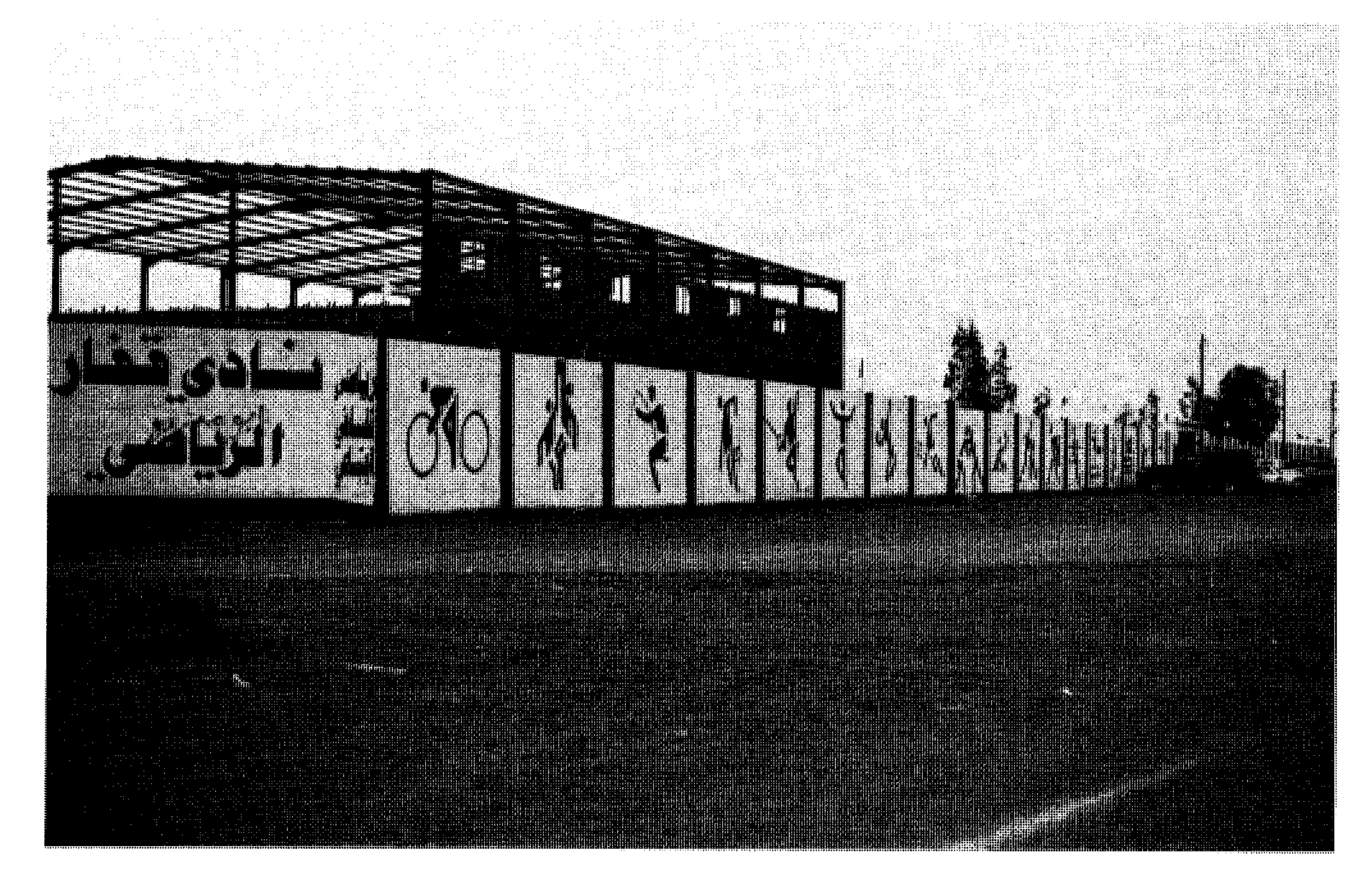
العمران الحديث في قفار

٢- خلف عبدالعزيز الخوير التميمي	نائب رئيس مجلس الإدارة
٣- عارف نادر الحربي	أمين عام النادي
٤- ماجد يوسف المرشدي	أمين الصندوق
٥- صالح أحمد العوض	عضواً
٦- أحمد راشد الخوير التميمي	عضواً
٧- محمد صالح فضي المبارك	عضواً
٨- نصار نايض الرشيدي	عضواً
٩- عبدالهادي خالد الشمري	عضواً
١٠- ناصر عبيد الهمزاني	عضواً

ويعمل بالنادي كل من:

١- أيوب عبده سرو	مدرب دراجات
٢- مؤمن حجازي الباجوري	مدرب كاراتيه
٣- خالد عواد السمران	مدرب كرة اليد
٤- محمد سعيد الفايز الشمري	مدرب كرة القدم للفريق الأول
٥- سعود سالم الحسين	مدرب كرة القدم ناشئين وشباب
٦- محمد أحمد محمود العشيري	مشرف اجتماعي
٧- محمد فؤاد رضوان	مشرف ثقافي
٨- عادل عبدالله القرملة	مدرب الجودو
٩- خالد يوسف المرشدي	مدرب كرة المضرب
١٠- محمد إبراهيم المجحدي	مدرب تنس الطاولة
١١- ديفنديران ساناتا	عامل
١٢- انيفا سليم	عامل
١٣- محمد كانو شوكت	سائق

وللنادي نشاطات اجتماعية، ورياضية، وثقافية.



نادي قفار الرياضي

ويتمثل النشاط الرياضي بـ (١٤) لعبة هي:

كرة القدم / الطائرة / السلة / اليد / الدراجات / تنس الطاولة / كرة المضرب / السباحة / ألعاب القوى / رفع الأثقال / الجمباز / السلاح / الكاراتيه / الجودو.

إنجازات النادي

١- في كرة القدم:

- حقق النادي بطولة المنطقة لأندية الدرجة الثانية عام ١٤٠٩هـ.
- حقق النادي بطولة المنطقة لأندية الدرجة الثانية عام ١٤١٢هـ.
- حقق النادي بطولة المركز الثاني للشباب عام ١٤١١هـ.
- حقق النادي بطولة المركز الثاني ناشئين عام ١٤١١هـ.
- حقق النادي بطولة المنطقة لأندية الدرجة الثانية عام ١٤١٤هـ.
- حقق النادي بطولة المركز الثاني لأندية الدرجة الثانية عام ١٤١٥هـ.
- حقق النادي بطولة المجموعة عام ١٤١٦هـ.
- حقق النادي المركز الثاني لكأس ولي العهد عام ١٤١٧هـ.

٢- في الدراجات:

- حصل النادي على بطولة حائل للشباب عام ١٤٠٨هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل ناشئين عام ١٤٠٩هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للدرجة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للناشئين عام ١٤١٠هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للناشئين عام ١٤١١هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للدرجة الأولى عام ١٤١٢هـ
- حصل النادي على بطولة الناشئين عام ١٤١٢هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للدرجة الأولى عام ١٤١٣هـ.

- حصل النادي على بطولة الشباب عام ١٤١٣هـ.
- حصل النادي على بطولة الناشئين عام ١٤١٣هـ.
- حصل النادي على بطولة منطقة حائل والقصيم لدرجة الشباب عام ١٤١٤هـ.
- حصل النادي على بطولة منطقة حائل والقصيم للدرجة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- حصل النادي على بطولة المملكة للأندية أبطال المناطق لدرجة الشباب عام ١٤١٤هـ.
- حصل النادي على بطولة المملكة للأندية أبطال المناطق للدرجة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- وصعد النادي للدوري الممتاز في درجتي الأولى والشباب بنفس العام.
- حصل النادي على المركز الخامس على مستوى المملكة في الدوري الممتاز عام ١٤١٥هـ.
- حصل النادي على المركز الخامس على مستوى المملكة في الدوري الممتاز عام ١٤١٦هـ.
- حصل النادي على المركز الرابع على مستوى المملكة في عام ١٤١٧هـ.

٣- إنجازات النادي في لعبة الكاراتيه:

- حصل فريق النادي على المركز الثالث ناشئين على مستوى حائل والقصيم والجوف عام ١٤١٢هـ.
- حصل النادي على المركز الثالث للدرجة الأولى على مستوى حائل والقصيم والجوف.
- وفي عام ١٤١٣هـ حصل على المركز الثالث في الدرجة الأولى والشباب والناشئين على مستوى منطقة حائل والقصيم والجوف.
- وفي عام ١٤١٤هـ حصل على المركز الرابع على مستوى المملكة شباب.
- وفي عام ١٤١٥هـ حصل النادي على المركز الثالث على مستوى حائل والقصيم والجوف للشباب.

- وفي عام ١٤١٦هـ حصل على المركز الأول على مستوى حائل وتبوك والمدينة المنورة وينبع والجوف للشباب.
- وفي عام ١٤١٧هـ حصل على المركز الثالث على مستوى المملكة.

٤- وفي لعبة الجــودو:

- عام ١٤١٥هـ حصل النادي على المركز الثالث على مستوى المملكة.
- عام ١٤١٦هـ شارك النادي في بطولة المملكة.
- عام ١٤١٧هـ حصل النادي على المركز الثاني على مستوى حائل والمدينة وينبع.

٥- وفي لعبة كرة اليـد:

- حصل النادي على المركـز الأول أعـوام ١٤١٥هـ و١٤١٦هـ و ١٤١٧هـ في درجتي الناشئين والشباب.
- والمركز الثاني للدرجة الأولى لنفس الأعوام.

٦- وفي لعبة تنس الطاولـة:

- شارك النادي في بطولات المنطقة للدرجات الثلاث لعام ١٤١٧هـ.

٧- وفي كرة المضرب:

- حصل النادي على بطولة المنطقة في درجة الناشئين عام ١٤١٧هـ.

٨- وفي كرة السلة والطائرة:

- شارك النادي في بطولات المنطقة بدرجاتها الثلاث عام ١٤١٧هـ.

٩- الأنشطة الاجتماعيــة:

- شارك النادي في الأسابيع العامة مثل:

أسبوع المرور، أسبوع الشجرة، أسبوع مكافحة التدخين، اليوم العالمي للصحة النفسية، الأسبوع الصحي، الحملة القومية لمقاومة شلل الأطفال.

- كما قام النادي بتنفيذ معسكر ترويحي لشباب النادي بالمعسكر الدائم بضبع.
- كذلك معسكرات عمل لتشجير ملاعب النادي.
- كما نفذ النادي عدة رحلات علمية وترفيهية لشباب النادي.
- أقام النادي عدة ندوات توعية لشباب النادي.
- يقيم النادي مجموعات تقوية لشباب النادي من الطلاب بالمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية قبيل امتحانات الفصول الدراسية مجاناً.
- يشارك النادي في معسكرات الكشافة لخدمة الحجيج كل عام.

١٠ - النشاط الثقافي

- المشاركة في الأسابيع العامة.
- حصل النادي على المركزين الأول والثاني في مسابقة المراسم على مستوى المملكة.
- قام النادي بتنفيذ مسابقات لحفظ وترتيل وتفسير القرآن الكريم.
- قام النادي بتنفيذ مسابقة ثقافية بين شباب النادي.
- كما قام بإعداد دورة للفنون التشكيلية لشباب النادي.
- كذلك يتبع النشاط الثقافي بالنادي حلقة تحفيظ القرآن الكريم يشرف عليها عضو مجلس إدارة النادي الأستاذ/ أحمد الخوير.
- كما يضم النادي بين جنباته مكتبة متنوعة تحتوي على أكثر من ألف عنوان بنسخ متعددة لخدمة محبي القراءة وطلبة العلم ورواد النادي وشباب القرية بصفة عامة.

مبنى نادي قفار الجديد في الرّصف بأجا

الفصل السادس

مظاهر الحياة الاجتماعية والأخبار الشعبية

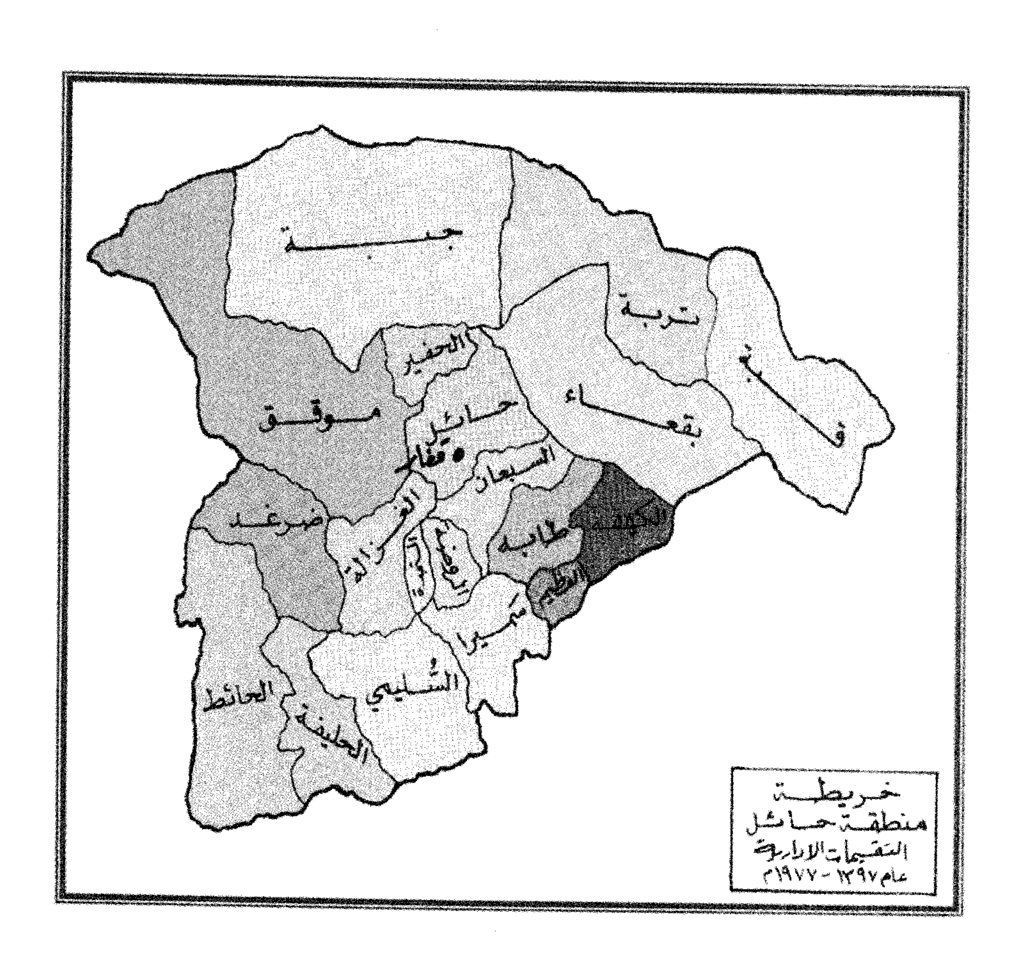
١ - ملامح عامـــة

٢ - أسطورة ظلمـــا

٣ - حمَّى قفـــار

٤ - الزراعة والأكـــلات

٥ - الفنون الشعبيـــة


جبة
تربة
بقعاء
موقق
الحفير
حائل
قفار
السبعان
ضرغد
طابة
سميراء
السُليمي
الحائط
الحليفة
خريطة
منطقة حائل
التقسيمات الإدارية
عام ١٣٩٧ - ١٩٧٧م

١ - ملامح عامة

تقع قفار - كما سبق - في أرض منبسطة، فسيحة، رحبة، طينية حمراء، وعلى هذه الأرض كانت المباني المسقوفة بخشب الأثل، وجريد النخيل تشكل مجمعات سكانية للأهالي، يضم كل مجمع في داخله مجموعة من الأسر (الحمايل) ويحيط به سور ضخم، ذو بوابة كبيرة، ويتوسط المجمّع الذي يسمى قصراً ساحة مكشوفة يُعرف بالمناخ «مناخ الإبل» وهو محط رواحل المسافرين والضيـوف، وأهم ما يميز تلك القصور القديمة أن كل قصر منها يحتوي على قهوة واحـدة.

والقهوة مبنى مسقوف مستطيل ومنفصل نسبياً عن بقية القصر، وقريب من البوابة الرئيسة، وفيها يستقبل أهل القصر ضيوفهم، وفيها موقد النـار، وربـمـا الحطب في جزء منها، وفيها (الأخلة) المثبتة في الجدران وبها يعلّق (الطراقي) أمتعتهم، وفي أرضيتها (مراكي) من الطين ملتصقة في الجدران يتكىء عليـهـا الجالسون، وربما تكون القهوة قهوتان: إحداهما للصيف، والثانية للشتاء. وهي بدون بوابة في الغالب، وإن كان لها باب فهو مفتوح دائماً، ومن العيب إقفاله، وفي ذلك قال زيد الخوير من أهل قفار:

امبـرهـجٍ تسفـى عليـه السوافي   من خلقته ماطق في ركزة السيـف

وقال ابن خربوش في آل مفيد أهل السبعان، وهم من أهل قفار:

ريـعٍ قهاويهـم علـى غيـر بيبـان   بملافظ الشريان مـا أطـروا مـمـلّه
ما حطـوا التجـرة صراير وغرضـان   حـطـوا مـنـاخٍ والغروس المظـلـة

والقهوة، هذا المجلس الكبير، أخذت اسمها من القهوة العربية وهي أول ما يقدم للضيوف، أما وضعها بالصورة التي أشرنا إليها فهو مستمد من الهيئة العربية القديمة إذ يتوسط الحي منتدى للجميع توقد به النار، ويفد إليه العرب من أهل

الحي وغيرهم، وهو محل الضيافة، والسمر، والشعر، والشورى، ومن النادر أن توقد النار في موضع غيره، والقدماء يسمونه النادي، قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

وما يندوهم النادي ولكن　　بكل محلةٍ منهم فئام

وربما سمّوه المجلس، كما في قول المهلهل:

انبئت أن النار بعدك أوقدت　　واستبّ بعدك ياكليب المجلس

وتكلموا في أمر كل عظيمة　　لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

ومن أهم ما لفت أنظار الرحالة الأوروبيين الذين زاروا قفار، هو تفرد أهلها بصفات جسمانية ميزتهم عمن سواهم من القبائل العربية، وفي حين أعمل «فالين الفنلندي»جهده في التنقيب والاستقصاء للبحث عن سر هذه الظاهرة ظاهرة الفتوة، واهتدى إليه من خلال المصادر العربية، فإن «تشارلز داوتي» البريطاني الذي زار قفاراً بعده اكتفى بتسجيلها، ولم يبحث لها عن تعليل قديم.

والفرق ما بين الاثنين أن «فالين» قد كتب برؤية نقدية مشبعة بروح التحليل والمقارنة، والإستنتاج إلى حد كبير بينما كان «داوتي» يسجل أخباراً ويصور مشاهد.

قال «فالين» وهو يتحدث عن قفار: وفي تجوالي بين بدو الجهات الغربية من شبه الجزيرة كان هؤلاء يسألونني دائماً ـ ومثلهم المصريون والسوريون ـ عن بني تميم، وعن عاداتهم، ولغتهم، وقاماتهم، وميزاتهم الأخرى، وهم يبدأون بالسؤال عن حجم بني تميم، وعمّا إذا كانت قامتهم أطول من قامة سواهم من العرب، وما إذا كانت لحاهم أطول وأكثف، ويبدو لي أن هذه الملاحظة تعود لمعنى كلمة (تميم) وكانت تطلق في الأصل القديم على رجل قوي البنية، صحيح البدن، وهذه الملاحظة تصدق في القبيلة المذكورة.

ويلاحظ أن المصادر القديمة نظرت في هذا الذي أشار إليه «فالين» وأشبعته بحثاً، ومن ذلك مثلاً ما ذكره الجاحظ عن بيت مسكين الدارمي في قومه تميم حيث يقول:

ونحن أناس تملأ البيض هامنا　　ونحن حواريون حين نزاحف

وما ذكره أيضاً عن حديث رسول الله ﷺ فيهم (وإنهم: ضخم الهام، رُجح الأحلام، وأشد الناس على الدجال آخر الزمان). وقد أحال الدكتور الخولي محقق كتاب الجاحظ إلى ديوان مسكين، وعند الهيثمي في كتابه «فخر العرب» تتمة له وهي أنهم «هضبة حمراء لا يضرها من ناوأها».

ونقل الأزهري بعد أن عقد فصلاً في «فتوة التمايمة» أن عبدالملك بن مروان قال لداود بن متمّم بن نويرة أراك جسيما؟ قال داود هكذا قومي.

وفي يوم الكُلاب الثاني، وهو من أشهر أيام العرب في الجاهلية، قال علقمة الفحل التميمي، الذي ذكر يوم الهيماء (قفار) في شعره:

وقرت لهم عيني بيوم حُذنّة ... كأنهم تذبيح شاء مُعتّر

عمدتم إلى شلو تنوذر قبلكم ... كثير عظام الرأس ضخم المذمّر

قال الشنتمري شارح ديوان علقمة: شبههم بهامة كثيرة العظام، شديدة، وكانت تميم يقال لها على وجه الدهر: هامة مُضر.

٢- أسطورة ظلما

ظلما امرأة من قفار ينسب إليها غار في ريع السّلف في (أجأ) لا يزال يعرف باسمها.

ومن أخبار أهل الجبلين أن ظلما تقتنص المسافرين في هذا الطريق، وهو أشهر درب في الجبل، وتأكلهم، ويحوك هؤلاء حول ظلما، وطريقتها في أكل الناس أحاديث كثيرة غاية في الغرابة والطرافة، ويعتقد كثيرون بصحة ما ينسب إليها من أخبار اقتناص المارة، وتقطيع أوصالهم.

وقيل أنها لا تعرض لبعض الناس لما تدركه بحسها من عدم قدرتها عليهم، وقيل أنها تستدرج من لا يعلمون من أمرها شيئاً إلى غارها فإذا اطمأن المسافر استدارت من وراء الهضبة التي فيها الغار، وأهوت عليه حصاة من حجارة كانت قد هيأتها لهذا الغرض ثم تنزل وتجهز عليه، ومما يروى أن معها ابنة لها تعينها على ذلك وظل الناس في الجبلين يفزعون أولادهم بظلما وأخبارها.

ومن طريف الحواديث ما رواه أحد أهل قفار أن أحد آل عيادة - من تميم - خرج عليها في غارها، حين استطار شرها، فقتلها وعاد بابنتها إلى قفار، قال الراوي: دخل رجل سوق قفار فشاهد ابنة ظلما فأطرقت خجلاً حين رأته، أما هو فقال:

الله على مخة الساقين. . .

يذكرها بشعر لأمها قالته حين همت بأكله لولا أن أفلت منها، فقالت له البنت على الفور:

الستر يابن الأجواد   هذا لا ليه ولا ليك

أي أن هذا أمر قد فات وانقضى وماتت ظلما ولا شأن لك ولا لي به، وذكر الراوي أنّ ابنة ظلما تزوجت في قفار وأنجبت.

٣ - حمّى قفار

عُرفت قفار بمرض الحمىّ الذي ظل يعصف بالناس لآماد طويلة، ولم يزد «ألويس موزل» الذي زار قفار في عام ١٩١٥م على وصف هذا الوباء وهو من أشهر الأوبئة في بلاد الجبلين سوى أن قال بلغة شعرية:

ثم اختفت جبال الفرع المهيبة التي كان يلفها شعاع ذهبي بين المماردية والكشرية فيما وراء بساتين قفار - وتغطي بساتين قفار منطقة واسعة لكنها توحي بانطباع حزين، يرمي بظلاله على الأطلال الكئيبة والبيوت المهجورة. . كانت قفار في أحد الأوقات أكبر من حائل، وفي السنوات الأخيرة اجتاح مرض الحمى القرية فقضى على النساء والأطفال، بينما هلك الرجال في الحروب، فأصبحت البيوت مهجورة، والنخيل مهملة، والبلدة مقفرة إلا من أربعين بيتاً بدأها الخراب، يسكنها بعض العجزة من الموالي والنساء والشيوخ والأطفال[1].

ولم تؤثر حمى قفار، وهي مضرب المثل بالفناء، بأصحاب البشرة السوداء، وكثر هؤلاء في قفار، وزاد عددهم أثناء الحمى. ووفد إليهم آخرون، قال

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة قفار.

العريفي: وباع الموالي أملاك أعمامهم بأبخس الأثمان[1].

وظلت الحمى معروفة مشهورة إلى سنوات قريبة وتحاشى الناس المرور بقفار لئلا يصابون بها.. ويعرف من تُصيبهم حمى قفار ولا يموتون بعلامات واضحة في وجوههم من الاصفرار.

والمصنفات التي عرضت لحمى قفار تذكر أنها حمى الملاريا، وسببها كثرة المياه، والمستنقعات بها في وقت مضى، على أن للعوام تعليلات كثيرة وغريبة في أسباب هذا الوباء، ومما يتناقله القصاصون أن فتية من أهل قفار كانوا يجربون ما يقتنون من السلاح بأول قادم يمر على حائل، وأن أناساً منهم سلخوا تيساً وهو حي، وأن بعضاً منهم كانوا يدهنون حبالاً من الليف قابلة للاشتعال، ويربطون كل حبل برجل طير من الطيور، ثم يطلقونه بعد أن يشعلون في الحبل ناراً فتلتهمه، ثم تأكل الطير.

ويعدون من أمر التجبر والقسوة قبض أهل قفار على الجاسوس التركي ودفنه في الجدار، وقطع لسان صاحبه. ولذلك وأمثاله يرى أصحاب هذه الأخبار الشعبية أن حمى قفار عقوبة من الله لهذه المخالفات، والعقوبات الإلهية حق لا جدال فيه، وهي فوق مستوى النقد والتحليل، لكن هل حدث من أهل قفار ما يذكره هؤلاء؟

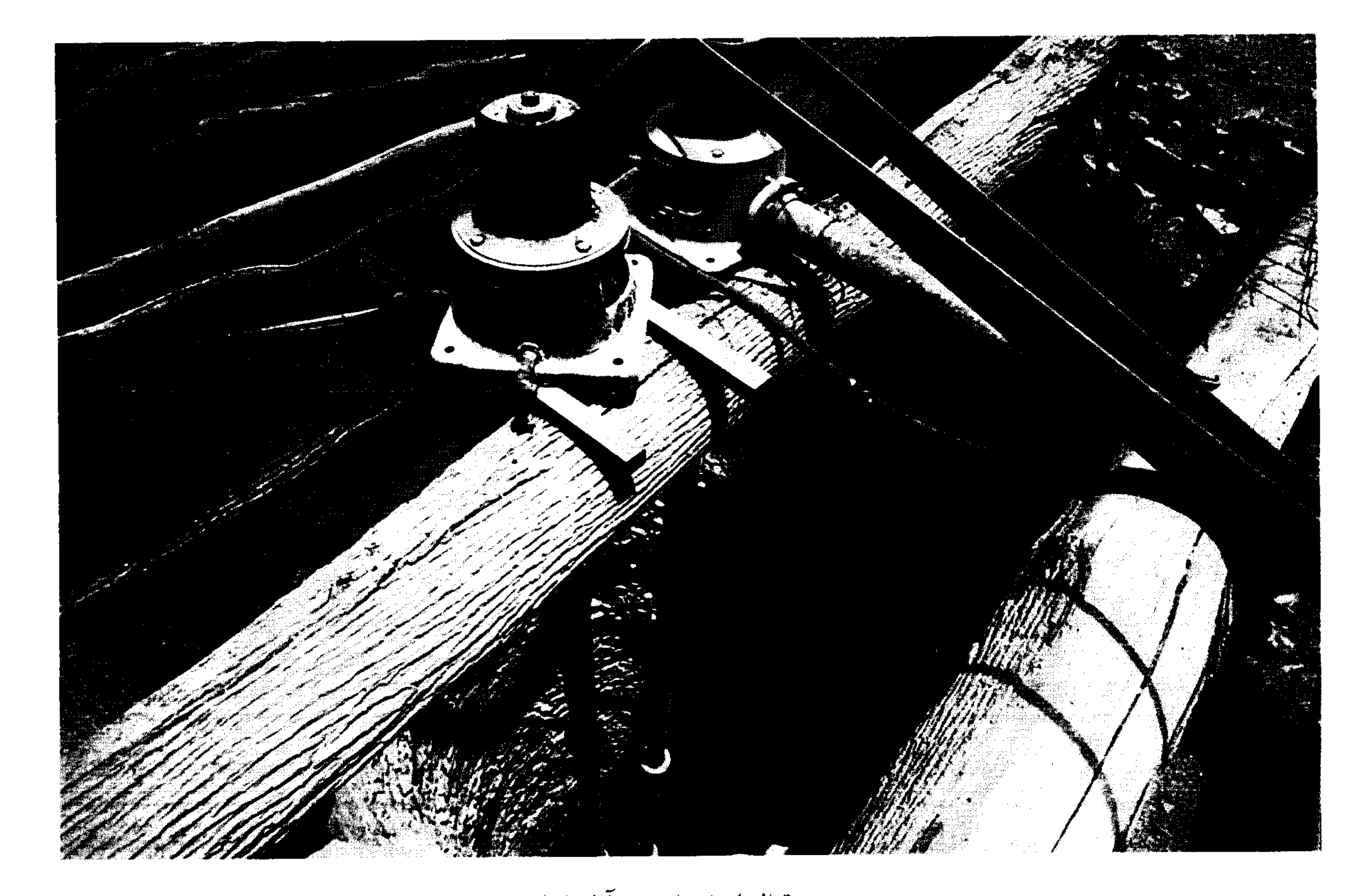
إن ذلك مما لا يجزم بوقوعه، أما دفن الجاسوس التركي فقد سبقت الإشارة إلى أن ذلك تم أثناء مهاجمة جنود الدولة العثمانية لمنطقة حائل، في غزوة تعد من أشد الغزوات وأعتاها، فكان التصدي لهذه الغزوة والفتك بها مما لا بد منه، وهذا ما حدث من أهل قفار.

أما ما يتردد في الحواديت ومجالس السمر فهو مما يتوسع فيه الخيال الشعبي، وينزع القصاصون إلى نسج أخبار مثيرة حوله للتسلية والتشويق.

ومع أن «فالين الفنلندي» قال عن أهل قفار: إن بني تميم يميلون إلى التباهي، والزهو، وهم ارستقراطيو شمر، ومن معاني الزهو: التجبر، والكبر،

---

(١) فهد العريفي: حائل ص٨٥.



مضخة الماء في إحدى آبار قفار

والخيلاء، فقد قال: أنهم أحرص من الوهابيين على تأدية الواجبات الدينيـة، وتقواهم في الأرجح بسبب حجهم مراراً كثيرة في جماعات غفيرة إلى مكة، ومع أنهم يعودون منها بما يستطيعون حمله من البضائع فهم يحجون في سبيل الدين لا في سبيل الكسب[١].

وعلق الأستاذ حمد على موضوع بني تميم في حائل و«الوهابية» بقوله: إنَّ «فالين» يجهل من يسميهم الوهابيين أي اتباع الطريقة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وبنو تميم - بل سكان هذه الجهات كلهم - من أتباعها.

وورد في كتاب ابن صقيه: أن كلمة الوهابيين استعملها أعداء الدعوة السلفية للتنفير منها، ولكنها فيما بعد أصبحت علماً فاستعملها كتاب الإفرنج[٢].

٤- الزراعة والأكلات

تحدث «فالين» عن قفار في عام ١٨٤٥هـ وقال: إن فيها أكبر مخازن التمر والذرة في المنطقة، وقال «موزل» في عام ١٩١٥هـ: كانت قفار في أحد الأوقات أكبر من حائل، وقبل عشرين سنة فقط كان تمر قفار تمراً مشهوراً، وكانت نكهته ممتازة بالنسبة الى تمر (شثاثا).

ووصف آخرون كـ «داوتي» قفـاراً بأنها واحة خصبة بها أعداد كبيرة مـن النخيل، وقال «فالين»: وفي زمن الحصاد يجتمع حول قفار بدو من شمر وعنزة لبيع ماشيتهم ومنتجاتها، أو المقايضة بالتمر والذرة.

فالتمر إذن من أشهر الأطعمة في قفار، وهو كما قال شوقي:

طعـام الفقيـر وحلـوى الغني   وزاد المسـافـر والمغتـــرب

ونخيل قفار يسقى من الآبار، وهي كثيرة، وافرة المياه قديماً، ومياه الآبار تنضح بالسواني، وقد انتزع شعراء الجاهلية كامريء القيس وعلقمة الفحل التميمي،

---

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة قفار.

(٢) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين.

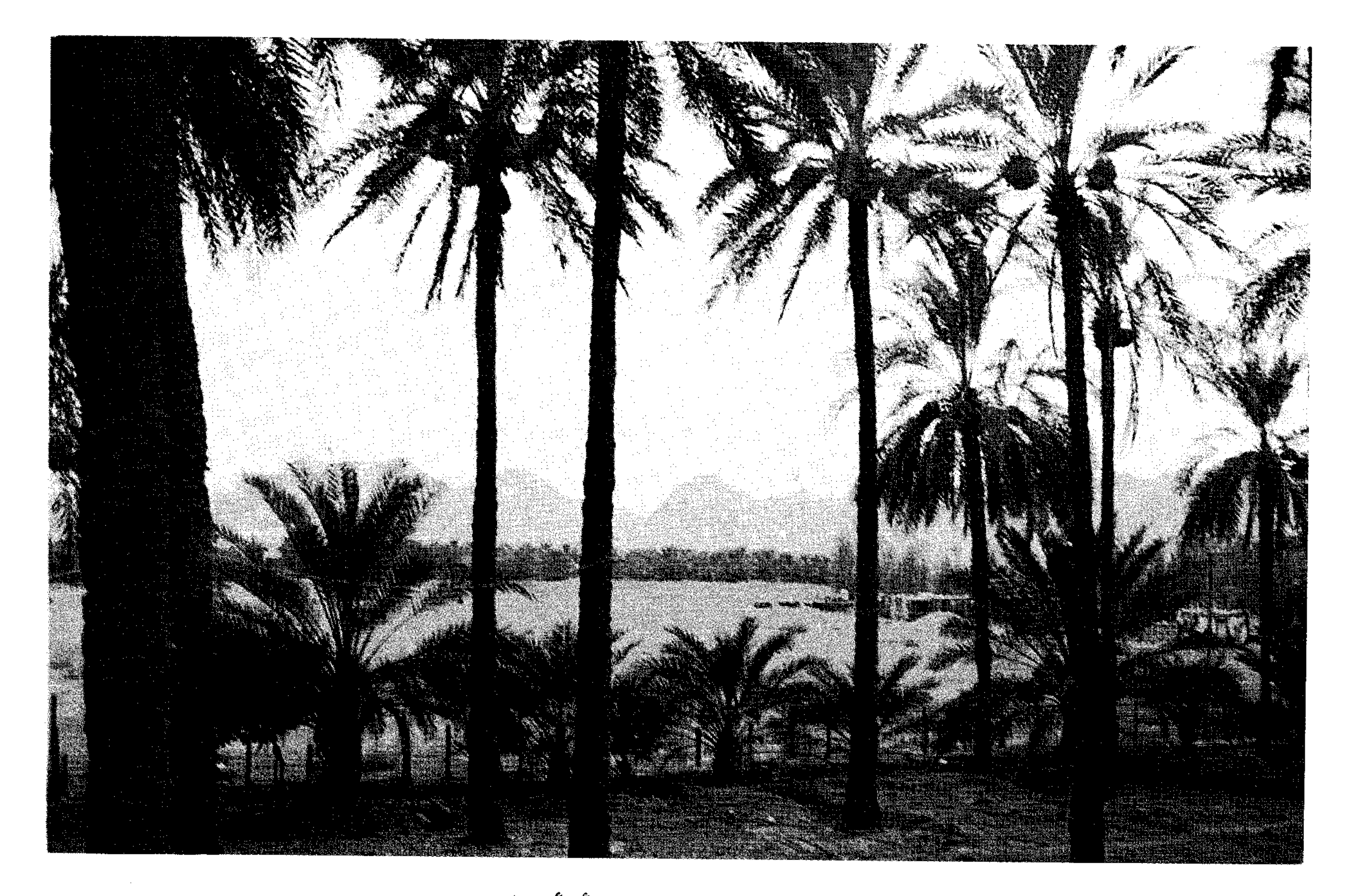
وزهير، ولبيد من حياتهم صورة السانية الدهماء وهي تحطو الرشاء وتجري ذاهبة آتية تنضح الماء في دلاء ضخمة، وتحيله إلى جدول متدفق لا ينقـطـع مـاؤه، واستغلوا هذه الصورة في تشبيه دموعهم الدائمة الجريان في أثر الأحباب.

وتساءل الدكتور أبو سويلم: لماذا اختار الشعراء صورة السانية وهي تسقي المزارع؟ ولماذا قرنوها بالحديث عن دموعهم إثر الحبيبة الراحلة ؟ فالدموع في غزارتها قد تشبه بالنهر أو البحر أو تشبه بماء المزادة المهزمة أو ماء الدلاء. هل يريد الشاعر أن يقول: إنّ الماء مثلما ينضح من القليب بقسوة فإن الدموع تنتزع من عينيه دون إرادة منه؟ لكن لماذا كان هذا التفصيل في مناظر السانية وهي تنضح الماء وتحيله إلى جدول تحبو ضفادعه حبوراً وسعادة، والمزارع الخضراء ترف عليها نشوة الفرح. أكان هذا التصور معادلاً موضوعياً عن وصول الهدف الـذي سعت إليه القبيلة المهاجرة؟! أكان الشاعر يعبر عن وصول القبيلة المهاجرة إلى الغاية المنشودة ففضل منظر السانية رمز الرخاء والخصب؟

وعرض أبو سويلم تحت عنوان «السانية» صوراً شعرية جاهلية بعد أن قال: إن عرب الجاهلية عرفوا الزراعة المنظمة في الواحات الخصيبة المنتشرة في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية، وكانوا يسقون أراضيهم بالسانية كما يروي المصريـون أراضيهم بالساقية، أو كما يروي أهل الشام أراضيهم بالنواعير.. وكانت وسيلتهم في انتزاع الماء من الآبار هي الإبل المدربة على هذا العمل الشاق.

وفي الصورة الشعرية تلك تتبع دقيق لحركة الناقة وجريانها، ولصوت البكرة الذي يذهب ويجيء، والثقب الذي يدور كلما مطت الرشاء، وهذا السائق العنيف الذي يحث الناقة على الجري، وهي تخشى منه الضرب فتمد صلبها وعنقهـا، وهذا القابل الذي يتلقى الدلو تكاد تسمع غناءه وأنغامه.

وعن قصيدة لزهير نُقل شرح للدكتور النويهي يقول: وقد رأيت وسمعت في هذه الصورة تعدد العناصر التي تشاركت في تكوينها وإصدار حركاتها وأصواتها، من عنصر إنساني من أدوات السانية والجدول والحياض، وعناصر طبيعية من ماء وريح وأرض ونخيل غرسه الإنسان.



واحات النخيل في سفح أجأ بقفار

وقال: للنخيل أهمية خاصة في وجدان العربي القديم، ووجودها يرتبط دائماً بمعنى الحياة والخصب والنماء، ويكثر الشعراء من تشبيه الظعن بالنخل المكمم، أو الكارعات الحوامل التي حان صرامها كثرة لافتة.

ودائماً يجعل الشعراء أشجار النخيل سامقة، تتأبى على مريدها وترتفع عن أيدي جناتها، ويأتي التشبيه بأشجار الأثل في مرتبة ثالثة وللأثل ثقل وجداني في أعماق الشاعر الجاهلي، إذ منه اشتقوا معنى الأصالة والمجد الموروث:

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطت الإبل

وترتبط الظعائن في أذهان الشعراء بالشجر العظيم، ويخص الشعراء النخل الباسق بأهمية واضحة دون غيره من الأشجار العظيمة، ويختار الشعراء للنخلة وضعاً خاصاً عندما يشبهونها بالظعن فلا بد أن تكون بالحمل مكمومة قد حان صرامها، وقد زهت أعناقها بالثمار الملونة الزاهية، ولا بد أن تكون نخلة تطاولت فروعها وسمقت شماريخها.

ونخيل قفار الكثير كان يروى قبل المكائن الحديثة بالسواني، وعلى كل بئر ثلاثة من الإبل للسقي، قال دخيل الخوير التميمي:

حطوا ثلاثٍ يجذبن القراح ثلاث من غير العقايب مريحه
تلقى الوديّة من شخيل البطاحي قناه فوق العسب مثل البطيحة

وقال زيد الخوير في قصيدة غزلية:

القيل عندي مثل جم اليا زاد ما ينتزح لو ساهرته السواني

والودية هي النخلة في مرحلة من مراحل نموها، وهي فسيلة أولاً، ثم وديّة، ثم جبارة.

وقال زيد الخوير:

لي ديرة سمر الغرايب قباله بشرقي أجأ يا حلو شلّه قناها

والقنا حمل النخلة وجمعه قنوان بلغة قريش، وقنيان بلغة تميم. والقنيان هي العذوق، قال الشّماخ الجحاشي:

خـور بريـــان العسيـــب كأنـــه إهـــاب عـذوق فـوقـهـن عـذوق

ومن الشعر النبطي، قال محسن التميمي:

لما سمعـــت مصافـق العسب ببلاد طوال العذوق محمـلات الـجـمـال
يا مـا عوينـا دونهـــن كــل معـواد يشهد على جمهور هرجي فـعـالـي
كـم فتـــاة فاردينـــه مـــن أذواد لو هي سمين ما تـعـقـب الـهـلال
نرخص شذاهن عند أهلهـن بالأزواد ونطمع الشاوي نـجـيـب الـجـلال

إلى أن قال:

نبي الـيـا جـونـا هـجـافـا وشـراد اطـلاق وجـهٍ لنـطـحـنـا الـرجـال

فالغاية من العناية بالنخيل هي إكرام الضيوف بثمارها. قال أبو سويلم فـي حديثه عن الشعر والإبل: صورة النسر والنخلة تكادان تكونان الصورتين الوحيدتين اللتين يشبه بهما ذيل الناقة وقد نجد وجـهـاً قريباً للشبه في غزارة قنو النخـلـة المتعثكل، وغزارة ريش النسر الوفير.

لكن لماذا خص الشعراء النسر والنخلة بذنب الناقة دون الأشجار الكثيفـة ودون الطيور الوافرة الريش؟

النخلة لها ثقل وجداني كبير في ذهن الجاهلي فهي تعني لديه الحياة الخصبة المستقرة، والنسر رمزوا عنه بالسلامة والبقاء وطول العمر.

وكانت قفار واحة لزراعة الحنطة وهي أنواع منها: اللقيمي، والمعيّة وهذان النوعان يمكن تخزينهما بسنابلهما فضلاً عن تخزينهما حبوباً، والهلباء وهي هشة السنبلة لا تحتمل التخزين، والطيارة وهي ذات سنابل سود وقد يـقـال لـهـا: سُميراء، ومن هذه الأنواع تصنع الأكلات كالهريس والجريش والمرقوق والرغفان. وفي الصيف تزرع الحصنية والذرة. ومن أصناف الشعير التي تزرع الجهينية وعمرها نصف عمر الشعير والكرز وهو أكثر أنواع الشعير حبوباً.



النخيل السامق في قفار

٥ - الفنون الشعبية

يأتي شعر العرضة في الطليعة كلون شعبي من الشعر المغنَّى الذي يقال في مناسبات الحروب، وقد عُرفت قصائد هذ الشعر بالقصائد الحربية وأبياتها محكمة، جيدة السبك، تثير الحماس، وتستنهض الهمم، وتدعو إلى اقتحام الأهوال، والإقدام على ميادين المعارك، وعندما ينشر اللواء وهو راية الحرب، ويدق الدمام يكون شعراء الحماسة قد نظموا القصائد التي تشيد بالشجاعة، وتذم التخاذل، والتواني.

وقد تكون القصيدة وصفاً لوقعة قد حدثت. وقديماً وصف العرب بعض أشعار الحماسة بأنها تشجع أجبن الخلق كما قيل عن حماسيات قطري بن الفجاءة المازني التميمي الفارس الخارجي الشهير.

وأوزان شعر العرضة أو الشعر الحربي مختلفة فمنها: الخفيف، وهو الشائع، مثل قول دخيل الخوير التميمي - أمير قفار:

من قفارٍ وحايل ظهرنا ... واعتلينا ظهور النجايب
مع مضيق الشعيب انحدرنا ... مثل مزنٍ حدته الهبايب
كمٍ غلام لرجله هجرنا ... طايبٍ والا على غير طايب

ومنها الطويل كما في قول بشير بن نصار التميمي:

اترك اللي يوم رز اللواء ما جاك شمام ... بارد المفزاع هذاك لا تسلم عليه
بارد المفزاع عليه من ربعه ملام ... مع بنات مخينق شيلةٍ ترمى عليه
انشد المطران يوم الدخن مثل الكتام ... يوم حماد الزغيبي يصفق في يديه
دارنا من يوم جداناقبل الكمام ... ومن بغاها بالعداوه لعنا والديه

وكما في قوله:

يا سعيد اكتب هل المدح بكتاب الخطيب ... واكتب الشردان وكتابهم ما به سلام[1]
اكتب اللي حاربوا عند زينات الحليب ... نفذوا صفر المحازم بعيدين العلام
وارفع الفنجال عن كل رعديد يهيب ... وقلط الفنجال للي يحظون الزحام
لو هبى خطو الغليّم ترانا ما نهيب ... لو بدا شيب العوارض نخاف من الملام

---

(١) المقصود سعيد الشبرمي التميمي - أمير سَمَيْراء -.

ليت خطو اللاش يعطى عن البندق عسيب يوم شاف الرمي قلبه حكى بالانهزام
يوم ابو محسن خليفه وقع منا صويب شافوا الشردان دمه غدوا جفل النعام
ليتكن يالبيض عندي على جال الشعيب تنظرن بعيونكن ما تبـن رد الـعـلام

ولشهرة بعض القصائد الحربية تظل تردد في غير مناسبتها وعلى مدى سنين متتالية وأجيال متعاقبة.

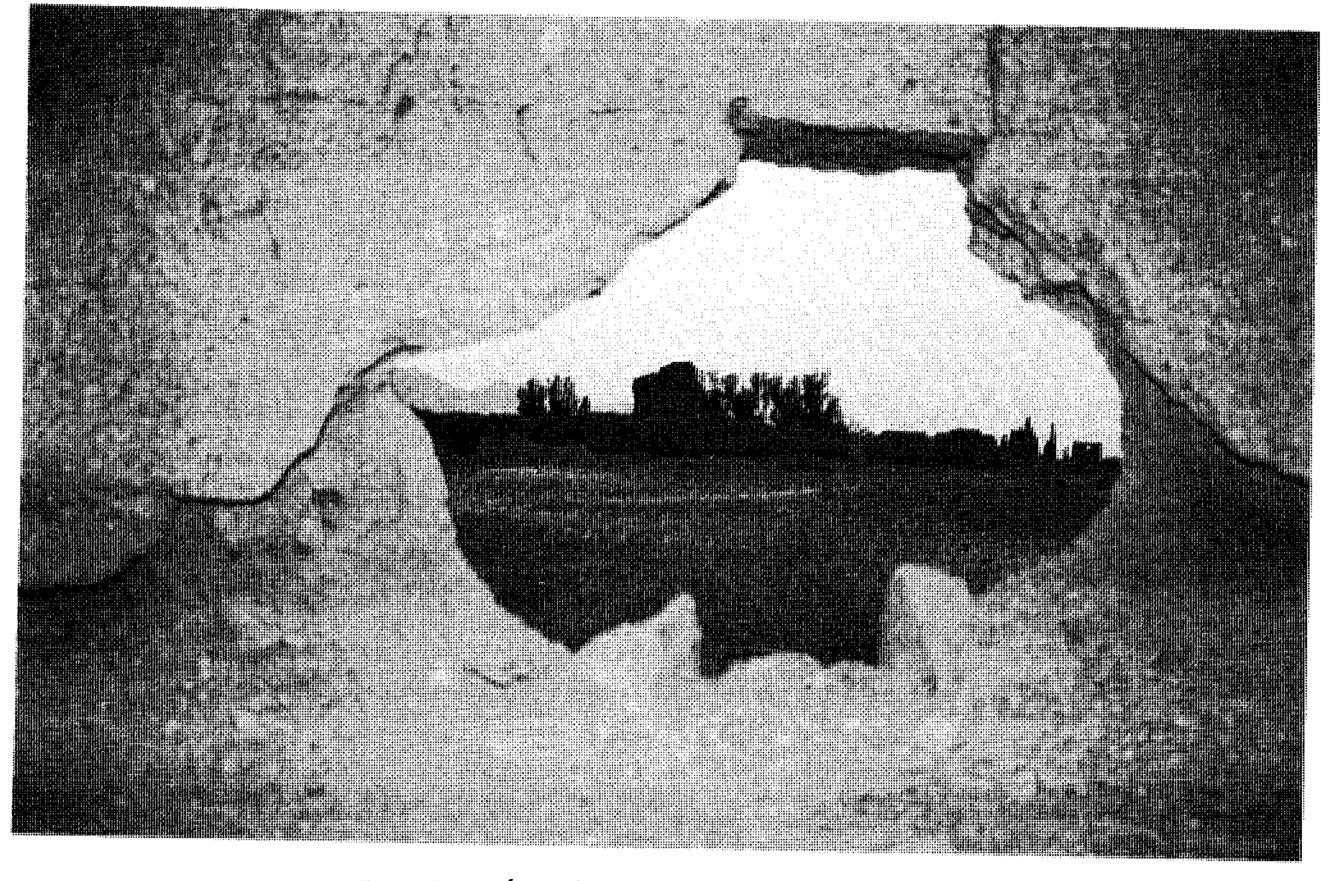
وهناك شكل آخر من أشكال الشعر الشعبي ذو قافية موحدة في الشطر وأخرى في العجز لكنه أخف وأقصر في الوزن من الشعر الحربي ويطلق على هذا اللون اسم «الهجيني» نسبة إلى الهجن إذ غالباً ما يغنى على ظهور الإبل في السفر، ولسهولة الهجيني فإن الكثيرين ينظمونه، ومع سهولته فإن بعض أبياته تحمل صوراً حسية رائعة كهذه الهجينية لجارية ابن لحيدان التميمي تقول:

ياونتي ونتك ياحمود امك على أبوك طنيانه
هي ما تشوف الطيور السود تلف بيضه بجنحانه
والا تشوف الجمال القود تحن وترزم لحيرانه

وغير الهجيني هناك «الحداوي» وهي أراجيز نبطية حماسية تقال عادة في مناسبات العمل الجماعية.

وفي قفار الآن فرقة للفنون الشعبية يرأسها ضيف الله بن سالم العبوش وأداؤها جيد في السامري، والعرضة السعودية، وتشارك فرقة قفار في المناسبات الوطنية والأعياد، وقد شاركت على سبيل المثال في حفل العيد بحائل في عام ١٤١٢هـ وعام ١٤١٣هـ، وفي مهرجان حائل السياحي الأول في عام ١٤١٨هـ بقرية مشار السياحية.

ومن أبرز مشاركاتها أداؤها للعرضة السعودية ولعدة ليالٍ في الحفل الكبير الذي أعدته قبيلة بني تميم احتفاء بصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام أثناء زيارته لمنطقة حائل في شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٩هـ. وفي تلك المناسبة تم إلقاء عدد من القصائد الحربية لرئيس الفرقة ابن عبوش ولغيره



جانب من قفار يبدو من خلال فتحة أحد الأسوار الضخمة

من الشعراء، ومن تلك القصائد قصيدة للشاعر الأستاذ إبراهيم بن علي المنصور يقول فيها:

من قفار رفعنا الصوت لاشلنا | والسليمي وضرغط ردت الجابه
من سميراء على السبعان واقبلنا | ودارنا المستجدة ونتمعنى به
والغزالة وغضور والحفن النا | وديرة الروضة حنا اللي نزلنا به
والقصر والمهاش وباقي حللنا | مع جفيفا لنا تاريخ نعنى به
وشيخنا مقرن ولا قيل بدلنا | الوفا طبعنا ما قيل خنا به
جمعنا من تميم ولا احد يجهلنا | من جهلنا له التاريخ يقرا به
مرحباً يابو خالد وانت فخر النا | ألف ألف من الترحيب نصخى به
وللفهد خادم البيتين سجلنا | شكرنا والولا والنصح نسعى به
ولولي العهد وامره تمثلنا | لا دعانا أبو متعب لقى الجابه
عن الوطن والعقيدة ما تخاذلنا | لو دعينا لسوق الموت نلقى به

مصادر ومراجع البحث

١- ابن الأثير (مجد الدين المبارك بن محمد): المرّصع، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي.

٢- أحمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية.

٣- أحمد عادل كمال: القادسية، دار النفائس، بيروت.

٤- أحمد بن علي المبارك (السفير) لقاء للمؤلف معه في الباحة ١٤١٧هـ.

٥- أحمد عويدي العبادي (الدكتور): العشائر الأردنية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

٦- أحمد العريفي: الألقاب، الجزء الأول ١٤٠٤هـ، رميزان بن غشام التميمي، ١٤١٤هـ.

٧- أحمد الطاهر مكي (الدكتور)، امرؤ القيس: حياته وشعره.

٨- الأصمعي (عبدالملك بن قريب الباهلي ت ٢١٦)، الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، ١٩٩٣م.

٩- أنور عليان أبو سويلم (الدكتور): الإبل في الشعر الجاهلي، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠- ابن بشر (عثمان بن عبدالله بن بشرت ١٢٨٨هـ): عنوان المجد في تاريخ نجد.

١١- البكري (عبدالله بن عبدالعزيز البكري ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم؛ تحقيق مصطفى السقا.

١٢- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

١٣- الجاحظ (أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ت ٢٥٠هـ): العميان؛ تحقيق الدكتور محمد الخولي.

١٤- جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب.

١٥- جرير (جرير بن عطية التميمي) ديوان جرير.

١٦- الحازمي (محمد بن موسى الحازمي ت ٥٨٤هـ): الأماكن؛ تحقيق حمد الجاسر، الرياض ١٤١٥هـ.

١٧- حسين حسن: أعلام تميم، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٨- حمد الجاسر ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، الرياض

- المعجم الجغرافي (شمال المملكة).
- المعجم الجغرافي (شرق المملكة، البحرين قديماً).
١٩- حمد ناصر الدخيل (الدكتور) لقاء للمؤلف معه بحائل، ١٤١٧هـ.
٢٠- خالد الصالح: آثار منطقة حائل.
٢١- خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٢- رؤبة بن العجاج التميمي: ديوان رؤبة، تحقيق وليم البروسي.
٢٣- الزبيدي: (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأسلمي): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية.
٢٤- دخيل الناصر: دراسة عن آل مبارك وآل غنام في حائل والإحساء.
٢٥- سعد بن جنيدل ـ المعجم الجغرافي (عالية نجد) الجوف (دومة الجندل).
٢٦- سعد الصويان (الدكتور): جمع المأثورات الشعبية.
٢٧- سليمان العبيد: ديوان شاعر اللوى.
٢٨- صالح المحمود (الفريق) لقاء للمؤلف معه بالرياض.
٢٩- ضاري الرشيد: نبذة من تاريخ نجد.
٣٠- عبدالحميد المعيني (الدكتور): شعر بني تميم في العصر الجاهلي، بريدة، ١٤٠١هـ.
٣١- طه حسين (الدكتور): في الأدب الجاهلي.
٣٢- السيد طه أبوسديرة (الدكتور): حائل في عصر صدر الإسلام.
٣٣- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق سعيد العريان.
٣٤- عبدالرحمن السويداء: رمّان (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب).
٣٥- عبدالله بن ردّاس: شاعرات من البادية، الرياض، الطبعة السابعة ١٤١٢هـ.
٣٦- عبدالله أبا بطين: روضة سدير (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب).
٣٧- عبدالله نصيف (الدكتور): العلا دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، ١٤١٣هـ.
٣٨- عبدالرحمن بن عبدالله القفاري (القاضي): لقاء للمؤلف معه، بالرياض، ١٤١٦هـ.

٣٩- عبدالله بن خميس: المعجم الجغرافي (معجم اليمامة) الرياض، ١٣٩٨هـ.
٤٠- عبدالله بن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، الرياض، ١٤٠٠هـ.
٤١- عبدالله العثيمين (الدكتور): نشأة إمارة آل رشيد.
٤٢- عبدالعزيز الأزهري: بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، ١٣٩٧هـ
٤٣- عبدالعزيز الفريح (الدكتور): لقاء للمؤلف معه بحائل، ١٤١٧هـ.
٤٤- عبيد بن الأبرص (عبيد بن الأبرص الأسدي): ديوان عبيد، شرح أشرف عدرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
٤٥- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق الدكتور عادل البياتي.
٤٦- علقمة الفحل (علقمة بن عبده التميمي): ديوان علقمة، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق الدكتور حنا الحتي، بيروت، ١٤١٤هـ.
٤٧- علي الهندي: زهر الخمائل في علماء حائل، نسخة مصورة من مكتبة الأندلس بحائل.
٤٨- ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد.
٤٩- الغرناطي: (عبدالله بن محمد بن جُزي الكلبي الغرناطي) الخيل، تحقيق محمد العربي الخطابي.
٥٠- فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ترجمة سمير شلبي، مراجعة يوسف يزبك.
٥١- الفرزدق (همام بن غالب التميمي) ديوان الفرزدق.
٥٢- فهد بن عبدالعزيز الخوير، من أهل قفار، لقاء للمؤلف معه.
٥٣- فهد العريفي: حائل (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب سلسلة هذه بلادنا).
٥٤- فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨هـ.
٥٥- لبيد (لبيد بن ربيعة العامري) ديوان لبيد، شرح الطوسي، تقديم الدكتور حنا الحتي.
٥٦- مبارك فريح السلامة: بحث عن جيولوجية قفار.
٥٧- محمد بن بليهد: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار.

٥٨- محمد الشرعبي: البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر.
٥٩- محمد بن عمر (أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري)
- مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣١٤هـ.
- أنساب الأسر الحاكمة في الإحساء.
- آل الجرباء.
٦٠- محمد القاضي: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين.
٦١- محمد الحميضي: القصب (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب، سلسلة هذه بلادنا).
٦٢- ابن مشرف: (أحمد بن علي بن مشرف التميمي - ١٢٨٥هـ): ديوان ابن مشرف.
٦٣- ممدوح المعايطة: لقاء للمؤلف معه في عمّان بالأردن.
٦٤- منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية.
٦٥- منصور الفايز: حائل، من إصدارات وزارة الإعلام.
٦٦- المفضّل الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى الضبي - ١٧٨هـ): المفضليات، تحقيق أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.
٦٧- نوري حمودي القيسي (الدكتور): شعراء أمويون، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
٦٨- وفاء السنديوني (الدكتورة): شعراء طيء وأخبارها، ١٤٠٣هـ.
٦٩- ياقوت: (ياقوت الحموي): معجم البلدان.
٧٠- اليزيدي (أبو عبدالله محمد بن العباس بن المبارك - ٣١٠هـ): الأمالي، حيدر آباد، ١٣٩٦هـ.

الدوريات

١- مجلة العرب.

الفهـــرس

الفصل الثالث: المدن والقرى المتفرعة عن قفار في منطقة حائل

الفصل الرابع: الحياة العلمية والأدبية في قفار ومشاهير أمرائها

الفصل الخامس: النهضة الحديثة في قفار

الفصل السادس: مظاهر الحياة الاجتماعية والأخبار الشعبية

راجع الكتاب الدكتور فاضل والي
والأستاذ رشود بن عمر التميمي
وقام بالتصوير الأستاذ أحمد إبراهيم أحمد

الكتب التي صدرت من سلسلة (هذه بلادنا)

اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف
حائل	١	فهد العلي العريفي
بريدة	٢	د. حسن بن فهد الهويمل
الجواء	٣	د. صالح بن سليمان النصار الوشمي
فرسان	٤	إبراهيم بن عبد الله مفتاح
بلاد زهران	٥	د. محمد بن مسفر حسين الزهراني
عودة سدير	٦	د. عبد العزيز بن محمد الفيصل
المدينة المنورة	٧	محمد بن صالح البليهشي
المذنب	٨	عبد الرحمن بن عبد الله الغانم
الجبيل	٩	عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد
الحريق	١٠	محمد بن سعد الدبل
الرس	١١	عبد الله بن محمد الرشيد
الخبر	١٢	عبد الله أحمد الشباط
الزلفي	١٣	عبد الرزاق بن أحمد اليوسف
الباحة	١٤	د. صالح بن عون هاشم عدنان الغامدي
البكيرية	١٥	علي بن سليمان الموقشي
البدائع	١٦	عبد الله بن محمد العبيد
شقراء	١٧	محمد بن إبراهيم بن عبد الله العمار
الجوف	١٨	د. عارف بن مفضي المسعر
مكة المكرمة	١٩	إبراهيم بن أحمد حسين كيفي
تبوك	٢٠	د. محمد بن علي الهرفي
جلاجل	٢١	د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب
أبو عريش	٢٢	محمد حاسر إبراهيم عريشي

تابع - الكتب التي صدرت من سلسلة (هذه بلادنا)

اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف
عنيزة	٢٣	د. محمد بن عبد الله السلمان
القطيف	٢٤	محمد سعيد المسلم
الشماسية	٢٥	د. عبد الله بن ناصر الوليعي
العيص	٢٦	معتاد بن عبيد السناني
الأفلاج	٢٧	د. إبراهيم بن صالح راشد الدوسري
رأس تنورة	٢٨	صالح بن محسن فهد القعود
حوطة سدير	٢٩	عبد الله بن عبد الكريم المعجل
تيماء	٣٠	محمد بن حمد السمير التيمائي
روضة سدير	٣١	عبد الله بن محمد بن عبد الله أبابطين
بلاد ثقيف	٣٢	د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي
القصب	٣٣	ناصر عبد الله عبد العزيز الحميضي
نجران	٣٤	صالح بن محمد بن جابر آل رميح
الدوادمي	٣٥	سعد بن محمد سعد الطخيس
صبيا	٣٦	محمد بن محسن محمد مشاري
الرياض	٣٧	فهد بن عبد العزيز الكليب
ضرماء	٣٨	د. محمد عبد العزيز القباني
ينبع	٣٩	عبد الكريم محمود الخطيب
الخرج	٤٠	سعد بن عبد الرحمن الدريهم
سراة عبيدة	٤١	د. عبد الله بن علي بن ثقفان
بـــــدر	٤٢	محمد صالح البليهشي
رمّـــــان	٤٣	عبد الرحمن بن زيد السويداء
الربيعية	٤٤	عبد العزيز بن راشد عبد الكريم السندي

تابع - الكتب التي صدرت من سلسلة (هذه بلادنا)

اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف
الوجه	٤٥	د. محمد أحمد الرويثي
تنومة	٤٦	صالح بن علي أبو عراد الشهري
الخرمة	٤٧	عبد الله بن سعد الحضبي السبيعي
سبت العلايا	٤٨	عبد الله بن محمد عبد الرحمن القرني
أبها	٤٩	هاشم بن سعيد علي النعيمي
الدلم	٥٠	محمد بن زيد بن محمد العسكر
موقق	٥١	عبد العزيز بن سلطان الشمري
مرات	٥٢	عبد الله بن عبد العزيز الضويحي
القويعية	٥٣	سعد بن عبد الله بن جنيدل
جبة	٥٤	عاشق عيسى الهزال
أملج	٥٥	سهيل بن سليمان الصبحي
رغبة	٥٦	أحمد بن محمد سعد الحسين
العلاء والحجر	٥٧	عبد الله بن آدم نصيف
عرعر	٥٨	صالح بن عبد العزيز الخضيري
المجمعة	٥٩	فهد بن إبراهيم العسكر
بللسمر	٦٠	عبدالله بن حسن الأسمري

الإشراف العام : عبد الرحمن بن محمد الحميد